التسديم و التراب

((نصل أوكام))

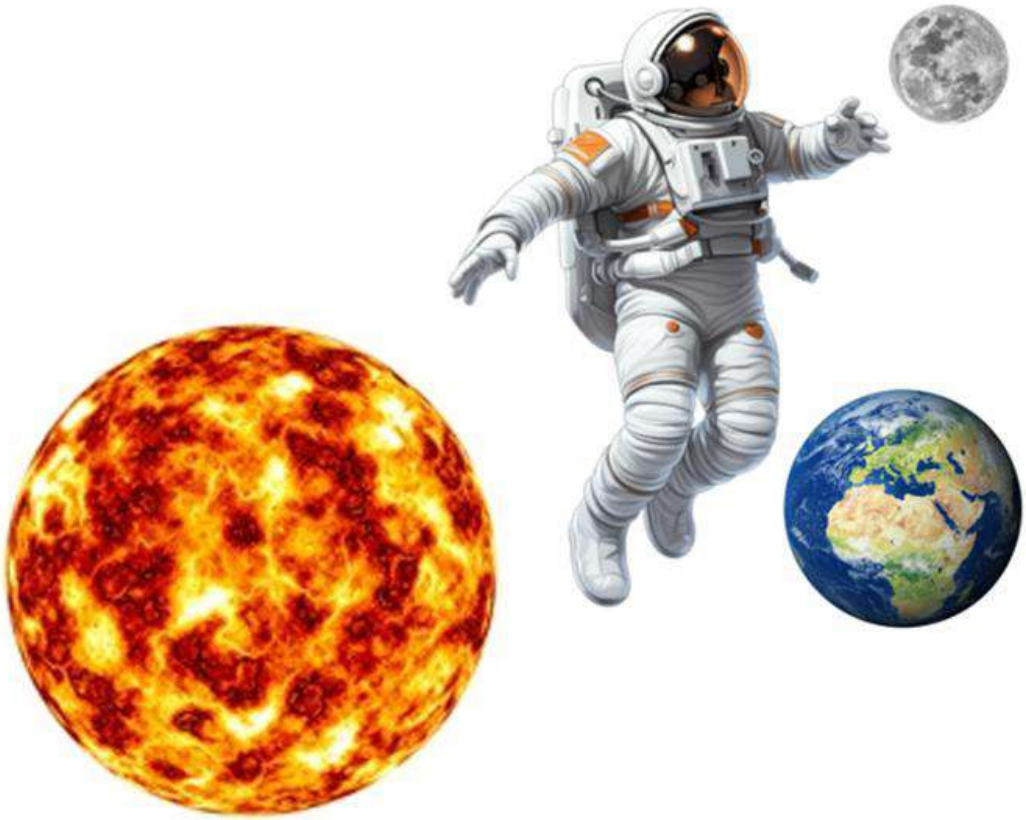

كتاب يقارب مغالطات شائعة

د. غفار محمد

السديم و التراب ...

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى الوقوع في فخّ مغالطات الحياة ..

السديم و التراب ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة أثر الالكترون (و اطمأنّ قلبي)
- مغالطة الزيتونة (لا شرقية و لا غربية)
- مغالطة الوجه الآخر للطب (إغماء ستندال)
- مغالطة ميتافيرس الروح (نم لقد ولدت ، استيقظ لقد مت)
- مغالطة المغالطات (لا تقع في الفخ)
- مغالطة نجوم على الأرض (السديم و التراب)
- مغالطة حصان طروادة (الأسطورة و الخرافة)
- مغالطة دائرة الأرزاق (في فمه ملعقة من ذهب !)
- مغالطة الدائرة السحرية (غموض لا ينتهي)
- مغالطة الحظّ (ظهر منحنٍ و حياة بائسة !!)
- مغالطة GPS الحياة (متطابقة أويلر)
- مغالطة وهم الشهرة (مفارقة البرسيم)
- مغالطة الجزئيات الحاكمة (و تحسبونه هيناً)
- مغالطة الإبحار نحو الشلال (لاعب الشطرنج)
- مغالطة التواتر المقدّس (قفص الأجداد)
- مغالطة نصل أوكام (TAKE IT EASY)
- مغالطة هرم النقاط (الاستبصار و المعرفة)
- مغالطة لسانك حصانك (هيهات يرجع سهم بعدما انطلقا)
- مغالطة استنزاف العقل (التخيل أهم من المعرفة)
- مغالطة ابتسامة الموناليزا (SMILES)
- مغالطة سافانت (خرافة 5 %)
- مغالطة الدارك ويب (الإنسان المتوحّش و عود الثقاب)

السديم و التراب ...

مغالطة أثر الإلكترون

(و اطمأنّ قلبي)

في إحدى البارات الحديثة وسط عاصمة ساحل العاج **أبيدجان** جلس شاب في أواخر الأربعينيات من العمر أشقر الشعر و قد غطى الشيب صدغيه قليلاً كتصحّرٍ ماكرٍ ينهش في الغابات تدريجياً ليترجم قسوة الحياة عليه ، معالمه حادة و جادة كنصل سيف ويليام والاس و هو يقود حرب اسكتلندا ضد إنجلترا ، لكنك إن أمعنت النظر أكثر ، رأيت أنها تخفي خلفها ملامح ودودة في الأساس لكن الزمن مّر من هناك فترك بصماته عليها .. على البار أمامه انتصب كأس مشروب روحي لا ينسجم أبداً مع قناعاته التي تشكك كثيراً بوجود الروح ، في حين أخذ الرجل من مكانه يتأمل طاولات البار المبعثرة و يحدق في ملامح كل شخص عليها .. إن وراء كل وجه منهم حكايته الخاصة ، و لو قدر لألفريد هتشكوك بنفسه أن يعرفها لما صدق حيثياتها .. فالواقع على الدوام أغرب من الخيال..

أمسك هاتفه الخلوي و فتحه ليقرأ تعليق قناة (**متعة العلم**) على مداخلته على الفيديو الأخير فيها الذي يتناول معرفة السيد المسيح بعلوم الفيزياء و تحليل معجزاته من خلالها كالسير على الماء أو إحياء الميت، قناة الشاب تحمل اسم **الكمنجة الكونية** .. و كان تعليقه على ذلك الفيديو :

(هنالك مبدأ فيزيائي آخر يدعى مبدأ الشك أو عدم اليقين لهايزين بيرغ الذي يقول بأن كل ما ذكرته هذه القناة المحترمة يحتمل الصواب و الخطأ .. فلا شيء

مؤكد في هذا الكون.. ربما لم يكن المسيح موجوداً أو أنه لم يكن نبياً أو أنه ادعى النبوءة .. حتى الله نفسه الذي أرسله ربما ليس موجوداً بالأساس ، فهل لديكم دليل مادي محسوس على وجود هذا الإله بحسب قوانين و دراسات الفيزياء التي تتحدثون عنها و تزعمون أنّ المسيح كان على دراية بها ؟!!..)

أما رد قناة (**متعة العلم**) على تعليقه فكان غريباً ..

(شكراً على مداخلتك أخي أو أختي .. وجهة نظر جميلة سأرد عليها بالفيزياء نفسها .. الفيزياء تؤمن بأن إثبات وجود أي شيء يكون بإحدى طريقتين .. إما أن تراه بعينك و إما أن ترى آثاره التي لم تخلق من العدم بحسب قانون السببية .. فمثلاً الإلكترون مثبت أنه موجود فيزيائياً رغم أن أحدا لم يره ، و لكن بحسب كثير من التجارب كتجربة الأشعة المهبطية اكتشف العلماء آثاره فعرفوا أنه موجود حتماً ، و الله كالإلكترون تماماً لا نراه لكن آثاره في كل شيء من حولنا .. و من يريد التغاضي و التعامي عن هذه الآثار .. فهو حرّ بالطبع و لكنه يخالف علم الفيزياء نفسه الذي يتحدث بمنطقه !!..)

ابتسم بدهشة .. أحسنت اللعب يا صديقي ! قال لنفسه ثم فكر قليلاً بكيفية الرد .. لكن في تلك اللحظة دخلت البار فتاة في الثلاثينيات ، سمراء جذابة بملابس مثيرة

كحمامة ملونة مغناج تمشي الهوينى على الأرض متجهة مباشرة نحوه ثم حطت على كرسي بجانبه بحكم أنه الكرسي الوحيد الشاغر .. طلبت كأس مشروب بدورها..

بحكم طبيعة البارات و تجاور كرسيهما .. فلم يكن هنالك مناص من أن يدور بينهما حديث ما..

التفتت الشابة إليه و ابتسمت بدهشة ، ما الذي يفعله هذا الأجنبي الاشقر في بار مخصص للأفارقة !؟ .. ابتسم لها بالمقابل و هو يرمق الصليب الذهبي المعلق على رقبتها مع مجسم المسيح عليه .. وضع هاتفه جانباً و خاطبها :

= كأس مشروب في نهاية يوم طويل لا مثيل له .. يذهب جميع الهموم..

= بالفعل .. تنسى اللحظات العصيبة التي مررت بها نهاراً ..

= بيتر إيفانز ..

= من أوروبا ؟

= والدي أوروبي .. أما والدتي فمن هنا ..

= وشم ستيفين هوكينغ بكرسيه الشهير على ساعدك يخبرني بأنك عاشق للعلوم ..

= نظرة ثاقبة .. أنا أستاذ في الفيزياء و الرياضيات ..

= تشرفت بمعرفتك .. أنا كريستينا براون .. عارضة أزياء..

ابتسم ..

= هذا واضح و جليّ من جمالك الساحر .. و أناقتك المذهلة .. إن المسيح محظوظ بالوجود على عنق حسناء مثلك .. أنا على بعد خطوة واحدة من العودة لحضور قداس الأحد مجددً .. فهذا الجمال الساحر لابدّ أنه من صنع إله..

قابلته بابتسامة مجاملة ..

= أشكرك .. أنت شخص ملحد إذاً ..

= ليس بالضبط .. أنا أتبع الفلسفة اللا أدرية..

= لا أدرية !

= أجل .. فلسفة تعتمد على كلمتي لا أدري في الإجابة

على كافة التساؤلات التي لم يثبتها العلم بعد .. و منها وجود الإله من عدمه .. فنحن لا نستطيع إثبات ذلك علمياً .. كما أننا بنفس الوقت لا نستطيع نفيه أيضاً .. أنت متدينة على ما يبدو ؟

= بلى .. ربما ليس هنالك دليل محسوس على وجود خالق للكون ، لكن هنالك آثار تدل على وجوده بلا شك ، و منها حوادث عديدة جرت معي في حياتي ..

= لكل شيء تفسير علمي في هذا الكون .. لكننا نعزي كل شيء نعجز عن تفسيره إلى قوة غيبية .. و كما يقال

(الإله حاجة و ضرورة .. لو لم يوجد .. لخلقناه بأنفسنا)

= وجهة نظر .. لكن من وحي عملك كأستاذ فيزياء .. هنالك مقولة قرأتها ذات مرة على موقع التواصل الاجتماعي و أعجبت بها فعلاً ذات صلة بنقاشنا هذا ، و رغم جهلي الكامل بالفيزياء لكنني فهمت المغزى الرئيسي منها..

= أثرت فضولي .. علامَ تنصّ ؟

= تقول على ما أذكر :

(الله مثل الإلكترون تماماً .. لا يمكننا رؤيته .. لكننا نرى آثاره بشكل واضح)

= صحيح ، عبارة شهيرة في أوساط الفيزياء .. و هي غريبة و معبرة بالفعل .. و الغريب أكثر أنها ثاني مرة أسمعها هذا اليوم و كأنها إشارة إلى شيء ما !!! على كل حال بسبب هذا المنطق الجميل الذي تحدثت عنه .. فأنا لست شخصاً ملحداً بالكامل .. بل لا أدريّ فحسب ، و يمكنني القول أنّ المسيح على رقبتك أزاحني كالإلكترون من مدار بعيد عن نواة الإيمان إلى مدار أقرب إليها محرراً طاقة هائلة في داخلي ، كما يفعل الإلكترون بالفعل عندما يقترب من النواة..

كانت كريستينا قد أنهت المشروب أمامها فنهضت مبتسمة و قد فهمت ما يرمي إليه ..

= جميل .. وفر هذه الطاقة للأيام الصعبة ، فالدنيا تتغير في غمضة عين .. الآن اعذرني عليّ المغادرة فقد تأخر الوقت و مررت هنا لأجل المشروب فقط .. سررت بالتعرف عليك و بالحديث معك..

= مشاعر متبادلة ، رافقتك السلامة .. فليحرسك أبونا الذي في السموات..

ابتسمت كريستينا و اتجهت نحو الباب حتى خرجت و ابتلعها الظالم كأنها كانت طيفاً عابراً أو حلماً ..

هز الأستاذ بيتر رأسه بدهشة ثم طلب كأس مشروب آخر.. لقد أثارت كريستينا صراعاً داخلياً قديماً في أعماقه بين حقيقة وجود الإله من عدمه..

*****

هل الإله موجود بالفعل ؟

سؤال طرحه مليارات من البشر عبر الزمن خلال فترات مختلفة من حياتهم و شكل صراعاً داخلياً هائلاً في ذواتهم .. و لا شكّ أن تكرار هذا السؤال باستمرار له ما يبرره على أرض الواقع ، فالجواب عليه مصيري و سيغير قناعات الإنسان جذرياً ، لأنّ الفارق هائل بين أن يكون مصيره إلى العدم بعد موته أو أن يكون مصيره الخلود بعده ، كما أنّ ذلك سيحدد طبيعة حياته المستقبلية و طريقة تعامله مع البشر الآخرين و الظروف و الحياة ككل من حوله .. و هذا السؤال الغامض الذي دار و يدور كزوبعة في عقول المليارات هو عمود الخيمة في أولى مغالطات كتابنا بعنوان (**أثر الالكترون**) لينبثق عنه سؤال محوري ثانٍ :

(هل إلحاد بعض البشر و إنكارهم لوجود خالق للكون منطقيّ و مبرر ، أم أنه مغالطة جديدة كغيرها من مغالطات الحياة ؟)

للإجابة على هذا السؤال بشكل مناسب و وافٍ كما آمل سنقوم بمقاربته عبر زاويتين :

① **ذرائع الملحد في إنكاره وجود الله ..**

② **دلائل وجود الله ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نسافر معاً خلال مغالطتنا

الحساسة و الهامة هذه في مغامرة شيقة نشق فيها الفضاء الكوني لنصل إلى حدود الكون و نكتشف هل هذا الكون بلا حدود أي لا خالق له ؟! أم أن له حدوداً بالفعل يمكننا تجاوزها لنبلغ العالم الآخر أو الكون الأكبر ليكون الله حقيقة ثابتة لا شك فيها ..؟!

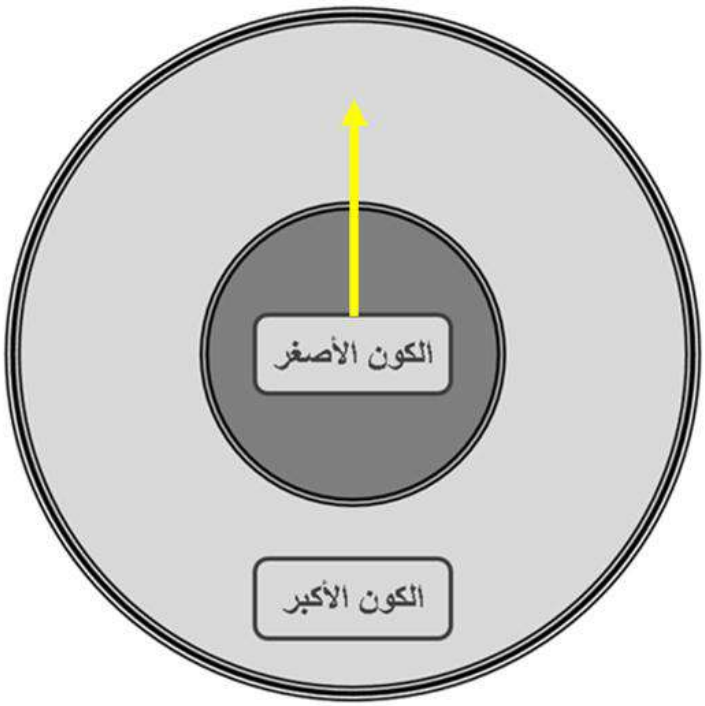

❁ ذرائع الملحد في إنكاره وجود الله :

يصنف الملحدون بشكل عام إلى نوعين :

- **الملحد الموجب** : يستعين بنظريات علمية و فلسفية لإثبات عدم وجود الله ..
- **الملحد السالب** : يكتفي فقط بعدم الإيمان بوجود الله نظراً لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون بوجوده أو بطبيعة الأديان ..

و بناء على هذا التصنيف يمكننا تقسيم ذرائع الملحدين

إلى نوعين بدورها :

- **ذرائع علمية تقدس المادة و تؤمن بأزلية الكون و بتطور الإنسان من خلية وحيدة** : و الحقيقية الغريبة و المثيرة هنا أنّ جميع هذه الذرائع لا تتناقض إطلاقاً مع وجود الله ، فالله :

۞ جعل العلم و بالتالي المادة مقدّسين و أمرنا باتباع قوانينهما لتفسير ظواهر الحياة من حولنا ، فالله خلق الكون وفق قوانين علمية تجري بثبات مستمرّ و الدين ينبغي ألا يتعارض مع العلم كما أكد الخالق .. و لا ننسَ مقولة نبي الرحمة محمد الشهيرة و التي تختصر كل شيء عندما سأله أحد الناس : (**هل أترك ناقتي و أتوكل**) ، فأجابه : (**اعقلها و توكل**) أي اربطها و اتبع قوانين العلم ثم توكل على الله ..

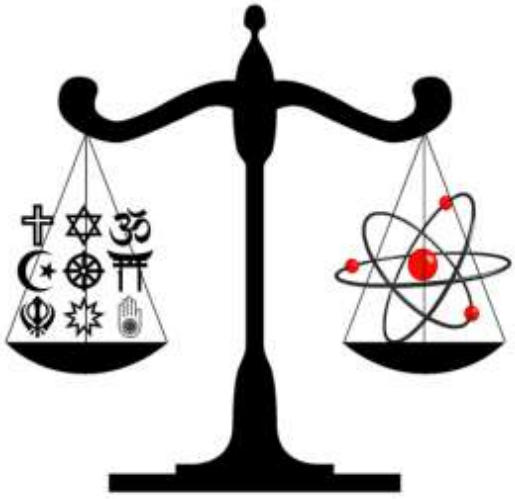

۞ يصف نفسه في الأديان بأنه أزلي فيقول عن نفسه بأنه (**الأول بلا بداية**) فلماذا يسهل علينا الأيمان ببساطة بأنّ الكون أزلي بلا بداية و يصعب علينا

الإيمان بأن خالق الكون أزلي بحد ذاته كهذا الكون بالضبط !؟

۞ لم ينفِ تطور الإنسان ، فالتطور البشري لا يتعارض مع فكرة الخلق ، بل قد يكون وسيلة إلهية لتكوين الإنسان و لا ننسَ أن الإنسان يتكون حرفياً من خلية وحيدة في البدء (**البويضة الملقحة**) و يمر خلال تطوره كجنين بمراحل يكون فيها قبيح الشكل و ناقص التكوين حتى يكتمل نموه تماماً و يولد أخيراً كطفل جميل محبب للقلوب ، أوليس هذا هو جوهر عملية التطور ؟! و بجميع الأحوال ما يهمّ فعلياً أنّ النتيجة النهائية للإنسان سواء خُلق دفعة واحدة أو عبر عملية تطورية هي كونه (**في أحسن تقويم**) و لا يمكن إطلاقاً للصدفة و العمليات العشوائية أن تنتج هذا المخلوق الفريد كمعجزة ربانية حقيقية بحد ذاته..

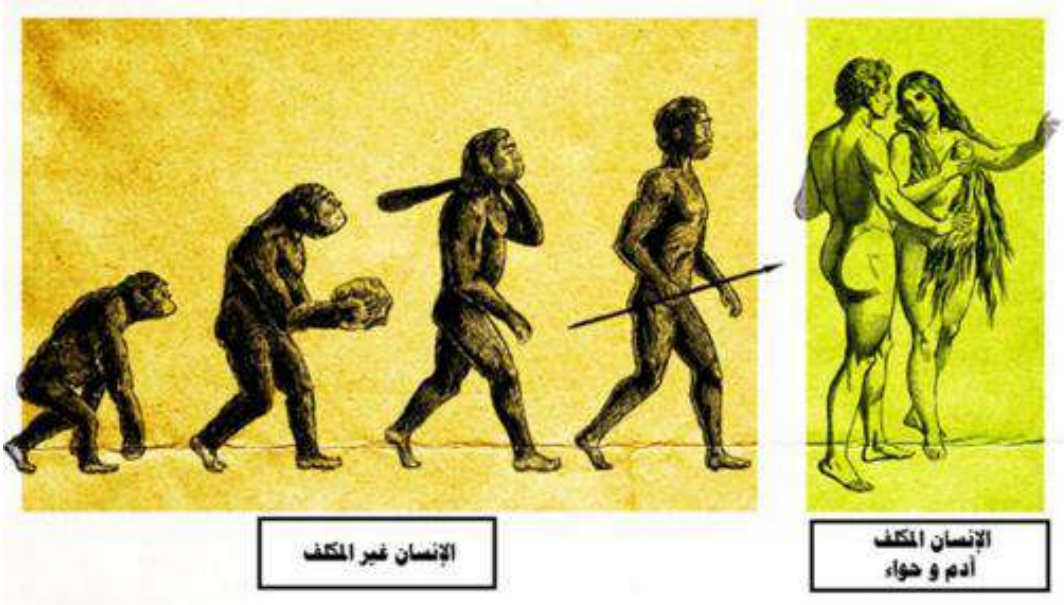

● **ذريعة عدم الاقتناع بمضمون الأديان** : لاشك أن

الاختلافات الجوهرية في بعض النقاط بين الأديان و التشويه الذي طال نقاطاً أخرى كثيرة عبر الزمن على يد الحكام و كهنة الدين ، خلقت بذرة شك كبيرة في نفوس بعض البشر تجاه هذه الأديان ، لكن هذا لا يبرر الإلحاد أبداً ، فلا يمكننا أن نغفل عن **4** حقائق هامة في هذا الصدد :

◉ تلاعب البشر بالأديان بعد موت الأنبياء كما قلنا و سوء فهم الدين يفسّران الجانب المظلم للأديان ، و القصور هنا هو قصور بشري و ليس سماوي ..

◉ للأديان وجه جميل آخر لا يمكن نسفه و تجاهله ، يبني الإنسان و المجتمع و ينظم شؤون الحياة في كافة النواحي و يربط وجودنا بغاية ذات معنى بعد الموت ..

◉ الأهم من ذلك كله أن **الإيمان و التدين ليسا وجهين لعملة واحدة** .. فإن أنت لم تعجب بمضمون الأديان فذلك لا يعني أنّ الله غير موجود بل هذه مغالطة كبيرة بحد ذاتها .. فيمكنك أن تكون مؤمناً بوجود خالق و غير متدين مثلاً !!

◉ لا ننسَ بأنّ الله رحيم و ديمقراطي مع عباده فلا يجبرهم على الإيمان بالقوة و التهديد كما يصور بعض كهنة الدين ، بل ترك للبشر حرية المعتقد ، بل حتى حرية عدم الإيمان بوجوده فقال بكل وضوح :

(من شاء فليؤمن ، و من شاء فليكفر)

فالله واثق من (**إبداع و إتقان خلقه**) و من (**عظمة العقل الذي منحه للبشر**) و هذان العاملان كفيلان عبر **التفاعل مع بعضهما** بالوصول بالإنسان إلى معرفة خالقه و المسألة مسألة وقت و اختبارات مع بعض المعجزات و الحوادث غير المفسرة لا أكثر و التي تنتهي بالإنسان إلى الإيمان بوجود قوة غيبية خلقت الكون و تسير أحداثه كما خلقته كإنسان و تسير حياته الشخصية بنفس الوقت .. دون أن نغفل أهم حقيقة في الحياة بأنّ غاية الله ليست إقناع البشر بوجوده فهو أجلّ و أكبر و أعلى من ذلك ، بل بناء الإنسان و إعداده كي يصبح مؤهلاً للحياة في دار البقاء بعد القيامة ..

و في الحقيقة و كختام لهذه النقطة ، ما من إنسان ينكر وجود الله بسبب أدلة منطقية دامغة يقّدمها بل أغلب حججه و ذرائعه لا تتناقض مع وجود الله بالأساس (من قوانين العلم التي تحكم الكون إلى التطور إلى التشكيك بالأديان) ، بل إلحاده قائم على خلفية :

- ظروف صعبة عاشها في طفولته أو في حياته اللاحقة بسبب مدّعيي التدين فنفروه من الدين ..
- ظروف حياتية قاهرة مرّ بها فنقم على السماء و بالتالي رفض وجود الله ببساطة .. هكذا بلا دليل و لا دراسة على الإطلاق ..
- ظروف نفسية معينة تدفعه للتميز و الاختلاف عن

محيطه ، أي يدعو للإلحاد من باب **خالف تُعرف** ، لا لأسباب منطقية و هذا البند نجده بكثرة عند المراهقين..

أي أن الإلحاد بالمحصلة موضوع نفسي وجداني بحت في أغلب الحالات أو بتعبير آخر هو عتاب من الإنسان لخالقه على ظروف معينة قاسية عاشها لجهله بحكمة الخالق و غاياته النبيلة التي تقف خلف كل شيء ..

۞ دلائل وجود الله :

في الحقيقة كل شيء في هذا الكون المعجز ينطق باسم خالقه و يوحّده ، لكن قبل الحديث عن هذه الدلائل الكثيرة لا بد من التطرق إلى مفهوم هام للغاية و هو :

(أثر الله)

فبالعودة إلى بداية مغالطتنا و الحديث عن أثر الالكترون سنشرح باختصار تجربة علمية بسيطة و هي **تجربة الأشعة المهبطية** لغاية لاحقة بعد قليل :

(هي تجربة كهربائية قديمة أجراها الفيزيائي الإنجليزي **وليام كروكس** باستخدام أنبوب مُفرّغ جزئيًا من الهواء – أنبوب كروكس – وضع فيه قطبين كهربائيين معدنيين على الطرفين **كمهبط** (كمسدس مطلق للالكترونات) و **مصعد** (لوحة مطلية بالفوسفور) ، وعندما قام بتوصيل تيار عالي التوتر متردد بين القطبين ، لاحظ تألّق لوحة المصعد

الفوسفورية فأدرك أنّ ذلك بسبب انطلاق الأشعة

المهبطية (الإلكترونات) من المهبط و اصطدامها بلوحة المصعد، و كان هذا دليلاً علمياً كافياً على وجود الالكترونات بالفعل)

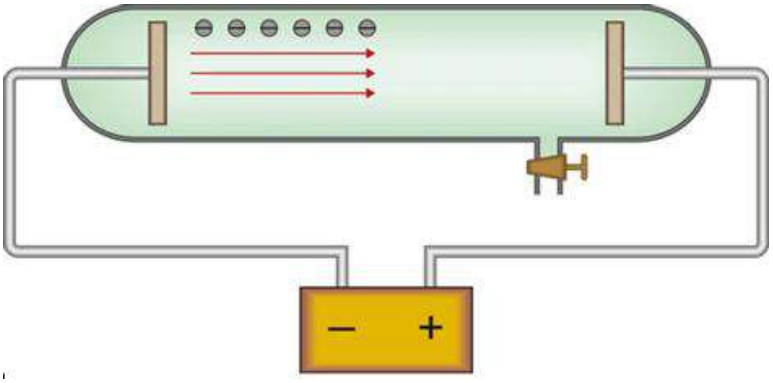

فالعلماء لم يروا الالكترونات حرفياً ، لكنهم آمنوا بيقين أنها موجودة لأنهم رأوا آثارها المتألقة .. وهذا بالضبط ما يفعله الله مع خلقه ، لا يراه البشر فعلياً ، لكن ذلك لا يعني أنه غير موجود ، بل إن البشر يرون آثاره في كل حنايا هذا الكون ، و من هذه الآثار الواضحة (لكلّ من يستعمل عقله) و على سبيل المثال لا الحصر :

- **الإبداع في خلق الكون** : سواءٌ من حيث :

◉ تنوع مخلوقاته من أحياء (إنسان و حيوان و نبات و كائنات دقيقة) أو جماد (فضاء بأجرامه ، جيولوجيا بعناصرها ....) ..

◉ تنظيم سير شؤون الخلق بإتقان و وفق قوانين علمية مادية ثابتة تحكم كل شيء بدقة لا توصف ..

◉ تكامل هذه المخلوقات في وجودها و تفاعلها مع بعضها..

و هذا البند واسع للغاية و لا تكفيه موسوعات لا نهاية لها للإحاطة بعظمة الخلق المبهرة المتجلية في كل تفصيل من تفاصيل هذا الكون ..

- **الأحداث الخارقة للطبيعة** (**المعجزات**) : و التي يدعوها البعض جهلاً (صدفة) و التي تعجز جميع قوانين البشر عن تفسيرها ليبقى وجود الله وحيداً في الميدان كمفسر حقيقي لا شريك له لها ، و لا أشك عزيزي القارئ بأنك بنفسك تعرضت في حياتك لهذا النوع من الأحداث الذي جعلك تستشعر أنامل الخالق و هي تحيكها .. و بالطبع لا ننسَ هنا عشرات المعجزات للأنبياء التي كسرت كل قوانين العلم كإثبات لوجود إله مسيطر على هذه القوانين و متحكم بها كما يشاء كمشي يسوع فوق الماء مثلاً ..

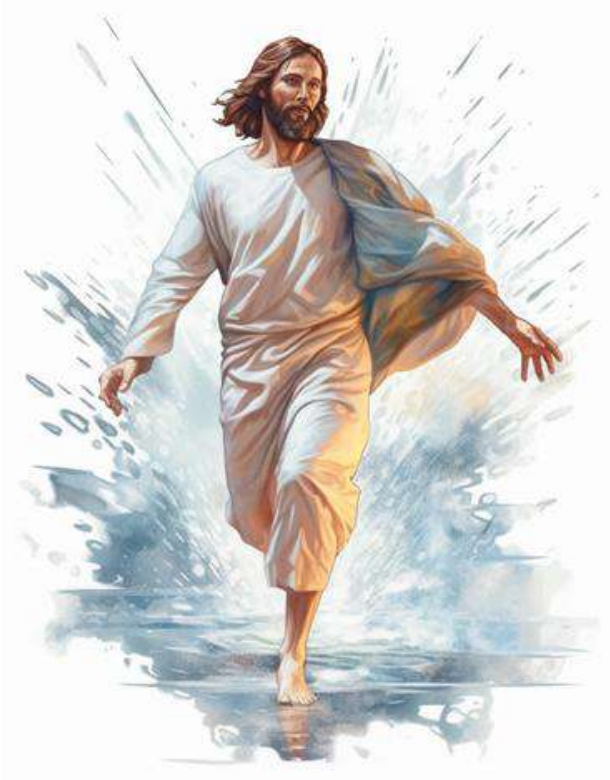

● **جسد الإنسان المعجز** : بتنوع و تعقيد و تكامل أجهزته و أعضائه و بنيته الجزيئية ليجعل منه الله كياناً قادراً على الوجود و الاستمرار و الاكتشاف و الاختراع و التطور و التفاعل مع غيره و بناء حضارات و فك طلاسم العلوم و الكون ، و بالطبع يتربع على عرش هذا الجسد (العقل البشري) كلغز حقيقي لا نعرف شيئاً عنه حتى اليوم يختزل الكون برمته بين تلافيفه ..

و المفارقة العجيبة في الموضوع أنّ الإنسان يرى صنعه لروبوت إنجازاً إعجازياً لا يمكن أن يتم لوحده دون صانع (الإنسان) في حين يرى الجسد البشري المعجزة الحقيقية أمراً عادياً صنيعة الصدفة و التطور العشوائي و لا يحتاج لصانع (الله) ، فلماذا هذا التناقض في الطبيعة البشرية و الظالم للسماء !!؟

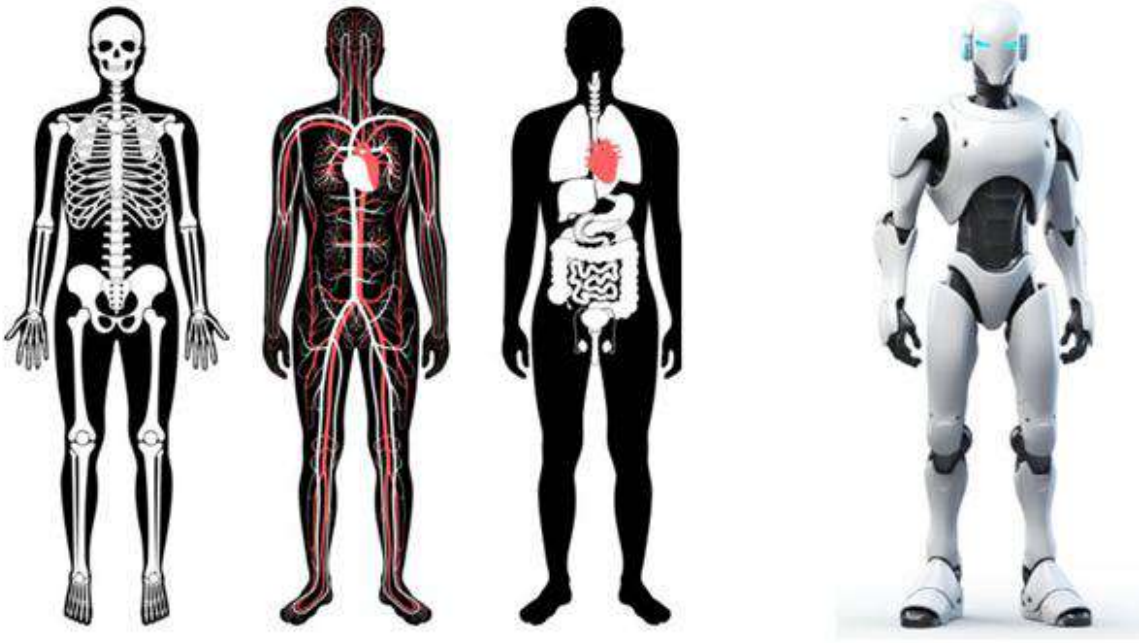

● **حقل الألغام** : فالحياة أشبه بالسير في حقل ألغام بتنوع و غزارة المخاطر المحدقة بالإنسان فيه من قبيل :

- الأمراض و الأوبئة ..
- الموت ..
- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث..
- الأزمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..
- الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و رغم كل هذه الألغام نرى البشر يعيشون و يعمّرون و يقضون الأوقات السعيدة ، يحبون و يكوّنون عوائل و أصدقاء و يتفاعلون مع بعضهم ، يتعلمون و يكتشفون و يخترعون ، و تكون لديهم مواهب و وظائف و هوايات متناسبة مع كل منهم ، و لولا وجود خالق متحكم بالكون لما حدث كل ذلك ، و لرأينا الألغام تنفجر بالبشر تباعاً في كل لحظة فيموتون مبكراً و يقضون حياتهم في خوف و قلق و رعب لا يوصف ، لتكون الحياة عبارة عن فوضى و جحيم حقيقيين ..

- **معرفة الغيب** : كما أخبر الأنبياء أقوامهم عن أمور مستقبلية حدثت بالفعل ، و لا تفسير لذلك سوى تواصلهم الفعلي مع قوة غيبية خالقة للكون و عارفة بالغيب و أسرار المستقبل ، من قبيل :
  - إخبار النبي نوح قومه بقدوم الطوفان ..
  - إخبار النبي صالح قومه ثمود بعواقب عقر الناقة ..
  - إخبار السيد المسيح لتلميذه بطرس بأنه سينكره ثلاث مرات قبل صياح الديك في ليلة اعتقاله ..
  - إخبار الرسول محمد لبعض صحابته بمصيرهم كقوله لأبي ذر الغفاري : (تعيش وحيداً و تموت وحيداً و تبعث وحيداً) و هذا ما آلت إليه أموره بالفعل ..
  - علامات قيام الساعة الصغرى و الكبرى ، و التي بدأت بالتحقق تباعاً بالفعل ..

و غيرها من المعجزات ..

● **الغاية من الخلق** : فهذه الغاية التي شرحها الله لنا عبر أنبيائه مقنعة و منطقية و نبيلة لأبعد الحدود ، بأن تكون الحياة الدنيا مرحلة وسيطة قبل الحياة الآخرة في دار البقاء (الجنان) حيث نتعلم في هذه المرحلة :

- **تقدير قيمة النعمة لنصونها في الآخرة** : عبر فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..
- **تقدير قيمة الأخلاق** : كالشيء الوحيد الذي لا يمنحك إياه الله من خارجك بل تمنحه لنفسك من داخلك و يساعدك الله على ذلك عبر إعداد تجارب جاهزة و خاصة بكل إنسان حسب موقعه في الحياة ، لنكتشف في النهاية أن الخُلُق هو سرّ الخَلْق .. و بأن الله لن يطالبنا في الآخرة سوى بالتحلي بمكارم الأخلاق ..

لا تجزع من شكك و لا تخجل من إلحادك ، فالإلحاد التام يسبق الإيمان التام بدرجة .. و بتفاعل **الكون العظيم بخلقه** مع **عقل الإنسان العظيم بتكوينه** ستتسطّر أعظم ملاحم الإيمان في حياة كل إنسان بعثه الله إلى هذه الدنيا ، فالله لم يخلقك جزافاً و لن يتخلّى عنك يقيناً ، بل سيطرق بابك في اللحظة المناسبة ذات يوم من حياتك عندما تغدو جاهزاً لذلك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أثر الالكترون**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا لا أؤمن بالله لأنني لا أراه ..

بل أن نقول :

= الله لم يُرَ بل بالعقل عُرف .. و آثار الله في هذا الكون كآثار الأشعة المهبطية التي أثبتت وجود الالكترونات دون أن نراها ، تجعلنا نؤمن يقيناً بوجود إله لم نره ..

و ألا نقول :

= أنا أرفض وجود الله ، لأن بعض المتدينين و رجال الدين نفّروني من السماء ..

بل أن نقول :

= الإيمان شيء و الأديان و التدين شيء آخر فلا يجب

أن نخلط بينهما ..

و ألا نقول :

= أنا ملحد لأنني أؤمن بالعلم و قوانينه ..

بل أن نقول :

= العلم لا يعني عدم وجود الله ، بل إنّ الله خلق الكون وفق قوانين علمية مادية ثابتة هو وحده قادر على كسرها بالمعجزات كما فعل في مناسبات كثيرة ..

في النهاية كل شيء من حولنا في هذا الكون ينطق بوجود خالق له و عظمة خلقه هذا و إتقان تكوينه لكل شيء ، فإن كنت عزيزي القارئ تشكك بوجود الله فلا بأس عليك ، الله بنفسه أتاح لك هذا و شرّعه .. **فالشك هو الرحم الذي يولد منه اليقين** .. و تذكر أن نبي الله موسى و هو يخاطب الله حرفياً على قمة الجبل و قد بلغ من العمر الكثير ، طلب من الله آيةً كي يؤمن بوجوده، فسأله الخالق : (**ألم تؤمن بعد يا موسى ؟**) ، فرد عليه موسى : (**بلى ، لكن ليطمئن قلبي**) ..

فكيف بإنسان لم يطرق الله أبوابه بعد و لم يرَ من عظمة الخالق و رحمته ما يشبع يقينه و يطفئ حيرته ، لا بأس يا صديقي فذات يوم سيطرق الله بابك كغيرك و في التوقيت المناسب ، لتصعد بنفسك إلى قمة جبل الإيمان فيخاطبك الله و يقول لك : (**آمنت يا بنيّ ؟**) فيكون جوابك :

(بلى و اطمأنّ قلبي ..)

مغامرة الزيتونة

(لا شرقية ولا غربية)

= يا لروعة مدينة أثينا !! كنت محقاً في اختيارها كوجهة سياحية ..

= ألم أقل لك حبيبتي ؟ تعالي نطعم الحمام بأيدينا ..

= هيا بنا .. إن منظر الحمائم في السماء و حول النوافير مثير للبهجة و الراحة النفسية .. أشعر بسلام عارم في داخلي ..

= بلا شك ، لم تتخذ الحمامة رمزاً للسلام عن عبث..

= بالمناسبة ، لماذا تحمل حمامة السلام غصن زيتون في منقارها ؟

= وفقاً لمعلوماتي المتواضعة فهذا يعود إلى قصة طوفان النبي نوح ..

= و ما علاقة الطوفان بذلك ؟!

= تقول الكتب الدينية أنّ النبي نوح بعد رسو سفينته على **جبل الجودي** في **تركيا** كما يعتقد ، كان يرسل حمامة من نافذة السفينة كل يوم لمعرفة ما إذا كان الطوفان قد توقف في الأرض .. و في إحدى المرات بقي النبي نوح ينتظر عودة الحمامة **7** أيام ، حتى عادت أخيراً و هي تمسك غصناً من شجرة الزيتون في منقارها و يعتقد أنها جلبت الغصن من **قرية بشعله** في **لبنان** .. و عندها عرف النبي نوح أن المطر توقف و الطوفان انتهى و بالتالي جفت الأرض .. و منذ ذلك الحين و حتى يومنا هذا يعتبر شعار الحمامة مع غصن من شجرة الزيتون في منقارها رمزاً للأمل والسلام في جميع الكتب السماوية و المعاهدات..

= معلومة غريبة و مذهلة !!

= المذهل أكثر أنّ أكبر شجرة زيتون معمرة على الأرض توجد في قرية بشعلة اللبنانية المذكورة في حكاية النبي نوح ..

= حقاً ؟!

= أجل .. و يطلق عليها **شجرات زيتون نوح أو الشجرات الأخوات** و هي عبارة عن **16** شجرة زيتون يقدر عمر اثنتين منها بحوالي **6000** إلى **7000** سنة ..

= مذهل !!

= بلى .. و يقال أنّ اسم قرية بشعلة مشتق من اللغة السامية – العربية و يعني (**شعلة النار**) و يقول البعض الآخر أن أصل الاسم آراميّ سريانيّ و هو

شعلو الذي يعني (**المكان الرفيع العالي العظيم**) و البعض الآخر يرده إلى أصل كنعانيّ أو عبريّ و يعني (**بيت الإلٰه**) ..

= لكن لماذا حملت الحمامة غصن زيتون دون سواه ؟!

= لأن شجرة الزيتون شجرة مقدسة و مباركة ..

= و لماذا هي كذلك ؟

= تعالي لأحدثك أكثر عن شجرة السماء العظيمة يا حبيبتي ..

*****

ينظر كثير من البشر إلى الزيتون كأحد أنواع الأشجار المثمرة لا أكثر .. ويعتبرون تقديس البعض لها مبالغة عاطفية و دينية .. فهل وجهة النظر هذه صحيحة ؟ أم أنها مجرد مغالطة جديدة تنضم كشجرة جديدة إلى بستان مغالطاتنا .. إنّ الجواب الوجيز و المبدئي كعادتنا هو على الشكل التالي :

(الزيتونة ليست كأي شجرة.. إنها شجرة السماء المباركة ، المفعمة بالخير و العطاء و رمز الثبات و القوة و الرسوخ في الأرض .. فليس غريباً بعد ذلك كله أن تكون رمز السلام و الحكمة حول

العالم)

لماذا شجرة الزيتون كذلك .. تعال عزيزي القارئ نوضح جوابنا بشكل أعمق و أدق عبر مقاربة مغالطتنا من **5** زوايا شيقة و هامة :

① **جذور شجرة الزيتون ..**

② **شجرة الزيتون في عيون التاريخ ..**

③ **شجرة الزيتون في الأديان ..**

④ **حقائق غريبة عن شجرة الزيتون ..**

⑤ **فوائد الزيتون و زيته للإنسان ..**

فهيا بنا نقطف ثمار مغالطتنا و نعتصر خلاصة زواياها كزيت مقدّس يضيء حقيقةً من تلقاء ذاته ..

❁ جذور شجرة الزيتون :

في الحقيقة إنّ أصل شجرة الزيتون و مصدرها الأول غير معروف بدقة .. لكن عُثر في إفريقيا على متحجرات لأوراق الزيتون تعود إلى العصر الحجري القديم (**35** ألف سنة قبل الميلاد).. كما وجدت شجرة الزيتون بالسواحل الأطلسية للمغرب خلال معظم العصر الجليدي الأخير منذ نحو **100** ألف سنة ..

ويعتقد بأنّ تاريخ هذه الشجرة كاستئناس بشري زراعي

يعود إلى ما بين **5000** و **6000** سنة و بالتحديد في سوريا و فلسطين و جزيرة كريت .. أما في إسبانيا فأقدم شجرة زيتون عثر عليها تعود لحوالي **5000** سنة في مدينة **ألميريا** ..

وفي دراسة مستفيضة قام بها العالم **دانييل زوهاري** ، رجّح بأن أصل الزيتون يعود إلى منطقة **شرق البحر الأبيض المتوسط** وخاصة المنطقة الواقعة بين **أضنة** في تركيا و **إدلب** شمال غرب سوريا التي تعد الموطن الأول لشجرة الزيتون ، إضافةً إلى سلسلة الجبال الساحلية السورية و اللبنانية وصولاً إلى منطقة جبال **نابلس** في فلسطين جنوباً ، و انتقل الزيتون بعدها من بلاد الشام إلى **المغرب العربي** و منه إلى **إسبانيا** و **البرتغال** و **جنوب فرنسا** ..

ثم انتشر بعدها إلى العالم الجديد بفضل الإسبان .. حيث ازدهرت زراعته في **البيرو** و **تشيلي** اللتين

يشابه مناخهما الساحلي مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ، كما قام المستعمرون الإسبان بإدخال شجرة الزيتون في القرن **18** إلى ولاية **كاليفورنيا** الأمريكية .. حيث زرعتها أول مرة بعثةُ **سان دييغو دي الكالا** و بعد ذلك أصبحت زراعة شجرة الزيتون مشروعاً تجارياً ناجحاً هناك ..

أما في اليابان فإن أول زراعة ناجحة لأشجار الزيتون

حدثت مطلع القرن **20** في **جزيرة شودو** التي أصبحت مهداً لزراعة الزيتون في البلاد ..

❁ شجرة الزيتون في عيون التاريخ :

◉ مملكة إيبلا السورية :

تقع آثار هذه المملكة الأكادية قرب مدينة حلب وقد

عثر فيها على أقدم الدلائل المكتوبة حول شجرة الزيتون من رقم ومخطوطات، حيث حملت بعض ألواح إيبلا المكتشفة في مكتبتها توثيقاً رسمياً حول أشجار الزيتون و إنتاج الزيت، و أوضحت هذه الألواح أنّ صناعة زيت الزيتون كانت في مقدمة النشاط الاقتصادي للسكان ..

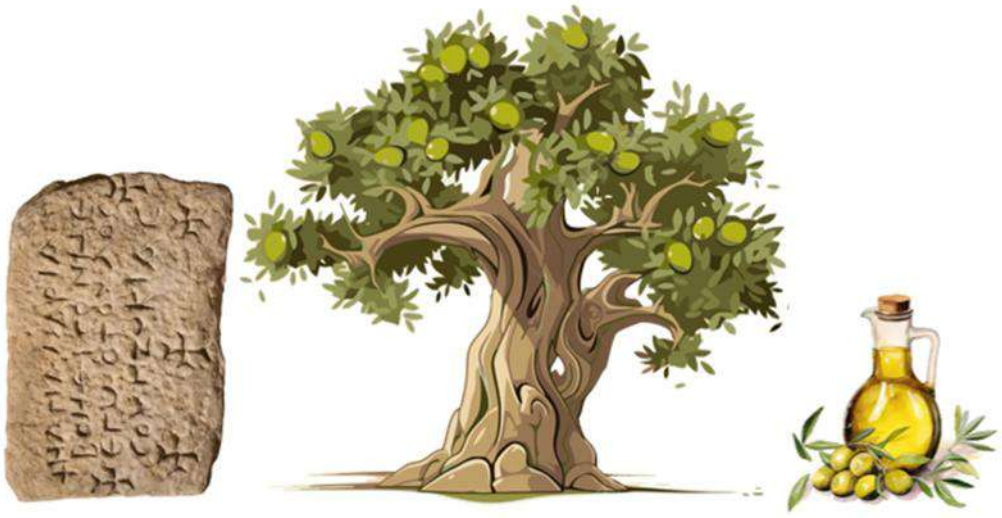

◉ **عند الإغريق** :

تعتبر شجرة الزيتون في الثقافة الإغريقية رمزاً للحكمة ، حيث كانت إلى جانب طائر البوم ترمز للآلهة أثينا، و تروي الميثولوجيا اليونانية أن أثينا قدمت للبشر شجرة الزيتون كهبة يستفيدون من ثمارها و زيتها و حطبها ، كما أن **آلهة السلام** الإغريقية **أيرينا** ابنة زيوس تصوّر دوماً وهي تحمل غصن الزيتون ، و في عهد الإغريق تم تقديم زيت الزيتون كهدية للملوك ولأبطال الرياضة، كما جرت العادة على وضع تيجان من أغصان شجر

الزيتون المقدس الذي زرعه **هرقل** في **أوليمبيا** على رؤوس الملوك و الأبطال المنتصرين ..

◉ عند الأوغاريتيين و الكنعانيين :

ذُكر في الأساطير أن أكثر ما كان يخشاه الكنعانيون هو انعدام خصوبة أراضيهم و توقف المطر و بالتالي خسارة المحاصيل خلال الموسم .. لا سيما محصول الزيتون المقدس لديهم .. لذا كانوا ينشدون للآلهة و يتضرعون لها كي تهبهم محاصيل وفيرة منه ..

◉ **عند الفينيقيين** :

يعتقد أن الفينيقيين نقلوا زراعة شجر الزيتون إلى البلاد التي وصلوا إليها عند سيطرتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد.. ولم يكن تأثير الفينيقيين ملحوظاً في بادئ الأمر، لكن في أواخر القرن **8** قبل الميلاد ازدهرت حضارتهم ازدهاراً عظيماً بما في ذلك زراعة شجر الزيتون في المناطق ذات المناخ الملائم و تطورت طرق استخراج الزيت منه أيضاً ..

◉ **عند الفراعنة** :

تؤكد البرديات الفرعونية والآثار التاريخية و المومياات ، أن المصريين القدماء استخدموا الزيوت في الكثير من نواحي الحياة ، و يعتقد بأن زيت الزيتون كان إحداها ، أما زراعته فيعتقد أنها بدأت قبل نحو **4000** سنة خلال حكم الأسرة **18** ، خصوصاً فوق الشريط الساحلي الممتد من **الإسكندرية** حتى **الفيوم** .. وكان زيت الزيتون مستعملا خلال الفترة الفرعونية لإضاءة المعابد .. و الحضارة الفرعونية هي أولى الحضارات التي استخرجت الزيوت بآليات ميكانيكية طبيعية و هي نفس الطرق المستعملة حالياً تقريباً.. كما كان من المعتاد لدى كبار الشخصيات الغطس في حمام من زيت

الزيتون المعطر، و كانت توضع أكاليل من أغصان شجر الزيتون على رؤوس المومياوات **كتاج العدل** الموضوع على رأس **توت عنخ آمون** ..

❁ شجرة الزيتون في الأديان :

① في اليهودية :

جسدت شجرة الزيتون الأمل عند اليهود، فورد في العهد القديم و العهد الجديد حكاية عودة الحمامة إلى فلك نوح لتخبره بانتهاء الطوفان .. و قد جاء ذكر ذلك في

التوراة على النحو التالي :

(إنّ حمامةً تركت سفينة نوح ثم عادت تحمل في فمها غصن زيتون)

كما ذكر في التوراة أيضاً :

(إنّ الأشجار عندما أرادت أن تنتخب ملكا عليها اختارت شجرة الزيتون، لكنها رفضت قائلة: لن أترك زيتي الذي باركه الرب من أجل أن أحكم الأشجار !)

و في **سفر الخروج** يعطي الله أوامره لموسى قائلاً له:

(اؤمر بني إسرائيل بأن يقدموا إليك زيت زيتون لإشعال السراج على الدوام)

وقال النبي **موسى** عن شجرة الزيتون:

(لا تقطفوا شجرة الزيتون حتى آخر حبة، بل اتركوا عليها بعض ثمارها ليأكل منها الناس و الطيور و الحيوانات البرية)

كما ذكر في المزامير دلالات تتعلق بالزيت والزيتون،

حيث كانت وفرة الزيت دلالة على الرخاء والازدهار، كما كان نقص الزيت يدل علي القحط والجوع ، ويوصف الزيت بأنه **دهن الفرح** ، أو **دهن الابتهاج** ، ويتنبأ **حزقيال** بأن **الأنهار ستجري كالزيت**، أي تصير بطيئة الجريان لقلة ما بها من مياه ، و بأنّ **كلمات الغش والخداع هي ألين من الزيت** ، وتصبح **اللعنة عند الشرير كسريان الزيت في العظام** ، والإسراف في استعمال الزيت دليل علي التبذير ، بينما اختزانه من صفات الحكيم ، وكان الزيت يصدّر من فلسطين إلى مصر بناءً على اتفاق معها ..

كما ذكر في **سفر زكريا** من الكتاب المقدس أن جبل الزيتون والمسمى آنذاك **طور زيتا** هو المكان الذي سوف يبدأ الله منه بإقامة الموتى في نهاية الأيام .. ولذلك، فإن اليهود طالما طلبوا أن يدفنوا هناك في أعالي الجبل من أيام التوراة و إلى يومنا هذا ..

② في المسيحية :

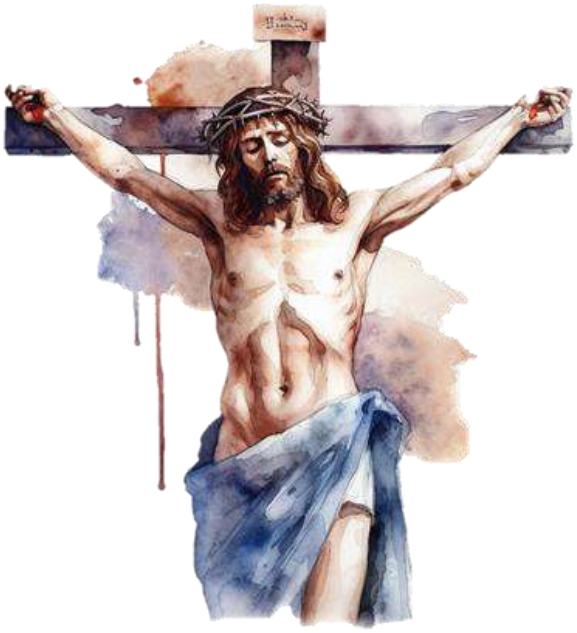

لقد ذكرت شجرة الزيتون عدة مرات في الإنجيل ،

من قبيل :

(إنه لابد لشجرة الزيتون أن تُطعم و إلا أعطت ثماراً صغيرة رديئة)

كما أنّ إحدى تفسيرات اسم المسيح أنه : (**الممسوح المجيد بالزيت** كاهناً أعظم و نبياً أسمى وملكا أكمل، لأنه يحب البرّ و يبغض النفاق) ..

و في المسيحية مصطلح شهير هو **المسحة المقدسة** حيث كان الأنبياء قديماً يمسحون الكهنة والملوك

والأنبياء بزيت الزيتون كي يحلّ عليهم روح الرب..

و الزيتونة في المسيحية ترمز إلى **الكنيسة** من حيث أنها مملوءة بهذا الزيت و تعطيه للناس .. فيقول **بولس** الرسول عن **كنيسة العهد القديم** أنها الزيتونة الأصلية، و **كنيسة العهد الجديد** بأنها زيتونة برية ..

② في الإسلام :

ذكرت شجرة الزيتون في **6** مرات صريحة و مرة بالإشارة في النص القرآني، ووردت أحاديث نبوية عديدة تمتدح الزيتون ..

و لعلّ أبرز آية ذكر فيها الزيتون و أغربها هي الآية التي وصفت النور الإلهي في سورة النور :

(الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة

فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها

كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية

و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نورٌ

على نور يهدي الله لنوره من يشاء)

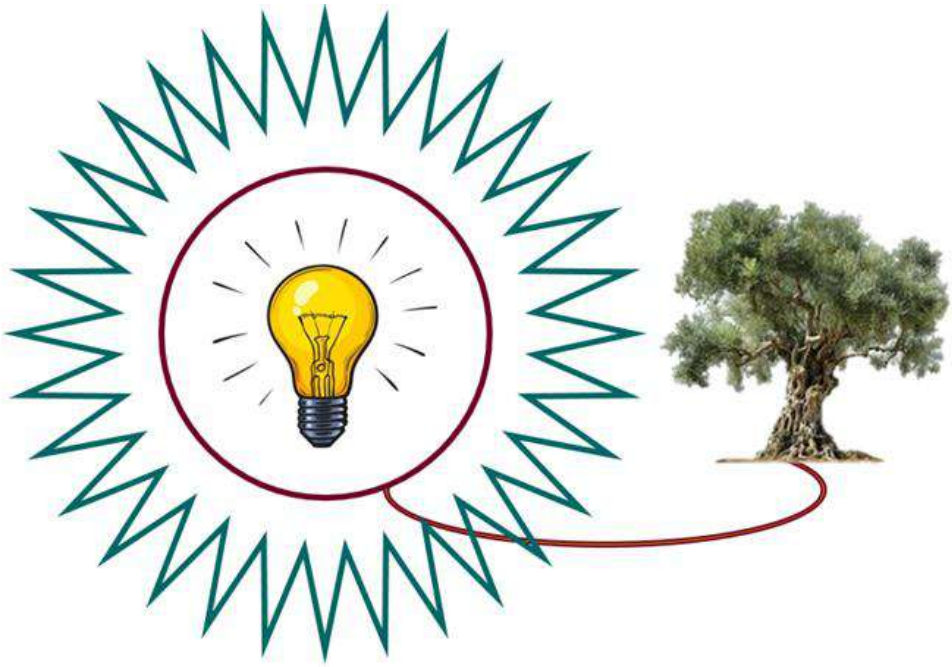

و لا يزال البشر حول العالم يحاولون معرفة سرّ ذلك النور الثاني غير النور الإلهي الذي ذكره البارئ في آيته و جسده بشجرة الزيتون المقدسة و المباركة !!

❁ معلومات غريبة عن شجرة الزيتون :

◉ **الجفت** هو بقايا الزيتون بعد عصره واستخراج زيت الزيتون منه.. و يقوم الناس بتجفيف ذلك المستخلص من البقايا واستخدامه بدلا من الفحم أو الحطب في المدفئة ، تماماً كما يستخدم الفحم ، و في الواقع الجفت أفضل من الفحم الأسود بكثير لأنه مستخلص طبيعي لا يضرّ ..

◉ **الزيتونة في تفسير الأحلام** : جاء في **كتاب تفسير الأحلام الشهير لابن سيرين** أنّ من رأى الزيتون في منامه فإنه رجل مبارك نافع لأهله إن كان الحالم ذكراً أو امرأة شريفة إن كان الحالم أنثى أو ولادة شخص هام إن كانت حاملاً ، كما أن شجرة الزيتون في الحلم تدلّ على الرزق السهل القادم و النعيم المرتقب مع السرور التام ..

◉ **الزيتون في الأمثال الشعبية** : ذكر الزيتون و زيته كثيراً في الأمثال الشعبية من قبيل :

- **لا أحد يقول عن زيته عكر ..**
- **شجرة الزيتون كما أنت تريد منها هي تريد منك ..**

- **أخضر الزيتون ولا يابس الحطب ..**
- **سيل الزيتون من سيل كانون ..**
- **متعب كقطاف الزيتون و رصّه ..**

◉ ترمز أغصان شجرة الزيتون للسلام العالمي وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع الحمامة التي دائماً ما كانت تحمل غصن زيتون في منقارها للدلالة على الرغبة بالسلام ، كما أن الكثير من الرموز والأعلام العالمية تحاط بغصني زيتون متقاطعين من الأسفل كعلم الأمم المتحدة و علم جامعة الدول العربية و علم المكسيك و بيليز و أريتريا و غيرها ..

◉ يقدّر عدد أشجار الزيتون في العالم بقرابة المليار شجرة ، والغالبية العظمى من هذه الأشجار موجودة في بلدان البحر الأبيض المتوسط ..

◉ أكبر منتج للزيتون في العالم هي **إسبانيا** ثم **إيطاليا** ثم **اليونان** .. كما توجد **سوريا** و **تونس** في قائمة العشرة الأوائل ..

◉ الزيتون يستخدم كاسم علم مذكر و مؤنث في كثير

من اللغات و لعلّ أشهر اسم فيها هو أوليفر **OLIVER** المشتق من كلمة زيتون باللغة الإنجليزية **OLIVE**

◉ من أشهر المعالم العالمية المرتبطة بالزيتون هو جامع الزيتونة في تونس و جبل الزيتون في القدس ، و زيتونة **القديس الامازيغي أوغسطين** في **سوق أهراس الجزائري** ، و يشاع عن هذه الزيتونة أن القديس أوغسطين كان يتعبد الله و يدرس في فيئها في القرن **4** ميلادي ..

◉ اليوم العالمي لشجرة الزيتون هو **11/26** تشرين الثاني / نوفمبر من كل عام ..

◉ أشهر شخصية تلفزيونية حملت اسم زيتونة هي زوجة رجل البحار **باباي** و مغامراته المثيرة ..

◉ إضافةً إلى استخدام الزيتون و زيته في الطعام فقد شاع استخدامه كرمز للمشروبات الروحية ، حيث توضع حبة زيتون مغروزة بعود فيها ..

❁ فوائد الزيتون و زيته للإنسان :

للزيتون قائمة طويلة للغاية من الفوائد لصحة الإنسان ، نذكر أشهرها :

① الحفاظ على صحة القلب و الشرايين :

و ذلك عن طريق تقليل الكولسترول السيء و رفع مستوى الكولسترول الجيد.. و هذا يساعد في تعزيز صحة القلب والشرايين وحمايتها من الجلطات ، و

يساعد على جعل شرايينك أكثر مرونة مما يساعد في مقاومة السكتات الدماغية و القلبية..

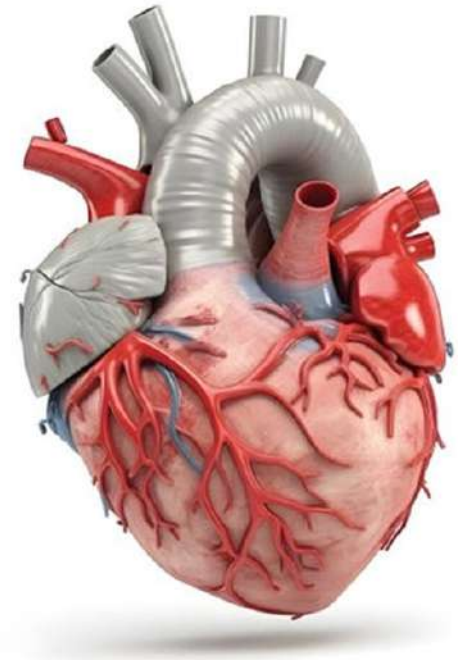

② تقوية المناعة و محاربة الجذور الحرة :

باحتواء الزيتون على مضادات الاكسدة من فيتامين

A وفيتامين **E**، تظهر فوائد زيت الزيتون في مكافحة الالتهابات وتعزيز المناعة عن طريق مكافحته للجذور الحرة السامة .. كما أُثبت مؤخراً دوره في الوقاية من سرطان الثدي تحديداً، فزيت الزيتون يحتوي على مواد تعمل على مقاومة وقتل الخلايا السرطانية وتدميرها..

③ تحسين مستوى الذاكرة :

حيث يحتوي الزيتون على مادة **بولي فينول** و مواد تحارب الجذور الحرة وتقلل الاكسدة في خلايا الدماغ

ومن أهمها فيتامين **E** .. كما وجدت بعض الأبحاث دوراً لزيت الزيتون في الوقاية من الزهايمر ..

④ فقدان الوزن و السيطرة على الشهية :

يحتوي الزيتون على كمية منخفضة من السعرات الحرارية و هو مصدر جيد للدهون الصحية غير المشبعة .. وهما عاملان قد يعززان فقدان الوزن من خلال تقليل الجوع عند تناولها و المساعدة على الشعور بالشبع و تقليل كمية الطعام المتناول لاحقاً وخاصة السكريات، و استبدال الدهون الأقل صحية في نظامك الغذائي ..

⑤ علاج فقر الدم :

يعد الزيتون مصدر جيد للحديد، و كما نعلم الحديد يدخل في تركيب خضاب الدم (الهيموغلوبين) ..

⑥ محاربة علامات الشيخوخة و تعزيز صحة البشرة و الشعر :

للزيتون خواص هامة في المحافظة على البشرة و مرونتها و حفظ رطوبتها و نعومتها بسبب احتوائه على **حمض الأوليك ..** و بوجود مضادات الاكسدة القوية أيضًا مثل فيتامين **E** ، يتم القضاء على الجذور الحرة و محاربة علامات الشيخوخة و التجاعيد و الترهلات و المحافظة على البشرة ناعمة وصحية .. كما وجد لزيت الزيتون دور في علاج الأكزيما وتشقق الأيدي والأرجل وعلاج حروق الشمس .. كما يعد مفيداً جداً لفروة الرأس و الشعر، فهو يمنع جفاف الشعر و يرطب فروة الرأس الجافة..

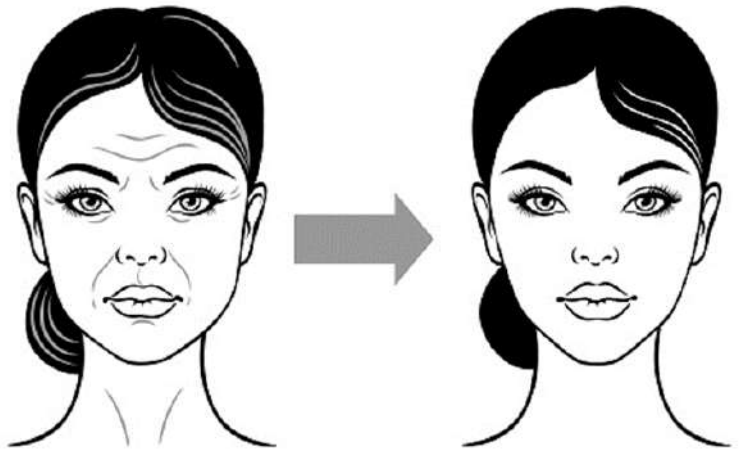

⑦ دعم الجهاز الهضمي :

إن الزيتون يحتوي على نسبة منخفضة من الكوليسترول

و مصدر جيد للألياف الغذائية التي يحتاجها الجسم لصحة الأمعاء فيمنع حدوث الإمساك ..

⑧ تقليل الالتهاب :

يلعب الالتهاب المزمن دوراً رئيسياً في العديد من الأمراض، بما في ذلك التهاب المفاصل الروماتويدي و الصدفية.. و الزيتون مليء بمضادات الأكسدة التي ثبت أنها تساعد في علاج الالتهابات المزمنة و تخفيف أعراض هذه الأمراض و غيرها..

⑨ غنيّ بالفيتامينات و المعادن :

الزيتون غني بالفيتامينات و المعادن الضرورية مثل:

الكالسيوم و الصوديوم و البوتاسيوم و المغنيسيوم و الحديد و الفوسفور و الكبريت و النحاس و اليود ..

و كما ترى عزيزي القارئ ففوائد ثمار الزيتون و زيته متنوعة و تشمل مختلف أجهزة الجسم و وظائفه ، و نادراً ما تجد ثماراً بهذه الخصائص ، فأغلب الثمار تفيد عادةً ضمن نطاق محدد .. مما يجعلنا نفهم أكثر لماذا شجرة الزيتون مباركة ، دون أن ننسى **صفاتها الظاهرية العظيمة** من **قوة و ثبات و ديمومة** ، و **صفاتها الباطنية الفريدة** من **خير و عطاء و حكمة و سلام** .. إنها بالتأكيد ليست شجرة السماء غير المنحازة

للشرق أو للغرب بل تحمل العالم كله في عيونها بمحبة وحنان من فراغ !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الزيتونة**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الزيتون شجرة عادية كغيرها ، و إطراء الناس عليها مبالغة عاطفية على خلفية دينية لا أكثر ..

بل أن نقول :

= الزيتونة هي شجرة السماء المباركة و المقدسة بسبب فوائدها العارمة للإنسان و صحته ، و لأنها تمتلك

كوكبة فريدة من الصفات الظاهرية و الباطنية لا نجدها في أي شجرة أخرى ..

يقال أنه لا رهبنة في الإسلام **فالزواج نصف الدين** و بأن **على كل مسلم أن يتزوج وفق سنة الله و رسوله** .. لذا عليك عزيزي القارئ العازب أن تبحث عن فتاة مميزة ترتبط بها ، اخترها بعناية ، بحيث تشبه شجرة الزيتون بقوة شخصيتها .. خيرة و معطاءة كحالها .. مفعمة بالحب و الحكمة مثلها .. و الأهم أن تمنحك السلام الداخلي العارم الذي يحيل حياتك جناناً فتعمّران سوياً لسنين طوال ..

مغالطة نجوم على الأرض

(السديم و التراب)

= ما أخبارك يا صديقي ؟

= نشكر الله على كل حال ، للأسف تعطل حاسوبي منذ يومين ، و لدي كثير من العمل لإنجازه عليه .. و لا أملك سيولة مالية حالياً تمكنني من شراء حاسوب جديد

= تشتري حاسوباً جديداً ! لماذا ، قم بتصليح حاسوبك ؟

= لقد عرضته على خبير بهذه الأمور و فحصه ثم أخبرني بأنّ هنالك قطعة صغيرة لا يتجاوز حجمها **2** سم و بخسة الثمن متضررة فيه ، و لن يعمل الحاسوب بدونها..

= مشكلتك محلولة إذاً ، اشترِ هذه القطعة ، لماذا كل هذا الحزن و الغمّ و التفكير بشراء حاسوب جديد !!

= يا صديقي هذه القطعة الصغيرة غير متوفرة في البلاد بسبب العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ..

= و الحلّ ؟!

= لا حلّ ، سأستدين **5** ملايين ليرة من قريبي لأشتري حاسوباً جديداً ، لأنّ قطعة صغيرة بسعر **5** آلاف ليرة غير متوفرة .. يا لسخرية القدر !!

= تخيل ، حاسوبٌ كاملٌ باهظ الثمن و معقد التركيب أصبح لا يعمل و بلا قيمة بسبب تضرّر قطعة بحجم **2** سم !! من حقك أن تحزن بلا شك ، فالموضوع مزعج بشدة ..

*****

ربما أدهشتك هذه القصة عزيزي القارئ و ربما عانيت منها بنفسك و ربما اعتبرتها مبالغة لا أكثر ، لكنها حقيقة واقعية تحدث كثيراً في الحياة اليومية و بصور مختلفة ، عندما يتوقف مصير أمور كبيرة للغاية على مصير أمور صغيرة لا يعيرها الإنسان اهتماماً في الحالة الطبيعية ، و ما يهمنا في القصة السابقة هو تشابهها الغريب مع البشر على كوكب الأرض ، و بالتحديد (قيمة الإنسان – أي إنسان - المذهلة) في البشرية ، بحيث أنه لو حُذف وجوده بالأساس من الحياة سيختلّ ميزان الحياة كلها و تتشوّه صورتها و ينحرف مسارها .. ربما تشكك كثيراً في هذا الكلام الغريب و هذا مبرّر، و مهمتي في هذه المغالطة الجديدة (**نجوم على الأرض**) أن أثبت لك هذه الحقيقة ، بأنّ كل إنسان عاش و يعيش و سيعيش على هذه الأرض ذو قيمة هامة للغاية لا تعوّض ، و بأنّ وصف بعض البشر

لأنفسهم أو وصف الآخرين لهم بأنهم :

(تكملة عدد لا أكثر في الحياة)

هو من أكبر مغالطات الحياة و غير صحيح على الإطلاق .. لذا اعتدّ بنفسك عزيزي القارئ و ارفع رأسك عالياً نحو السماء كي ننطلق سوياً في رحلتنا الشيقة القادمة لإثبات (القيمة الحقيقية العظيمة لكلّ إنسان) في هذه الحياة ..

نبدأ رحلتنا عزيزي القارئ بسؤال تمهيدي : **هل تعلم بالضبط كيف تتكون النجوم في الفضاء الكوني ؟!**

الحقيقة أن هذه العملية بسيطة للغاية يمكن اختصارها بجملة مقتضبة :

(سديم يعطي نجم يعطي سديم)

و هكذا في حلقة متكررة تتوالد فيها النجوم من بقايا بعضها فتحمل جينات أجدادها باستمرار و دون توقف !!

لكن لحظة .. ما هو هذا السديم بالأساس ؟!

السديم هو عبارة عن سحابة عملاقة من الغاز تطفو في الفضاء ، مع مرور الوقت تميل أجزاء من هذه السحابة للتكاثف و التقارب من بعضها بفعل قوى الجاذبية ، و مع تطور هذه العملية تنقسم السحابة إلى عدد من الكرات الغازيّة العملاقة الكثيفة فتجذب إليها مزيداً من

الغاز و بذلك تولد (**النجوم**) لكنها هنا لا تزال في مرحلة الطفولة .. أما ما تبقى من السحابة حول النجوم فتتكاثف لتشكل كواكب و أقمار و غيرها..

عندما يزداد حجم الكرة الغازية كثيراً يصبح وزنها ثقيلاً للغاية مع كمية هائلة من المادة تنجذب نحو مركزها حتى تنهار النجوم في النهاية على نفسها عبر عملية هامة في حياة النجوم و هي (**الاندماج النووي**) أي اتحاد ذرات الهيدروجين لتشكيل الهليوم ، محررةً كميات هائلة من الطاقة على شكل :

- موجات كهرومغناطيسية ..
- ضوء صادر عن النجوم ..
- حرارة منبعثة من النجوم ..

يستمر النجم في حياته هذه كنجم بالغ لملايين السنين على هيئة مفاعل نووي عملاق ، و في المراحل

الأخيرة من حياته يستنفذ كل ما في داخله من ذرات الهيدروجين أي يفقد الوقود الضروري لإنتاج الطاقة فتتوقف التفاعلات النووية في داخله ليدخل سنّ الشيخوخة حتى تنتهي حياته بالانفجار معطياً سديماً جديداً و يتحول ما بقي منه إلى **قزم أبيض** أو **نجم نيوتروني** أو **ثقب أسود** حسب طبيعة النجم الأساسية، فالنجوم نوعان من حيث الحجم :

❁ **نجم عادي** يتطور إلى **نجم أحمر عملاق** ثم ينفجر إلى (قزم أبيض) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

❁ **نجم كبير** يتطور إلى **نجم أحمر فوق عملاق** ثم ينفجر كمستعر أعظم (سوبرنوفا) إلى (نجم نيوتروني أو ثقب أسود) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

و هذه باختصار حياة النجم من السديم المهد إلى السديم اللحد الذي تنشأ منه نجوم جديدة مرة أخرى و هكذا..

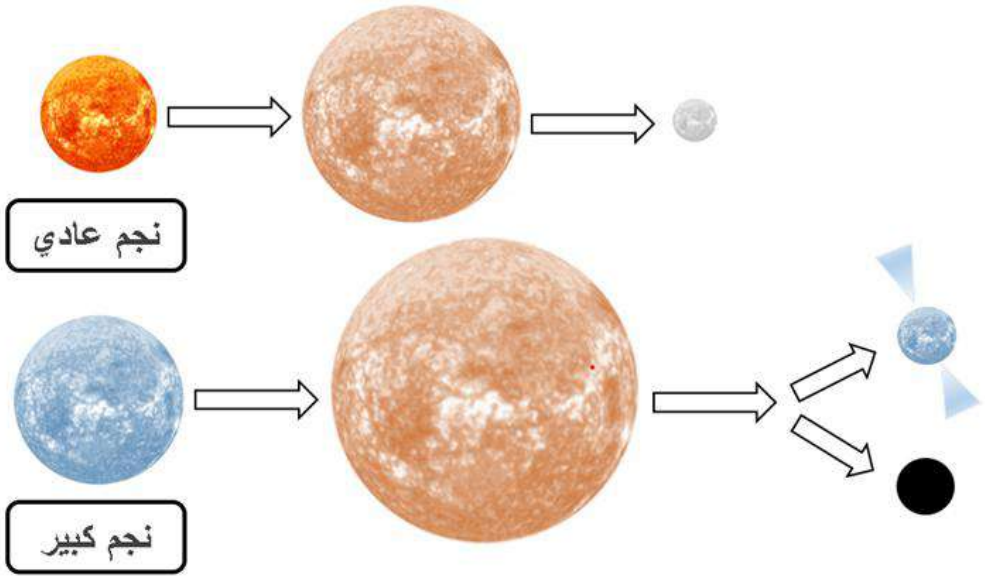

أدرك جيداً عزيزي القارئ أنك تسأل نفسك الآن ، و ما علاقة حياة النجم هذه بموضوع مغالطتنا ؟! و الحقيقة أنّني أريد أن ألفت انتباهك إلى هذا التشابه الغريب بين حياة الإنسان و حياة النجم ، فالنجم (**من السديم إلى السديم**) و الإنسان (**من التراب و إلى التراب**) أي أنه خلق من تراب و سيعود جثمانه ليدفن في التراب و يتحلل إلى تراب .. أليس هذا غريباً و مذهلاً !!

و من هذا التراب الجديد تتغذى النباتات على وجه الأرض لتتغذى عليها الحيوانات ثم يتغذى الإنسان على الاثنين ، بمعنى **أن الجزيئات التي شكلت أجساد أجدادنا ستعود لتشكل جزيئات أجسادنا** في حلقة مفرغة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة البشرية ، تماماً كحلقة حياة النجوم ، و كما وصف الشاعر العبقري **أبو العلاء المعرّي** ذلك بقوله :

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ الـ

أرض إلا من هذه الأجساد

و قبيحٌ بنا و إنْ قَدُم العهدُ

هوانُ الآباء و الأجداد

سِرْ إن اسطعت في الهواءِ رُوَيداً

لا اختيالاً على رُفات العباد

رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً

ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

فما التراب تحت اقدامنا الذي تتغذى عليه النباتات و الحيوانات و بالتالي الإنسان إلا من رفات من مضى من أجدادنا ، و المعلومة المذهلة أكثر هنا أنّ الجزء المتبقي من هذا التراب و الموجود قبل خلق الأحياء ما هو إلا غبار السدم نفسها أي أننا لا نحمل جزيئات أجدادنا في أجسادنا فحسب بل نشترك في أصل المنشأ مع نجوم كثيرة قريبة و بعيدة عاشت في هذا الفضاء ذات يوم .. مما يعود بنا إلى النقطة الأولى بأنّ العلاقة بين البشر و النجوم عميقة للغاية بل نحن و النجوم من سلالة واحدة ، لماذا أؤكد على هذه الفكرة ؟ لأننا ببساطة إذا أردنا أن نصف إنساناً هاماً أو ناجحاً في

الحياة فإننا نصفه بأنه نجم ..

و الحقيقة أن جميع البشر نجوم حرفياً سواء من حيث البنية الجزيئية أو الأهمية في الحياة و لا أحد أهمّ من الآخر ، فنحن نتشابه في حياتنا مع مسار حياة النجوم **(من سديم إلى سديم ، و من تراب إلى تراب)** بل نحمل في أجسادنا جزيئات من سدم هذه النجوم أيضاً ..
و هذا يعود بنا إلى فكرة مغالطتنا الأساسية : **كل إنسان في هذه الحياة ذو أهمية بالغة لا تعوّض كنجم حقيقي لكن على الأرض و قرينه في السماء..**

لكن ... لماذا كل إنسان هام بالفعل في الحياة ؟

الجواب على هذا السؤال في الحقيقة قائم على ثلاث أعمدة :

❁ **طبيعة الإنسان نفسها** : فأنت عزيزي القارئ و إن أجحفت في حق نفسك و تقديرك لذاتك و أهميتك في الحياة ، فأنت ستبقى إنساناً ، آلة عظيمة ابتدعها الخالق قادرة على اجتراح المعجزات ، على الاكتشاف و الاختراع و الإبداع ، على حل المشاكل و تغيير مصير

من حولك و التأثير في حياتهم ، إضافةً إلى عشرات الأمور الأخرى ، أي أنك ببساطة ستؤثر (كإنسان) في الحياة من حولك بشكل كبير شئت أم أبيت ، فهذا ليس بقرارك الذاتي بل بجيناتك و تكوينك البشري ، بمعنى آخر أنّ قيمتك الكبرى منحتها لك السماء عندما وهبتك **الحياة** كإنسان و منحتك **العقل** كأداة مذهلة للتفكير و التخطيط و أعطتك **الجسد** كأداة عظيمة للتنفيذ !!

❁ **الثالوث الحتمي** : كل إنسان يتنفس على هذه الحياة **سيفكر أو يقول أو يفعل** وهذه كلها ستؤثر بمن حوله ، فلن تجد أي إنسان في الحياة متجمداً كصنم لا يفعل إحدى تلك الأمور ، إلا إن كان جثة بالطبع !! فحتى النائم يتحرك و يشخر و يزعج من ينام بجواره، أليس كذلك عزيزي القارئ ؟!

❁ **كتابك في السماء عظيم بالأساس** : فلكل إنسان يأتي إلى هذه الحياة كتاب معدّ سلفاً و يناسبه على نحوٍ فريد و خاصّ به دون غيره و كأنه فصّل بالمقاس عليه ، وللإنسان في هذا الكتاب قصة فريدة من نوعها في الحياة سيقوم بتأدية أدوارها بحذافيرها خلال محطات حياته ، و الموضوع ليس قراره الذاتي ، فإن هو رأى نفسه بلا قيمة ، فالحياة لا تراه هكذا و ستدفعه بالقوة إلى الفعل و العمل و الإنجاز و تغيير حياته و حياة من حوله سلباً أو إيجاباً بحسب مراحل قصته في الحياة ، فالإنسان بلا شك سيدخل نفقه الخاص ذات يوم بتوجيه

إلهي و يتوه في الظلام لفترة من حياته كي يتعلم قداسة النور و قيمته .. لكن المهم هنا أن الإنسان بجميع الأحوال سيؤثر في الحياة بشكل هام و لن يكون تكملة عدد كما يظنّ ..

ببساطة عزيزي القارئ أنت إنسان عظيم شئت أم أبيت و القرار ليس قرارك أبداً بل السماء تريد لك أن تكون كذلك .. و يمكنني تشبيه أهمية الإنسان – أي إنسان - في الحياة بمجموعة أمثلة بليغة تصف هذه الفكرة بدقة:

❁ **الهرم** : فكل إنسان هو قطعة حجرية من مجموعة القطع التي تشكل الهرم ..

و في حال تكسّرت أي قطعة منها ستتشكل نقطة ضعف في هيكله قد تسبب لاحقاً انهيار جزء كبير منه و ربما الهرم بأكمله .. و هذه هي أهمية كل إنسان في هذه الحياة و التي يجهلها غالباً عن نفسه .. الحقيقة المغيبة :

(كل إنسان هو قطعة لا تعوض من هرم الحياة)

فلا تستهن بنفسك عزيزي القارئ أبداً ..

❁ **اللوحة الفسيفسائية** : فالحياة لوحة فسيفسائية مذهلة مؤلفة من ملايين القطع الزجاجية مختلفة الألوان التي تتحد سوياً لتشكل صورة ما ، و فقدان أي قطعة منها سيشوه اللوحة برمتها ..

❁ **الآلة** : فأية آلة نستخدمها هي عبارة عن مجموعة قطع تتحد سوياً لتنجز الهدف المحدد للآلة ، و كل قطعة فيها لا بديل عنها و لو كانت مجرد (برغي) صغير فيها ، فضياعه قد يؤدي إلى توقف الآلة عن العمل مهما كانت ضخمة و معقدة .. و هذا ما حدث بالضبط مع حاسوب صديقنا في مطلع المغالطة ..

❁ **لعبة الأحجية** : ذات القطع المتشابكة التي تشكل في النهاية بعد تركيبها صورة ما ، و الحياة ككل عبارة عن لوحة واحدة تتكون من ملايين القطع التي تتشابك مع بعضها كلغز أو أحجية تُحل تدريجياً لينكشف غموضها في النهاية فتُقرأ لوحة الحياة بوضوح .. و كل منا قطعة من هذه الأحجية ، و في حال فقدت أي قطعة منها تأثرت لوحة الحياة بالكامل ..

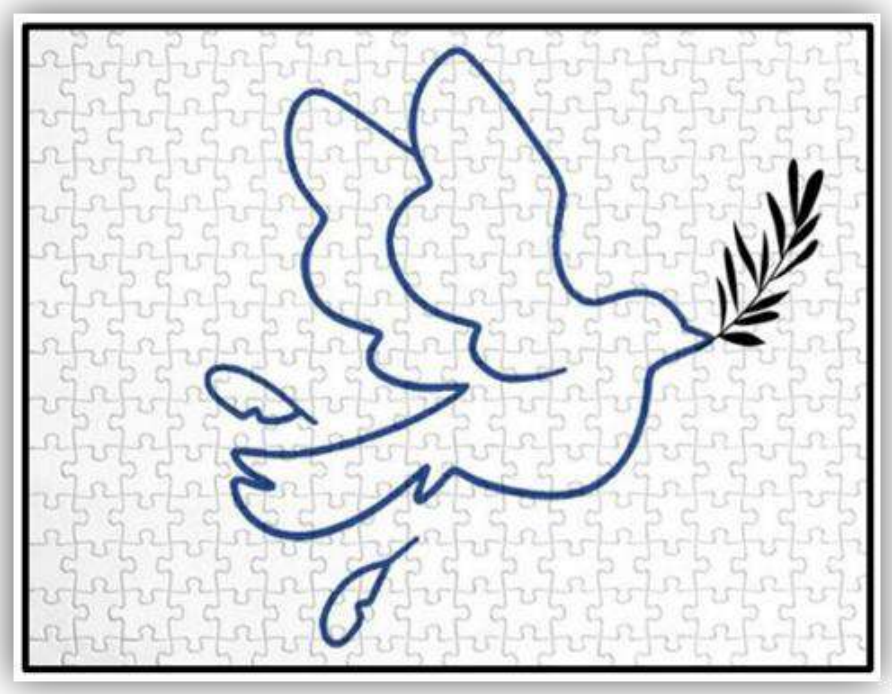

❁ **السماء ذات النجوم** : المنظر الأجمل على الإطلاق و الذي سحر الإنسان عبر الزمن و ألهمه الإبداع الكثير مع الأنوار التي تملأ ظلام الكون .. فكل نجم مضيء في هذا الكون يجسد إنساناً عاش في هذه الحياة ُصقل النور في داخله ثم ارتقى نحو الأعلى ، و تجتمع كل مجموعة نجوم معا لتشكل

مجرة تمثل عائلة أو مدينة أو بلداً ما ، كما تتفاعل هذه النجوم مع بعضها كتفاعل العناصر الكيميائية لتجسد حكايات و قصص الحياة بين البشر عبر التاريخ ، و من حقائق الحياة الكبرى أنّ أسرار الأرض معكوسة في السماء ، فكل ما جرى و يجري و سيجري على سطح كوكب الأرض مجسّد بطريقة ما في الفضاء من خلال علاقة النجوم ببعضها و المجرات ببعضها، فلا شيء على الأرض أو في السماء يحدث بشكل عبثي أو مصادفة ، و يبدو أنّ علاقتنا بالنجوم ليست مادية فحسب بل معنوية أيضاً فتجمعنا ذات القصص !!

❁ **المحيط**: فكل إنسان سيأتي إلى هذه الحياة هو عبارة عن قطرة من هذا المحيط تنتقل مع أمواج الحياة الدنيا إلى شاطئ الحياة الآخرة في رحلة ممتعة ، و إن تمكن الإنسان خلال رحلته من إدراك قيمته و

أهميته الحقيقية في الحياة سينطبق عليه قول المتصوف الكبير **جلال الدين الرومي** :

(أنت لست قطرة في محيط ، بل أنت المحيط كله في قطرة)

و يبلغ الإنسان هذه المرحلة عندما يصل إلى ذروة التصوّف فيتحد بالذات الإلهية .. ليكون حاملاً بحق لجزء من روح الله التي نفخها في جسده عند خلقه ..

❁ **نبات الذرة و السنبلة**: فكل إنسان في هذه الحياة

هو حبة من هذه النباتات تجتمع سوياً لتشكل معاً عرنوساً أو سنبلة ..

و كل حبة منها هامة لدرجة أنها إن دفنت تحت التراب فستنبت منها محاصيل مع الزمن، و هذا هو تأثير أفكارك و أقوالك و أفعالك على الحياة في زمنك و في الأزمنة التالية بعد رحيلك تتوسع و تؤثر عابرةً لحدود المكان و الزمان و الأشخاص..

و هكذا فلكلّ إنسان في هذه الحياة قصته الفريدة التي لا تشبه أحداً و أهمية بالغة أرادتها له السماء ، و مهما قلل من نفسه و أهميته فالسماء لن تفعل ذلك و سترافقه بيده بحنوّ من اللحظة التي تبصر فيها عيناه النور في الحياة

حتى اللحظة التي تغمض فيها عيناه إلى الأبد عن هذه الحياة .. و ما بين تفتيح عينيه و إغماضهما قصة حياة مميزة مفصّلة على مقاسه إن أدرك فيها قيمته فزهد بالدنيا و تصوّف حتى يتحد بالذات الإلهية سيغدو محيطاً في قطرة لا قطرة في محيط الحياة كنجم لامع على الأرض ، و القرار قراره ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**نجوم على الأرض**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لماذا خلقني الله على هذه الأرض ؟ لا قيمة لي ، أنا مجرد تكملة عدد لا أكثر ..

بل أن نقول :

= أنا إنسان مميز لا أشبه أحداً و في كتابي السماوي قصة حياة فريدة مفصّلة بالمقاس عليّ كمغامرة مثيرة سأعيشها على الأرض ، سأفكر و أقول و أفعل فيها الكثير لأترك بصمتي في الحياة و أؤثر فيمن حولي بل في أناس آخرين لم أعرفهم في بقاع جغرافية بعيدة ربما بل في أزمنة مختلفة .. و عليّ أن أدرك قيمة نفسي و أهميتي جيداً كما تراني السماء بالضبط ..

عندما تنظر عزيزي القارئ في المرآة فتجد نفسك قبيحاً و بلا قيمة ، فالعيب هو في المرآة لا في شخصك

كإنسان ، لأنّ **هذه المرآة ببساطة هي عيون البشر الآخرين و أنت تستمد قيمتك من أفواههم لا من حقيقتك** ، لذا ببساطة بدّل هذه المرآة إلى **مرآة السماء و ستذهل من الإنسان الجميل الذي يحدق بك فيها و لن تصدق مدى الأهمية البالغة التي يشكلها شخصك في الحياة !!** و القرار قرارك أي المرآتين ستختار ؟

في دولة **تايلند** يقام سنوياً مهرجان مميز يدعى (**مهرجان الأنوار**) حيث يقوم كل مواطن بإطلاق بالون مضاء بمصباح إلى السماء ، في ظاهرة لا مثيل لها تلخّص فلسفة الحياة كلها بأنّ كل إنسان فيها هو فيض نوراني من النور الإلهي أتى منه و سيعود إليه كما يقول بيت الشعر الأيقوني التالي :

نزعت عنك رداءً كنت تلبسه

من التراب و عاد النور للنور

فكيف تشعر عزيزي النجم بالضعف أو عدم الأهمية و القيمة و فيك من روح الله ما يجترح المعجزات ؟!

مغالطة حصان طروادة

(الأسطورة و الخرافة)

= أخيراً أتت سنة **2024** ..

= و ما المميز فيها ؟!

= إنها سنة تنين الخشب الصيني .. سنة حظي !!

= و هل تؤمن بهذا الكلام ؟

= لا أؤمن و لا أنفي .. لكنني على كل حال أتفاءل بأسطورة التنين فهو يمدني بالطاقة الإيجابية ..

= التنين ليس أسطورة يا صديقي ..

= ماذا إذاً ؟ هو حقيقة ؟!

= و ليس حقيقة أيضاً ..

= حيرتني .. ماذا تصنفه بالله عليك ؟!

= التنين خرافة و ليس أسطورة ..

= و ما الفارق بينهما ؟

= فارق كبير ..الأسطورة حكاية خيالية بنيت على أحداث حقيقية ، أما الخرافة فهي حكاية خيالية بالمطلق بلا أي جذور واقعية لها ..

= لم أفهم تماماً ، هل لديك مثال يوضح ذلك أكثر ؟

= بالطبع ، اعتقد الإيرلنديون منذ زمن بأنّ أن تربة باحة كنيسة محلية في **بوهو** بإيرلندا تشفي جروح المرضى بقداستها .. و مع تقدم الزمن اقتنعت الأجيال الجديدة بأن هذه محض خرافة، حتى جاء عام **2018** و فيه أثبت العلماء صحة هذه الإشاعة و بأنها ليست خرافة على الإطلاق، بعدما اكتشف **الدكتور جيري كوين**، عالم الأحياء الدقيقة الشهير، سلالة من الكائنات الحية الدقيقة تدعى **ستريبتو مايسيز** تعيش في تربة باحة الكنيسة ..

و هذه الكائنات تُستخدم اليوم لصنع المضادات الحيوية ، مما يعني أنّ هذه الكائنات الحية الدقيقة التي وجدها الدكتور كوين كانت تقتل بالفعل مسببات الأمراض الثلاثة الأولى التي حددتها منظمة الصحة العالمية كتهديد رئيسي للبشرية .. أي أن التربة تشفي بالفعل لأسباب علمية و ليس لقداستها، أي أنها حقيقة نسجت حولها أسطورة ، لكنها ليست خرافة !!

= الآن فهمت .. أشكرك على هذه المعلومة القيمة السريعة ..

*****

الأسطورة ..

تلك الكلمة الساحرة التي تنبعث منها روائح عبقة تداعب تلافيف العقول من الرهبة و الغموض .. و التي صاغتها مخيلات البشر منذ العصور السحيقة ليفسروا من خلالها ما عجز العقل البشري عن تفسيره .. فشرحوا عبرها كيفية حدوث الظواهر الطبيعية من حولهم من أعاصير ، براكين ، زلازل و غيرها .. كذلك ردوا كل ما يحدث في حياتهم من خير أو شر إلى قواها الغيبية التي تقطن السماء في كافة الأساطير حيث لا يمكن للإنسان أن يصل إليها هناك ليثبت حقيقة الأسطورة أو ينفيها .. لتبقى بذلك على ما هي عليه كأسطورة عبر الزمن .. لا تراها العين لتؤكدها .. لكنها أيضاً ليست وهماً أو خرافة بشكل حاسم .. فالأسطورة

حكاية تتأرجح بين الشك و اليقين على نحوً غامضً و ساحر عشقه البشر على مر الزمان ..

لقد آمن القدماء بالأساطير .. عبدوها .. تناقلوا قصصها عبر الأجيال .. تضرعوا إليها .. قدموا إليها القرابين كي ترضى .. و كل ذلك لهدفٍ واحدٍ عند جميع الحضارات :

((الشعور بالأمان بأنهم محكومون بقوة خارقة قادرةعلى كل شيء ، و الشعور بالأمل بأن هناك حياةً أخرى تنتظرهم بعد الموت))

تشعبت الأساطير بين الشعوب بمرورِ السنين كمتاهة و أخذت تتسلق جدران التاريخ متوسعةً جيلاً بعد جيلٍ ، كلٌ يضيف روايات جديدة على روايات الجيل الذي سبقه .. فألهها الإغريق .. و شرب الإسكندنافيون النبيذ على شرفها .. استمد منها الفراعنة قوةً جبارةً لبناء هياكل عملاقة تليق بها و أسكنوها فيها .. و رقص الأفارقة على إيقاع الطبول ابتهاجاً بها و ابتهالاً لها .. نشرها الفينيقيون بمغامراتهم البحرية .. و أسكنها البابليون نجوم السماء .. عبدها الفرس كالنار .. و ربطها الهنود و الصينيون بكل تفاصيل حياتهم .. كما خشاها هنود الأمريكيتين فقدموا طابوراً طويلاً من القرابين البشرية كرمى لها كي ترضى عليهم فترحمهم ..و هذه الأساطير هي جوهر مغالطتنا

الجديدة (**حصان طروادة**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل الأساطير عبارة عن حكايات مختلقة بالكامل و لا أساس لها من الصحة على أرض الواقع كما يشاع بين الناس أم أنّ هذا التصوّر مجرد مغالطة كغيرها ؟!)

في الحقيقة و في خضم الحديث السابق كله عن الأساطير ، هناك أمر مهم مستتر في زواياها محجوباً عن التفكير البشري يجب أن نخرجه إلى الضوء فنكشف النقاب عنه بخصوص جميع هذه الأساطير العجيبة القادمة من تلك العصور السحيقة :

بأنّه لا دخان بلا نار ..

و لا مطر بلا غيوم ..

إذ ثمّة بالفعل شيء مؤكد و ثابت يجمع كل أساطير العالم :

((عندما نعود إلى جذورها سنجد حقيقةً ما خُلقت منها تلك الأساطير ثم نسجت عليها حكاياتها المذهلة))

فالأسطورة تختلف عن الخرافة بأنّها تضم بعض

الحقائق التاريخية كقصة **حصان طروادة** مثلا التي حدثت بالفعل ، لكن نسجت حولها لاحقاً الكثير من الاحداث المختلقة و الزائفة التي لعبت فيها الأساطير الدور المحوري ..

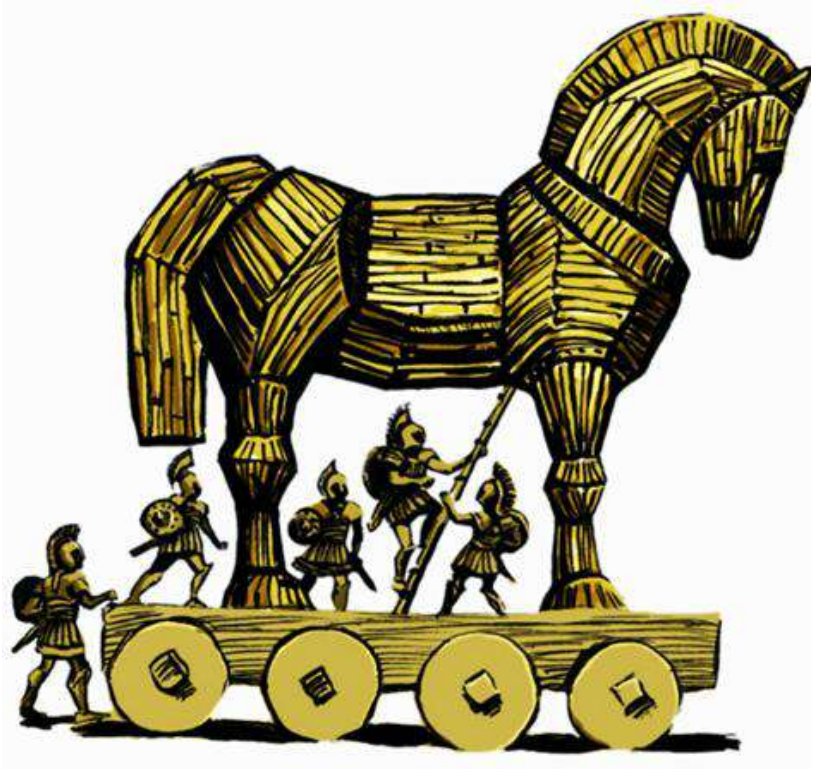

و من هذا المنطلق نرى كيف عرّف الأديب الفرنسي العريق **فيكتور هوجو** مصطلح الملحمة كحال **إلياذة هوميروس و إنيادة فرجيل** بقوله :

((هي التاريخ ينشد على باب الأسطورة))

ولم يقل الخرافة لأن الأسطورة تتضمن حقائق تاريخية حدثت بالفعل ، أما الخرافة فهي مختلقة بالكامل من جميع زواياها ..

لذا احترس عزيزي القارئ .. فالأساطير تحوم حولك و قد تنطق في أي لحظة عندما يحين الوقت المناسب لتروي لك قصتها الحقيقية التي تنبض بالحياة ، فتجيب على سؤال مغالطتنا بلسانها.. بل الحقيقة آن الآن أوان دفاع الأساطير عن نفسها و كشف أسرارها الغامضة و ذلك في مغالطتنا الشيقة هذه.. فخلال الصفحات التالية سنتطرق إلى مجموعة من هذه الأساطير كي تجيب بنفسها عن سؤال مغالطتنا:

(هل هي خرافة أم فيها من الواقع الكثير؟)

فهيا بنا عزيزي القارئ نبحر في عوالم هذه الأساطير الغامضة لنتعرف على أشهرها..

❁ **أسطورة الفيضان العظيم** : رغم أن قصة فيضان نوح مذكورة في الكتب السماوية بوضوح و بشكل متشابه ، إلا أنّ كثيراً من الملحدين يشكك في صحتها ، لكن الحقيقة الهامة هنا أنّ هذه القصة ذكرت قبل الأديان السماوية عند حضارات كثيرة على هيئة أساطير ، فالحضارات القديمة كالإغريقية و البابلية و الهندوسية جميعها اتفقت على أن هناك طوفاناً حدث على الأرض بسبب خطايا و فساد البشر، وأنه كان عقاباً من الآلهة و نجا منه شخص بسفينة ضخمة صنعها، ففي اليونان نجا **ديوكاليون** وزوجته **بيرو** من الطوفان عن طريق سفينة صنعها ديوكاليون بنفسه ، وفي الهندوسية يُدعى البطل **مانو** الذي بنى سفينة كي ينجو بنفسه مع بعض مخلوقات الله الأخرى من الطوفان .. و رغم اختلاف

أسماء الشخصيات بين الحضارات فالمضمون شبه واحد، طوفان ضرب البشرية عقاباً على خطاياهم، ونجا منهم شخص باستعمال سفينة ضخمة صنعها.. فكيف اتفقت البشرية على قصة واحدة إن لم تكن جذورها في الماضي حقيقية بالفعل !!

❁ **أسطورة يونيكورن** : أو الحصان وحيد القرن ، و الذي يملك قدرات سحرية لا مثيل لها، فهذا المخلوق قديماً لم يكن خيالياً ، فالرومان والإغريق كانوا يعتبرونه مخلوقاً حقيقياً، ويرجع ذلك إلى رحلات المستكشفين الذين عادوا بحكايات عن هذا المخلوق، و من هؤلاء المستكشفين نجد **بليني الأكبر** الذي وصفه في كتابه فقال : (اصطاد الهنود الأوروبيون وحشاً

شديد الشراسة يُدعى **مونوسيروس**، له رأس يشبه رأس الأيل، وأقدام كأقدام الفيل، وذيل يشبه ذيل الخنزير، وبقية جسمه يشبه جسم الحصان، وله قرن واحد على أنفه) .. و كلمة مونوسيروس ترجمت إلى وحيد القرن أو أحادي القرن ويعتقد أن الحيوان المقصود هنا هو حيوان وحيد القرن و تحديداً **وحيد القرن الهندي** ..

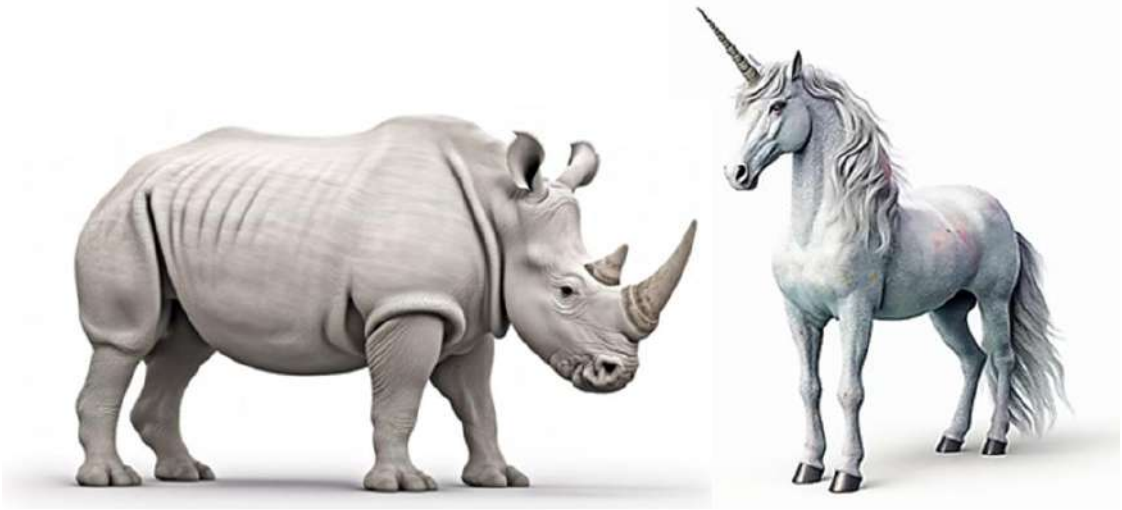

❁ **أسطورة دراكولا** (**مصاص الدماء**) : اشتهرت شخصية (دراكولا مصاص الدماء) بأنها مجرد أساطير وخرافات تطورت في أذهان الشعوب عن رجل بأنياب يعيش في الظلام و يمتص دماء ضحاياه لكن تقتله الشمس أو طعن قلبه بوتد خشبي، واستخدمها المؤلفون لتقديم أفلام سينمائية، وذلك بعد ظهورها للمرة الأولى في رواية الكاتب الأيرلندي **برام ستوكر** عام **1897** بعنوان (الذي لا يموت)، ثم جرى تعديلها عقب ذلك إلى (دراكولا)، والتي لا يوجد منها سوى نسخة واحدة طرحت قبل عدة سنوات في مزاد علني،

ولكن الحقيقة أن دراكولا شخصية حقيقية، و تولى حكم **رومانيا** في القرن **15**، حيث اعتبره الرومانيون بطلاً قومياً أنقذ أوروبا من الغزو العثماني، بينما نظر إليه البعض على أنه مجرم أنهى حياة أكثر من **100** ألف شخص دون رحمة أو شفقة ..

اسمه الحقيقي **فلاد الثالث**، حكم رومانيا لفترات متقطعة امتدت إجمالاً حوالي **7** سنوات ، ولُقب بدراكولا، لانضمامه لما يُسمى **بعصبة التنين** ، التي كانت اتحاداً سرياً ضم مجموعة من أمراء و نبلاء أوروبا الوسطى و الشرقية للوقوف ضد المدّ العثماني، ويعني اسم دراكولا باللاتيني (ابن التنين) ، أما في الرومانية الحديثة فتعني (ابن الشيطان) .. و قد اشتهر باسم فلاد المخوزق لأنه كان يعتمد الخازوق كوسيلة لقتل ضحاياه ، كما كان يخلط دماءهم بالخمر و يستلذ بشربه !!

❁ **أسطورة الفضائيين** : يعتقد كثير من البشر أن المخلوقات الفضائية هي مجرد أسطورة ، و الحقيقة أن هنالك عشرات الأدلة الدينية و العلمية و براهين الاكتشافات الأثرية و الحوادث الغامضة تعزز حقيقة الفضائيين فتجعلنا على أقل تقدير لا نرفضها و نعتبرها خرافة ، بل نقول عنها أسطورة لها ما يدعمها على أرض الواقع ..

❁ **أسطورة السلحفاة الذهبية** : آمن **الفيتناميون** القدماء أنها كانت تعيش في بحيرة **هوان كيم** في بلادهم، و قيل إنها ظهرت أمام الإمبراطور **لو لوي** لتمنحه سيفاً وعادت مجدداً للظهور لاستعادته بمجرد انتصاره في الحرب.. لم يرى أي فيتنامي سلحفاة ذهبية في هذه البحيرة لقرون حتى عام **1967** عندما أمسك صياد بواحدة بالصدفة و ضربها بعتلة حديدية حتى

الموت.. ليكتشف الفيتناميون أنها لم تكن محض خرافة ، صحيح أن قصة الامبراطور و سيفه لا دليل على صحتها لكن لأسطورة السلحفاة جذور حقيقية كما تبين

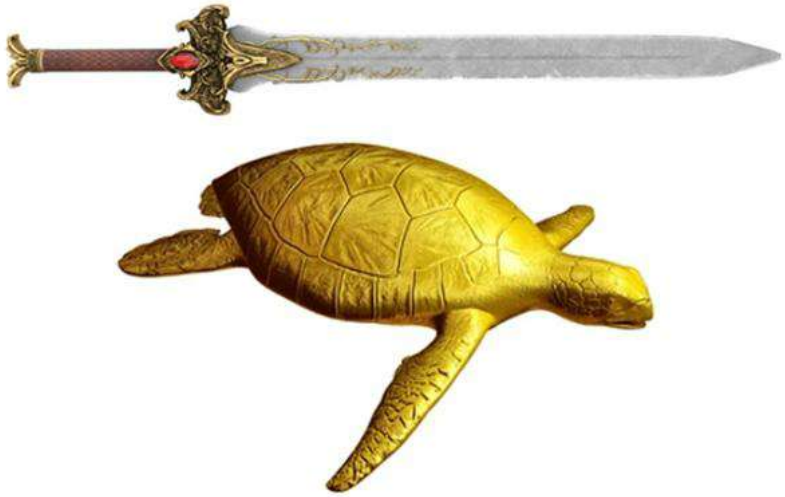

❁ **أسطورة البجعة السوداء** : كانت البجعة السوداء في الأصل مجرد عبارة تستخدم لوصف شيء يستحيل وجوده أو كإهانة للطبيعة بأنها لا تحوي كل شيء.. وظل الوضع على حاله حتى أبحر بعض الناس في بحيرة البجع غرب **أستراليا** عام **1697**.. حيث رآها الناس بأم العين كحقيقة و ليست خرافة ..

❁ **أسطورة مدن الذهب** : من أكثر الأساطير شهرة حول العالم و قتل في سبيل استكشافها المئات .. في الحقيقة أثبتت الدراسات و المخطوطات الأثرية ، أن وجود مدن كاملة من الذهب غير مرجّح ، لكن الأكيد هو وجود مدينة في أمريكا الجنوبية كان يقطنها الهنود الحمر منذ قرون بعيدة ، و كان يدعى زعيمها (**إلدورادو**) أي (**الشخص المطلي بالذهب**) حيث كان يطلي جسده يومياً بالذهب ليغتسل لاحقاً في مياه بحيرة مقدسة في المدينة ..

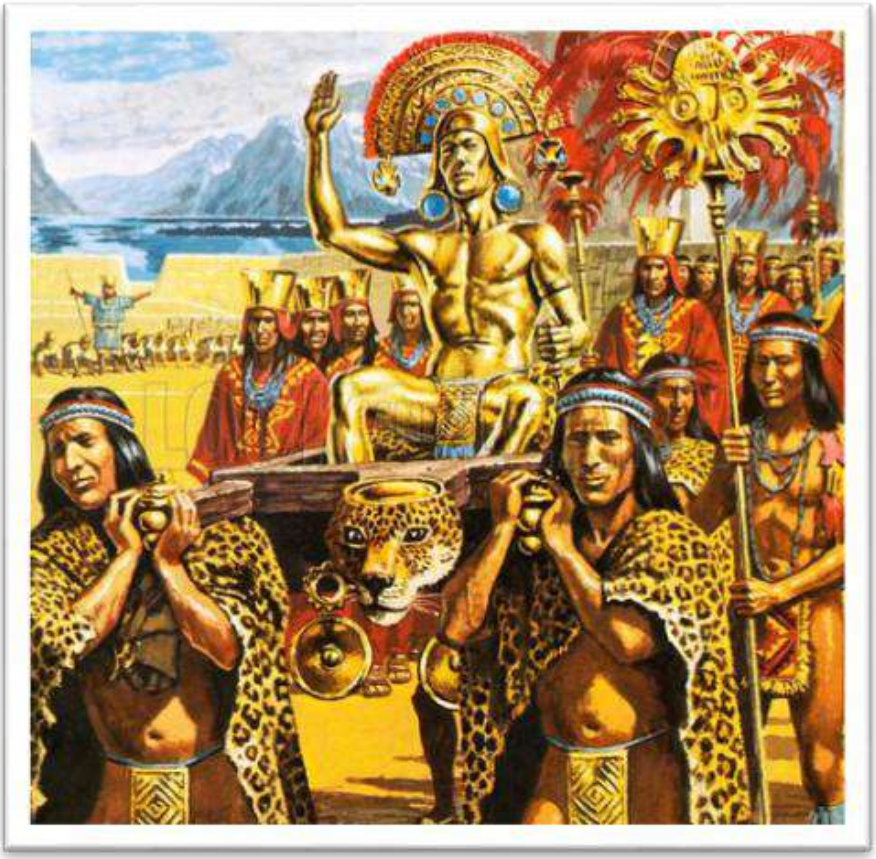

و اليوم حرّف اسم إلدورادو إلى مدينة الذهب .. و أظهرت الاكتشافات أن الزعيم كان خلال الاحتفالات الدينية يحيط نفسه بأربعة من كبار الكهنة يزينهم الريش

والتيجان الذهبية إلى جانب زينة جسدية، وكان عارياً إلا من غبار الذهب، ثم يُقدم قربان من القطع الذهبية والزمرد والقطع النفيسة الأخرى للآلهة من خلال القاءها في البحيرة المقدسة.. و كانت شواطئ البحيرة المستديرة تمتلئ بالجمهور المتفرج الذي كان يحرص على وضع الزينات وعزف الموسيقى .. و هذا يؤكد أن قاع تلك البحيرة يحوي كنزاً حقيقياً من الذهب و المجوهرات لا يقدر بثمن ، مما يعني بأن مدن الذهب ليست خرافة بل أسطورة لها ما يدعمها على أرض الواقع ..!!

❁ **أسطورة روبن هود** : تقول الأسطورة أنّ روبن هود كان رجلاً خارجاً عن القانون، عبارة عن قاطع طريق يعيش مع أنصاره في **غابات شيروود** الملكية في إنجلترا، و اشتهر بشجاعته و فروسيته و بإسراعه إلى مساعدة المحتاجين و مناصرة المظلومين عندما يكونون في حال خصام مع الأسياد الذين يستخدمون السلطة بطريقة غير عادلة و لا شرعية ، و تناقلت الأجيال في إنجلترا هذه الأسطورة و تم تعديلها كثيراً عبر السنين ، لكن بعض الاكتشافات الأثرية تقول بأن هذه الشخصية ربما كانت حقيقية بالفعل ، فقد أثبتت الوثائق التاريخية التي تعود إلى القرن **13** ذكر اسم روبن هود في قرار محكمة صدر عام **1226** في شمال إنكلترا حيث نصّ القرار على مصادرة أملاك ذلك الشخص لتسديد ديونه ، و لا ندري ربما تطورت

الأمور لاحقاً مع ذلك الشخص و تمرد على السلطة و أصبح قاطع طريق خارج عن القانون كي ينتقم من قرار المحكمة الظالم !!

❁ **أسطورة يأجوج و مأجوج** : ففي حين لا يؤمن اللادينيون بهذه الأسطورة ، فقد تم ذكرها بشكل صريح في الكتب السماوية كلها ، و بحسب رواية القرآن الكريم فإن الإسكندر الأكبر (ذو القرنين) بنى سداً من المعدن المصهور بين جبلين حجز وراءه قوم يأجوج و مأجوج عن البشرية ، لكنهم سيظهرون مجدداً في نهاية الزمان كإحدى علامات قيام الساعة ..

و يقول القرآن أن موقع السد يقع في مكان رأى فيه ذو

القرنين الشمس تغرب في عين حمئة ، و بحسب بعض الدراسات فإن هذه العين الحمئة هي بحيرة **إيسيك كول** الموجودة حالياً في جمهورية قيرغيزستان الأسيوية فهي تشبه شكل العين البشرية حسب صور الأقمار الصناعية.. و هذه البحيرة تتغذى من ينابيع ساخنة و اسمها باللغة القيرغيزية يعني (البحيرة الساخنة أو الدافئة) ، وأن هذه البحيرة لا تتجمد على مدار السنة رغم هبوط درجات الحرارة في قيرغيزستان إلى **25** درجة مئوية دون الصفر في بعض الأحيان.. و المهم في القصة أن يأجوج و مأجوج وصفوا في الأديان بأنهم قوم عمالقة .. و قد تم ذكر العمالقة كحقيقة في مختلف حضارات آسيا الوسطى في قديم الزمان !!

❁ **أسطورة هارمجدون** : أو معركة الرب الكبرى ، رغم ذكرها في التوراة و الإنجيل و بعض الروايات عند المسلمين ، و التي تتحدث عن معركة كبرى في نهاية الزمان ستهلك القسم الأكبر من الجنس البشري ،

فإن اللادينيين لا يؤمنون بها .. و كلمة هارمجدون عبرية مؤلفة من مقطعين (**هار و تعني جبل**) و (**مجدون و هو اسم وادٍ في فلسطين**) .. بالنهاية ما من مصدر مؤكد لهذه المعركة ، و بنفس الوقت ما من دليل دامغ ينفيها ، لتبقى على حالها أسطورة **!!**

❁ **أسطورة الأمثال الشعبية** : يعتقد كثيرون بأنّ الأمثال الشعبية مجرد حكم مختلقة من قبل بعض الناس توارثتها الأجيال ، لكنّ الحقيقة أن أغلب هذه الأمثال هي لقصص حدثت بالفعل على أرض الواقع ، و سنذكر منها **5** مشهورة للغاية في حياتنا :

◉ **مثل (اقلب الجرة على فمها تصعد الفتاة إلى أمها)** : و تعود قصة المثل إلى عادة قديمة كانت شائعة في بيوت الشام القديمة ، فعندما كانت الأم تصعد لنشر الغسيل على سطح المنزل ثم تحتاج ابنتها لشيء ما ، فكي لا تنادي عليها بصوت عالٍ من باب الحياء ، كانت تقلب الجرة على فمها فتصدر رنيناً مميزاً تفهم منه الابنة أن أمها تحتاجها ..

◉ **مثل (دقّ على الخشب)** : في الحقيقة، هذا المثل ليس من أصلٍ عربِي بل هو ذو أصلٍ تاريخي عالَمِي، ولعلّك عزيزي القارئ تتساءل عن أصل هذا المثل عند الأجانب و كيف انتقل من تراثهم الشعبي إلى تراثنا العربي.. في واقع الأمر، هذا المثل أصلُه وثنيٌ حيث كان يَعتقد القدماء ممن كانوا يُقدسون الأوثان أنَ هناك أرواحاً خيّرة تعيش في الأشجار، وبالتالي أصبح الإمساك بالأشجار مصدراً للبركة والحماية، ثم لاحقاً

بعد انتشار المسيحية في العالم تم استخدام هذا التعبير للإشارة إلى الصليب الخشبي بدلاً من الأشجار..

◉ **مثل (القشة التي قصمت ظهر البعير) :** يعودُ أصل هذا المثل إلى شخصٍ كان مسافراً في الصحراء، وقام بتجهيز جميع أمتعته التي بالكاد يتحملها أربعة جمال وليس جملاً واحداً، وقام بوضعها على ظهر بعيره الذي تحمّل وزن هذه الأمتعة ولم يسقط ، وأخيراً وجد الرجل أنه تبقى من أمتعته شيء صغيرٌ جداً بوزن القشَة، فوضعه على ظهر بعيره ، و هنا انهار البعير مباشرةً و سقط، فقال الناس ممَن شهدوا هذا الموقف،

هذه هي القشة التي قصمَت ظهر البعير..

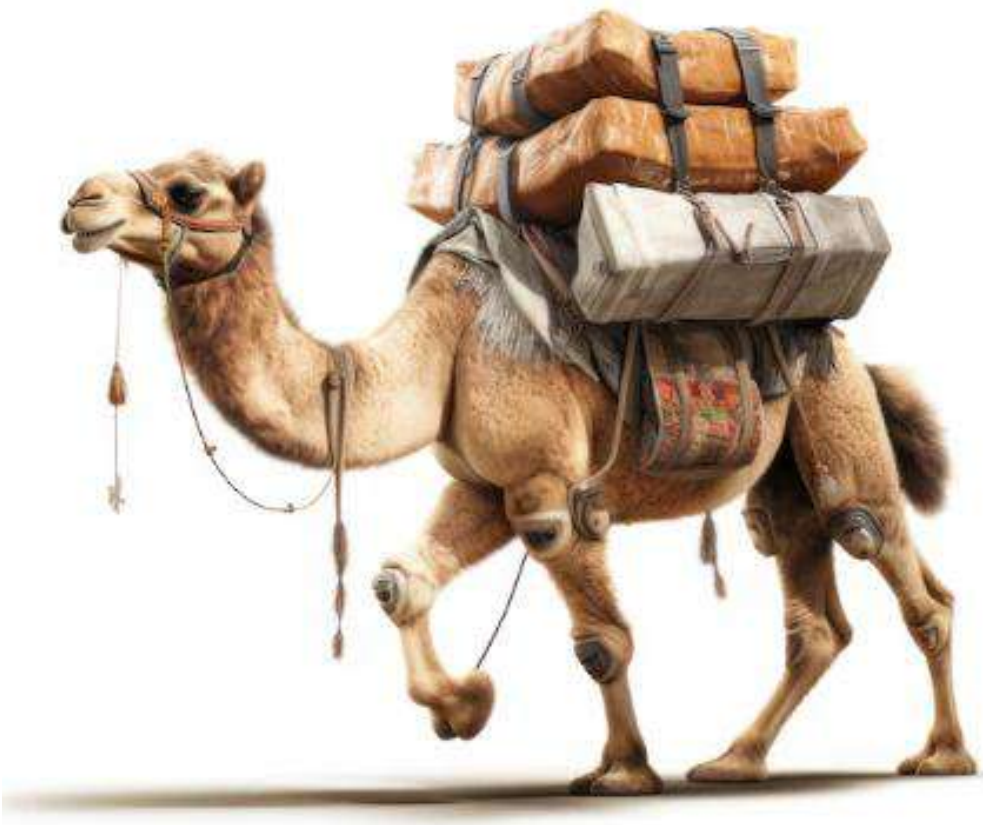

◉ **مثل (عادت حليمة إلى عادتها القديمة) :** يرجع أصل هذا المثل إلى امرأةٍ في العصر الجاهلي تُدعى حليمة وهي زوجة حاتم الطائي، والذي كان أحد أعظم شعراء العصر الجاهلي ومضرب المثل في الكرم ولكن للمفارقة، كانت زوجته حليمة مضرب المثل في البخل فكانت عندما تطهو الطعام تضع سمناً قليلاً جداً وأحياناً لا تضعُ سمناً أبداً، فعاب زوجها ذلك عليها وقال لها أنهم قالوا قديماً أنَ من تضع سمناً كثيراً في إناء الطَهي يطولُ عمرها.. و بالفعل بدأت حليمة تضع الكثير من السمن في إناء الطبخ أثناء إعداد الطعام الذي تطهوه لضيوف زوجها واستمرَت على ذلك لسنواتٍ عدَة.. و

لكن، حدث لها مُصاب جعلها تتوقف عن عادتها الجديدة هذه وترجع إلى ما كانت عليه ألا وهي وفاة ابنها الوحيد الذي كانت تُحبُه حُباً جماً، فأصابتها حالة اكتئاب مُزمنَة جعلتها تُقلل السمن في الطعام حتى لا يطول عمرها لتموت وتلحق بابنها سريعاً ،و بذلك عادت حليمة إلى عادتها القديمة ..!!

◉ **مثل (دخول الحمام ليس كالخروج منه) :** يُقال أن أصل هذا المثل يعود إلى أحد أصحاب الحمَامات التركيَة قديماً، حيث قام بتعليق لافتة على الواجهة تُخبر الزبائن أن الدخولَ مجانيٌ، وبناءً على ذلك أقبل الزبائن بأعدادٍ كبيرة وازدحم بهم الحمام ، و كان صاحب الحمام يأخذ ملابسهم عند الدخول، فإذا أرادوا الخروج تفاجأوا أنَ صاحب الحمَام يطلب منهم الأموال مقابل الخروج، قائلًا أن الدخول مجانيٌ بالفعل لكن يجب الدفع من أجل الخروج، وأنَهم لن يستلموا ملابسهم إلا بعد الدفع.. أي أن دخول الحمام بالفعل ليس كالخروج

منه ..!!

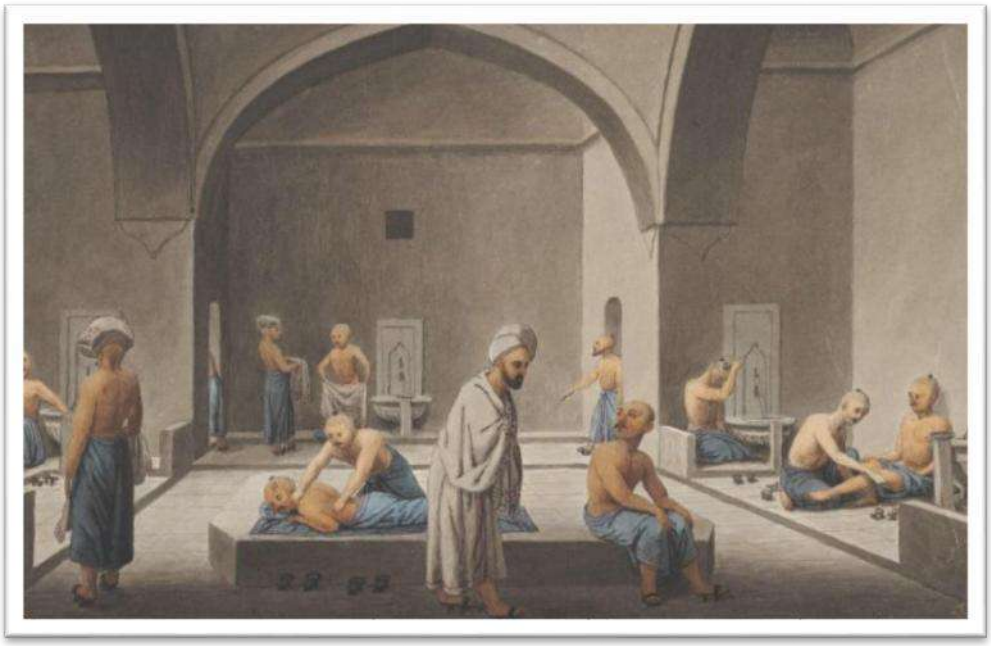

❁ **أسطورة الجحيم** (**جهنم**) : فرغم أن هذا المصطلح مذكور في جميع الأديان الأرضية و السماوية، فإن هنالك دلائل تنفي وجودها على أرض الواقع ، و أهمها **3** دلائل :

① الله رحيم و نبيل فكيف يمكن أن يحرق عياله البشر في نيران لا تنطفئ و إلى الأبد .. هذان ضدان لا يجتمعان بالعقل **!؟**

② يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً)

و هذه إشارة صريحة إلى أن الله يريد من البشر أن يتوهوا عن الإيمان به عمداً لفترة من حياتهم ، أو ما يدعى فلسفة لقاح الظلام ، فكيف يعاقب الله مخلوقات

خلقها و كان بإمكانه أن يهديها و لم يفعل ؟! بل الحقيقة أنه يهديها و يفعل في حياة كل إنسان عبر مروره في نفقه الخاص الذي يخرج منه أكثر تقديراً لقيمة النور و قداسته ..

③ إذا أساء إنسان لله و مخلوقاته في الحياة الدنيا فبإمكان الخالق ببساطة أن يرسله إلى العدم من حيث أتى ، فما الفائدة من تعذبيه في الجحيم ؟! و لعلّ ذكر جهنم هو محض تخويف و رادع للبشر كي لا يتوهوا في متاهات الظلام و الخطايا ، كما يخيف الآباء أبناءهم بالغول مثلاً كي لا يسيئوا التصرف .. !!

و رغم هذه الأسباب المنطقية للغاية ، يبقى ذكر الجحيم في كافة الأديان قاطبة عاملاً لا يمكن تجاهله ، ليبقى بذلك الجحيم أسطورة بدوره ..

و قائمة الأساطير حول العالم التي لها جذور حقيقية على أرض الواقع تطول و تتسع .. كما هو حال

الخرافات على المقلب الآخر **كالتنين** ، و **طائر الفينيق** ، و **الغول** ، و **صاحب القدم الكبيرة** ، و **وحش بحيرة نيس الإسكتلندية الشهير** ، و **الحصان المجنح** ، و **المستذئب** و غيرها .. لكن ما يهمنا في هذه المغالطة هو التفريق بين الأسطورة و الخرافة مع إثبات لذلك بالتطرق إلى أساطير لها ما يدعمها تاريخياً كما سبق و أسلفنا ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**حصان طروادة**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الأسطورة و الخرافة وجهان لعملة واحدة ، مجرد حكاية خيالية من تلفيق البشر ..

بل أن نقول :

= الخرافة هي قصة مختلقة بالكامل ، لكن الأسطورة

حكاية تحوي عناصر خيالية لكنها بنيت على أحداث حقيقية جرت في الماضي أو ستحدث في المستقبل ..

و تبقى الأسطورة الأجمل في الحياة هي (**أسطورة السماء**) .. ما الذي يوجد فيها ؟ ما الذي ينتظرنا بعد الموت ، الفناء و العدم أم الانتقال إليها خالدين ؟

هناك حيث ما من أحد سيتمكن من الوصول إلا إذا انتهت حياته ، و ما من ميت عاد كي يخبرنا ما الذي هناك ؟! في معضلة شائكة لكن محببة إلى قلوبنا تترك السماء أسطورة تتأرجح في عقولنا بين الشك و اليقين .. !!

مغالطة الوجه الآخر

للطبّ

(إغماء ستندال)

= هل سمعت أن صديقتنا جوى تم تحريرها من الخطف أخيراً ؟

= لا لم أسمع ، هذا خبر عظيم .. و كيف هي صحتها ، هل آذاها الخاطف ؟

= لا ، صحتها جيدة .. و لكن ..

= لكن ماذا !؟

= هنالك شيء غريب للغاية أصابها بعد الخطف كما أخبرني والدها ..

= خير !؟

= يقول أنها تدافع عن الخاطف و ترفض الادعاء عليه أو محاكمته و سجنه !

= لماذا هل تعرفه ؟

= إطلاقاً .. تخيل بعد **10** أيام من الحجز في قلق و خوف تدافع عنه !

= ربما أملك جواباً على سلوكها الشاذّ هذا بحكم دراستي للطب ..

= صحيح ؟! هات ما عندك ..

= أظنها مصابة بمتلازمة ستوكهولم ..

= و ما هذا .. مرض ؟!

= تقريباً .. حالة نفسية تصيب الضحية نتيجة الرض النفسي القوي الذي سببه لها الجاني ..

= و ما علاقتها بستوكهولم عاصمة السويد ؟!

= وصفت هذه المتلازمة لأول مرة بشكل رسمي عقب حادثة سرقة بنك في العاصمة ستوكهولم عام **1973** ، حيث ظهرت على الرهائن الذين احتجزتهم عصابة السرقة في البنك أعراض مشابهة لما يحدث مع صديقتنا جوى .. فقد تعاطفوا مع اللصوص و دافعوا عنهم ، بل إن بعضهم عاونهم على السرقة و الفرار لاحقا ..

= يا لها من حالة غريبة !! .. و ما تفسيرها الطبي ؟

= التفسير نفسي بحت و بسيط ، قائم على اقتناع الضحية باللاوعي أنها إن كانت في صف الجاني فلن يؤذيها .. لذا تتعامل معه على هذا الأساس ، و من شدة التوتر الذي تتعرض له تقتنع لاحقا أنها في صفه بالفعل

= تفسير منطقي .. يبدو أننا العامة لا نعرف شيئاً عن الطب سوى الزكام و التهاب البلعوم !!

= على العكس الطب دنيا من الألغاز والأمراض

الغريبة والتفاصيل الجميلة التي تتماهى مع الفن أيضاً

= كل هذا !! مثل ماذا ؟

= قبل كل شيء تحدث مع والد جوى و أخبره بتشخيصها المحتمل كي تراجع طبيباً نفسياً ليعالجها من حالتها .. و بعدها تعال لأحدثك عن غرائب عالم الطب

*****

الصورة الشائعة للطب و السائدة بين عامة الناس هي مريض متعب يتألم ، يفحصه الطبيب و يعالجه .. لكن الحقيقة أن للطب وجها آخر غير ذلك، وجهاً يجتمع فيه الفن و الطرافة و الطبيعة و الكون .. ربما تشكك عزيزي القارئ في ذلك و تعتبره مبالغة من طبيب يروّج الإشاعات الجميلة عن مهنته .. و مهمتي خلال الصفحات التالية أن أغير وجهة نظرك هذه و أثبت لك وجود جانب آخر للطب .. جانب ممتع و مثير لأصحح المغالطة السائدة بين الناس عن كون الطب يقتصر على التعب و الآلام و العجز لا غير ..

و لإنجاز ذلك سأقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**الوجه الآخر للطب**) عبر **6** محاور رئيسية :

- **الطب و الفن ...**
- **أمراض طبية غريبة تسمع بها لأول مرة في حياتك**
- **الجانب الطريف من الطب ..**

- **الطب و الطبيعة و الكون ..**
- **الطب و الرياضة ..**
- **الخلية الإله ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نتعرف على الوجه الآخر للطب

① الطب و الفن :

هنالك ارتباط وثيق بين الطب و الفن بأقاليمه المتنوعة في أمراض كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

❁ **متلازمة فريجولي** : و سميت تيمناً بالممثل المسرحي الإيطالي الشهير **ليوبولدو فريجولي** الذي كان يأخذ أدوارا مختلفة في مسرحياته و يتنكر فيها بإتقان كبير بحيث لا يعرفه الحضور .. و في هذه المتلازمة النفسية يظن المريض أن كل الناس من حوله هم شخص واحد لكن متنكر ..

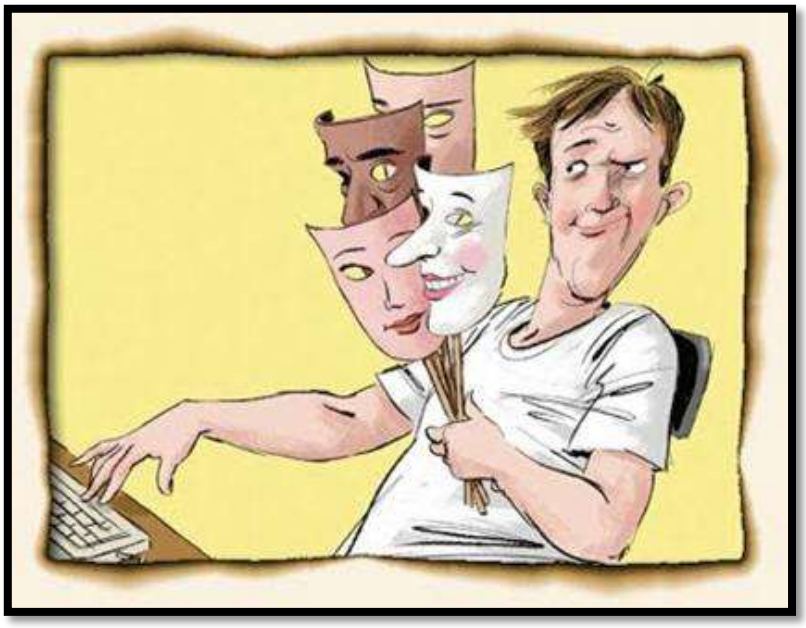

❁ **متلازمة المحبوس locked in** : مرض طبي

خطير ينجم عن خثرة في الشريان القاعدي للدماغ فيسبب شللاً في كل عضلات الجسم عدا عضلات العينين التي تحركها للأعلى و الأسفل .. أصيب بهذه المتلازمة الكاتب الشهير **جون دومينيك بوني** و الذي ساعدته زوجته على تأليف رواية كاملة باسم (**بذلة الغوص و الفراشة**) بالاعتماد على عدد رفات عينه اليسرى التي كانت تعمل بمفردها في جسمه .. فكل عدد معين من الرفات يشير إلى حرف هجائي محدد .. و تخيل عزيزي القارئ عدد الرفات و الساعات الطوال التي استغرقتها كتابة هذه الرواية ..

❁ **القصة الشهيرة جميلة و الوحش** : ففي الحقيقة الوحش في القصة هو شخص مصاب بمرض ضخامة النهايات الذي يزداد فيه إفراز هرمون النمو من الغدة النخامية ، فيتضخم الجسم و تبرز الجبهة و الفك ..

❁ الطب في الأساطير :

◉ **متلازمة أوندينييه** : و هي حالة نفسية سميت تيمناً بأوندينيه و هي حورية بحر حسناء في الأساطير الإغريقية و التي ألأقت لعنة على زوجها بأن يتوقف عن التنفس خلال نومه مراراً و تكراراً بسبب خيانته لها ، و هذا ما يحدث في هذه المتلازمة بالفعل على أرض الواقع حيث يتوقف تنفس المريض بشكل متكرر خلال نومه بسبب تثبيط مركز التنفس .. و قد جسد الفنان **جون ووترهاوس** هذه الأسطورة في لوحته الشهيرة عام **1872** ..

◉ **عقدة أوديب النفسية** : و التي تحدث عند الأطفال الذكور بغيرتهم على أمهاتهم من آبائهم استمدت اسمها من أسطورة إغريقية أخرى و هي أسطورة أوديب الذي يقتل أباه دون أن يعلم و يتزوج أمه دون أن يعلم أيضاً

◉ **اضطراب الشخصية النرجسية** : اشتق من الأسطورة الإغريقية نرجس (نرسيس) الذي كان يتأمل حسن وجهه في مياه البحيرة لأيام حتى سقط فيها و غرق ..

◉ **دواء المورفين المسكن للألم و المنوم** : اشتق اسمه من إله النوم و الأحلام عند الإغريق مورفيوس.

◉ **ظاهرة حصان طروادة** ، حالة طبية مشتقة من هذه الأسطورة الإغريقية و تدعى (**الغرس ضد المضيف**) حيث يشكل العضو المغروس في الجسم كالكلية مثلاً

حصان طروادة تماماً لكن بدلاً من تسلل الجنود منه تتسلل الكريات البيض للشخص الذي تبرع بالكلية و الموجودة في الكلية المغروسة إلى دماء المستقبل للكلية و تهاجم جسده ..

◉ **الأسطورة الإغريقية السايكلوب ذو العين الواحدة**

نجدها في مرض يدعى **متلازمة باتو** حيث لا تنقسم الكرة المخية إلى نصفي كرة مخية و في بعض الأحيان تلتحم العينان معا في عين واحدة ..

❁ الطب في الرسم :

◉ هل تعلم لماذا كان اللون الأصفر غالبا على لوحات الفنان الشهير **فان جوخ** ؟ لأنه كان مصاباً بالتسمم بمادة الديجوكسين التي تسبب الرؤية الصفراء لكل شيء فكان يرى كل ما حوله من مشتقات اللون الأصفر .. أما الديجوكسين فهو دواء مقوي للقلب يستخدم في قصور القلب .. و هنالك نبتة غنية بمادة شبيهة بتركيبه وهي ما كان فان جوخ يستخدمها بكثرة ..

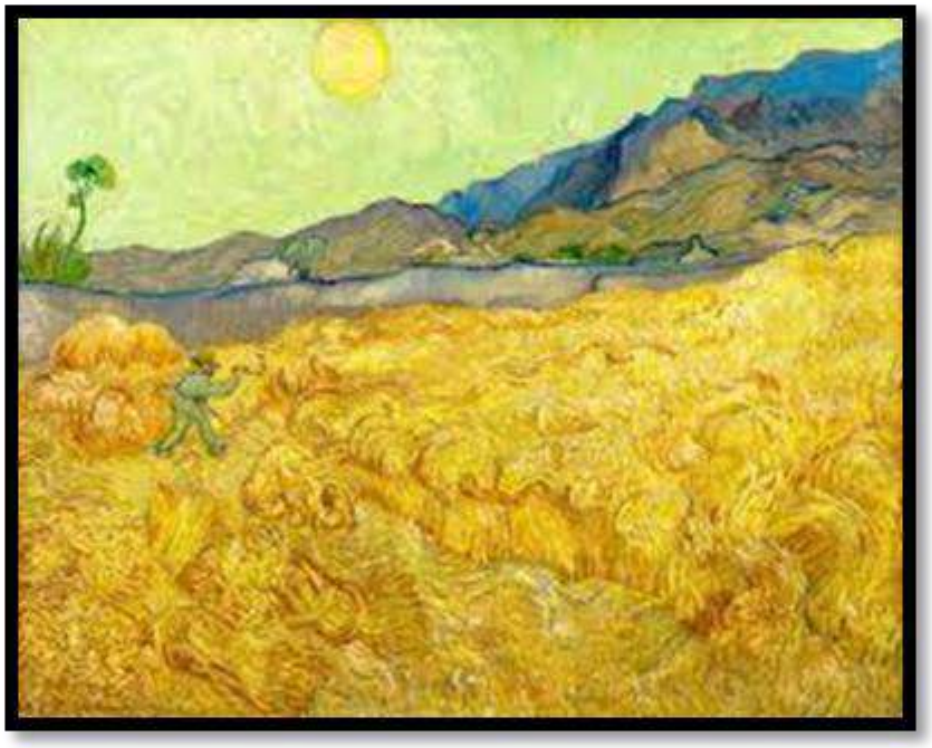

◉ بعيدا عن عشق **ليوناردو دافنشي** أشهر فنان في التاريخ للطب و التشريح ، فإننا نجد سراً طبياً في أشهر لوحاته على الإطلاق (**الموناليزا**) حيث يُشتبه بقوة بإصابتها بمرض باركنسون بسبب جمود سحنتها وإمساكها ليدها بيدها الأخرى خوفاً من أن ترجف

عندما كان دافنشي يرسمها ..

◉ بعيدا عن الهلوسات البصرية الكثيرة التي كانت تصيب الفنان المبدع المجنون **سلفادور دالي** و التي تظهر بوضوح في لوحاته .. فإن هنالك علامة مرضية شهيرة على تخطيط القلب الكهربائي تدعى (**شارب سلفادور دالي**) حيث تتشكل موجة شبيهة بشاربه بالفعل ، و تنجم عن السمية بالديجوكسين أيضاً..

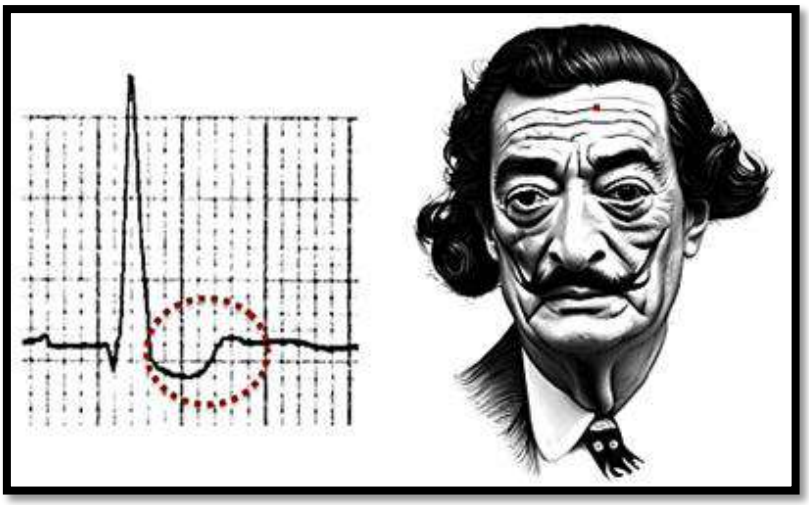

❁ الطب و الموسيقى :

◉ **علامة أوتار الكمان** : و هي التصاقات تشبه أوتار الكمان بين البريتوان البطني و الكبد و نجدها في الإنتان بجراثيم المكورات القندية ..

◉ **علامة درجة البيانو** : و هي كسر في المفصل بين عظم الترقوة و عظم الكتف فيرتفع عظم الترقوة بشكل درجة البيانو ..

◉ **بتهوفن** أعظم موسيقي في التاريخ أصيب بالصمم و هو في أول شبابه و ألّف بعض سمفونياته الشهيرة دون أن يسمعها و اعتمد فقط على إحساسه ..

◉ الرقص على أنغام الموسيقى فن محبب للناس ، و نجد في مرض **الحمى الرثوية** حركات رقصية للأطراف تدعى (**رقص سيدنهام**) كما نجد حركات رقصية أيضاً في **داء هين تين غتون** ..

❁ الأبطال الخارقون في الطب :

و نجد هنا **5** أمثلة عنهم :

◉ **الرجل الأخضر هالك** : الذي يتحول إلى وحش أخضر عندما يغضب .. و هذا ما نجده في **ورم القواتم** الذي يصيب غدة الكظر و يفرز هرمون الأدرينالين فيسبب نوبات غضب للمريض قد تصل به إلى حد القتل ..

◉ **الرجل الوطواط (باتمان)** : الذي لا يغادر مقره إلا ليلاً .. و هذا ما نجده في مرض **البورفيريا الجلدية** ، حيث يتجنب المريض الخروج من منزله نهاراً بل يغلق جميع الستائر لأن ضوء الشمس يسبب له حساسية جلدية و تقرحات ..

◉ **الفتاة المطاطية في (الخارقون)** التي يمكنها مط أطرافها بمرونة ، و هذا ما نجده في مرض **إهلر دانلوس** الذي يسبب مرونة هائلة في الجلد و المفاصل

◉ **رجل الماء (أكوامان)** : الذي يعيش تحت الماء و له حراشف كالسمك .. و هذا ما نجده في مرض **السماك الجلدي** الذي يصبح فيه الجلد جافا و يأخذ

مظهر حراشف السمك أيضاً ..

◉ **الرجل الحديدي (أيرون مان)** الذي يرتدي بذلة من المعدن تحميه .. و هذا ما نجده في مرض اختزان الحديد (**هيمو كروما توسيز**) الذي يترسب فيه الحديد في أنسجة الجسم المختلفة ليصبح المريض حرفياً رجلاً حديدياً ..

❁ و نجد في **الأدب العالمي** روايات من قبيل **(الحب في زمن الكوليرا)** لغابرييل غارسيا ماركيز ، و **(الطاعون)** لألبير كامو .. و غيرها تناولت الأمراض بطريقة روائية أدبية ..

② أمراض غريبة لم تسمع بها من قبل :

❁ **ذهان ويندیغو** : ويندیغو هي الوحوش آكلة لحوم البشر التي تعيش حسب الأساطير شمال المحيط الأطلسي .. و المصاب بهذا المرض يكون لديه رغبة شديدة لأكل لحوم البشر ، و هذا ما يفسر السلوك الشاذ لبعض القتلة المتسلسلين ..

❁ **متلازمة مونشهاوزن** : سميت تيمناً بالبارون الألماني فون مونشهاوزن ، و فيها يدّعي المريض المرض أو يؤذي نفسه بالعمد كي يتلقى الدعم و الاهتمام من الآخرين ..

❁ **وهم كوتار** : و هنا يقتنع المريض بأنه ميت بالفعل

و لا يمكنك إقناعه بخلاف ذلك .. تماماً كحالة الزومبي الشهيرة ..

❁ **متلازمة الرجل الصخري** : و يعرف طبياً **بخلل التنسج الليفي المعظم المترقي** ، و هو مرض شديد الندرة يصيب النسيج الضام بحيث تحدث طفرة في طريقة إصلاح الضرر بالنسيج الضام بما فيه (العضلات، الأوتار، الأربطة) بحيث تتحول هذه الأنسجة إلى عظم في حال إصابتها أو تضررها، و في الكثير من الحالات، تتسبب الإصابات في المفاصل بتوقف المفصل تمامًا عن الحركة ، و لا علاج لهذا المرض ..

❁ **متلازمة الرجل المستذئب** : وفيه يظهر الشعر بكثافة في وجه الإنسان و جسده ، وهو عموماً من الأمراض النادرة، يحدث نتيجة خلل جيني يؤدي إلى نمو الشعر في كل أنحاء الجسم، ويسمى بهذا الاسم لأن

المريض يشبه هيئة الذئب بالفعل ، ولا يوجد علاج فعال للمرض، و حتى حلق الشعر لا يجدي لأنه سرعان ما ينمو مجدداً..

❁ **الحساسية من المياه** : ربما سمعت عن أشخاص يتحسسون من أطعمة معينة أو أدوية محددة أو من لسع الحشرات ، لكن المريض هنا يتحسس من المياه و أي احتكاك بها سيسبب له نوبة حساسية مفرطة قد تقتله !!

❁ **متلازمة أليس في بلاد العجائب** : وهو مأخوذ من اسم الرواية المشهورة، حيث إن الأعراض تشبه ما عانت منه بطلة الرواية المنشورة سنة **1865** حيث نراها وهي ترى تغيراً في الأشكال والأحجام، و ثمة اعتقاد بأن كاتب الرواية كان مصاباً بهذا المرض و لهذا وثّقه برواية ، فالمريض يرى نسباً خاطئة للأجسام وتشوهاً في أشكالها، ويعلم أن ما يراه ليس صحيحاً بل

هلوسات، كما قد يرى أشياء ثابتة تتراقص أو رؤية رؤوس البشر كحيوانات مما يربكه بشكل عام ..

❁ **مرض انقلاب الأحشاء** : و هنا تتوضّع أحشاء الجسم بعكس جهتها الطبيعية فيكون القلب و الطحال مثلاً في الجانب الأيمن من الصدر و الكبد في الجانب الأيسر ..

❁ **متلازمة الخنوثة الكاذبة الذكرية** : و هنا تكون مستقبلات هرمون الذكورة التستوستيرون غير حساسة له .. لذا يكون المريض ذكراً صبغياً و أنثى فائقة الجمال ظاهرياً ، كونها لا تتأثر بأي كمية من هرمون الذكورة و الذي يفرز عند الإناث في الحالة الطبيعية من غدة الكظر ..

❁ **هيتروكروميا** : و هي مرض نادر يكون لون قزحيتي العينين مختلفا كلياً (أسود و أزرق مثلا) ..

❁ **مرض إهمال نصف الجسم** : و ينجم عن أذية الفص الدماغي الجداري .. و هنا يتعامل المريض مع جسده كأنه نصف فقط .. فمثلا يحلق نصف لحيته فقط

③ الوجه الطريف من الطب :

❁ **متلازمة ديوجانس** : سميت تيمناً بالفيلسوف الإغريقي الشهير الذي اتبع الفلسفة الكلبية (**ديوجانس**) و هي فلسفة قائمة على التخلي عن الماديات و العيش بحرية في الطبيعة .. و المصاب بهذه المتلازمة يعاني من إهمال الذات الكبير و الميل للعزلة الشديدة ، كما كانت حياة ذلك الفيلسوف بالضبط .. و في رواية طريفة حقيقية عنه أن **الاسكندر الأكبر المقدوني** التقى به و هو يعيش في برميل خشبي في الشارع فسأله عن أي خدمة يحققها له فأجابه ديوجانس (ابتعد فقط من طريقي فأنت تحجب أشعة الشمس عني !!)

❁ **متلازمة اليد الغريبة** : و تحدث نتيجة للسكتات الدماغية أو الجراحات على الدماغ .. و هنا يفقد

المريض سيطرته على يده فتبدأ بالتصرف بأفعال لا يريدها كرمي الآخرين بالأشياء أو صفعهم أو غير ذلك

❁ في بعض الحالات قد يولد الذكور **بعضوين ذكريين** كاملين .. تماما كحال حيوان الكوالا اللطيف ..

❁ قد تجد رجلاً أو سيدة متقدمين بالعمر بخدين محمرين فتقول لنفسك (**ما شاء الله مازالت الطفولة في وجوههم**) و في الحقيقة هذه تدعى السحنة التاجية و سببها **تضيق الدسام التاجي** مع التقدم بالعمر ..

❁ **متلازمة وليامز** : مرض خلقي من أعراضه سحنة وجهية مميزة تدعى وجه العفريت و اللطف الزائد مع الغرباء .. حيث يتعامل المريض مع كل

البشر كأصدقاء مقربين ..

❁ **الضحك غير المفسر** : و هنا يضحك المريض باستمرار و دون سبب .. و السبب غالباً **تضرر بالفص الجبهي للدماغ** أو ورم يدعى **هامرتوما** يصيب **الوطاء** في الدماغ ..

❁ يقال أن التدخين سبب رئيسي لأمراض كثيرة و يقصّر العمر .. و هذا بلا شك صحيح .. لكن هل تعلم عزيزي القارئ أن التدخين يوصف كدواء رسمي للعلاج من **داء باركنسون و التهاب الكولون القرحي** ؟!

❁ **مريض التوحد** : يستخدم ضمير الغائب للحديث عن نفسه ، فمثلاً إذا كان اسم الطفل المتوحد هو آدم فإنه إذا عطش يقول : آدم يريد أن يشرب !! ..

❁ **بعض العلامات التجارية في الطب** : فنجد علامة **بيبسي** في إيكو دوبلر أم الدم ، و مناورة **برينغل** في لقط وريد الباب في الثرب الصغير ، و متلازمة **ميشلان** التي يأخذ فيها جلد الرضيع شكلاً شبيهاً بإطارات ميشلان للسيارات بسبب الثنيات الجلدية الكثيرة عليه!..

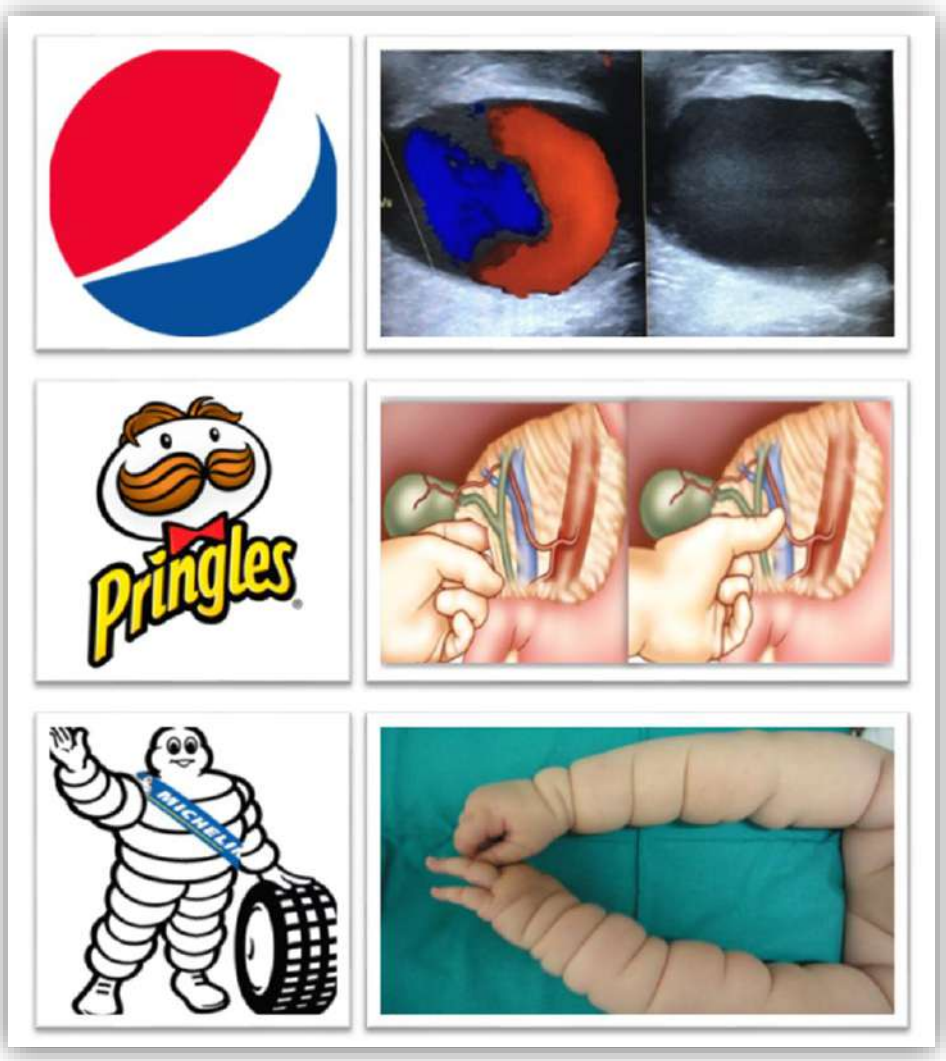

❁ **متلازمة خدود المارشملو** : تكون خدود الرضيع منتفخة بشكل محبب للقلوب ، تنجم عن الرضاعة

بالحليب الصناعي ..

❁ **متلازمة كوفاد** : أو الحمل التعاطفي ، و فيها ينتفخ قليلاً بطن الزوج و تظهر عليه أعراض شبيهة بالحمل عندما تكون زوجته حامل و يقلق عليها كثيراً ..

❁ **علامة باباي** : تمزق وتر العضلة ذات الرأسين العضدية مما يعطيها مظهراً شبيهاً بعضلات الشخصية الشهيرة باباي ..

❁ **الحس المواكب اللمسي كالمرآة** : يشعر فيه المريض بالعناق إذا رأى شخصين يتعانقان ..

❁ **مرض بيكا** : وهو اسم إغريقي قديم يشير إلى طائر عرف بقدرته الفائقة على الأكل بنهم، و بالفعل فإنّ مرضى البيكا هم أناس يأكلون بنهم ويأكلون للأسف كل شيء من التراب إلى الطين أوالزجاج أو

حتى البراز وغير ذلك، ويصنف في الأساس على أنه مرض نفسي و قد يترافق مع فقر الدم أيضاً ..

④ الطب و الطبيعة و الكون :

في الطب علامات كثيرة استمدت اسمها من الطبيعة الخلابة (نبات ، حيوان ، سماء) فنجد مثلاً :

◉ **عالم الحيوان** :

❁ **منقار الطائر** : في تصوير المري الظليل في **مرض الأكالازيا** ..

❁ **عين البومة** : في وصف **خلية ريد ستيرين بيرغ** في مرض **لمفوما هودجكن** أو الخمج بفيروس **CMV**

❁ **ذيل الفرس** : و هي الجذور العصبية الانتهائية للنخاع الشوكي ..

❁ **يد القرد** : و نجدها في إصابة **العصب الناصف** للذراع ..

❁ **الورم الوعائي العنكبوتي** : ينجم عن زيادة الاستروجين في **قصور الكبد** ..

❁ علامة **الراكون أو الباندا : في كسر قاعدة الجمجمة**

❁ **طفح الفراشة** : على الخدين و الأنف في مرض **الذئبة الحمامية الجهازية** ، كذلك نجد علامة الفراشة

في التصوير الطبقي للدماغ في **الورم الدماغي الدبقي متعدد الأشكال ..**

❁ **صوت نباح الكلب** : و نجده عند المريض **بالتهاب الحنجرة و القصبات و القصيبات CROUP**

❁ **متلازمة مواء القطة** : مرض تشوهي خلقي ..

❁ نجد أيضا **السعال الديكي ، جدري الدجاج و القرود ، انفلونزا الطيور و جنون البقر** و غيرها ..

❁ **السحنة السنجابية : في فقر الدم بتلاسيميا بيتا الكبرى ..**

❁ **حدبة الثور** : حدبة على العنق نجدها في **داء كوشنغ** في غدة الكظر ..

❁ **رائحة النفس كالسمك** في **قصور الكبد** .. و نجد أيضا **رائحة السمك للمهبل** في الإنتان **بجرثومة الغاردنيلا المهبلية ..**

❁ **جلد النمر** : علامة في الكولون عند **الاستعمال المزمن للمليناات ..**

❁ **جلد الأفعى** : علامة في المعدة عند **ارتفاع توتر وريد الباب ..**

❁ **عيون الضفدع** : جحوظ العينين في **داء غريف** الذي يصيب الغدة الدرقية ..

◉ **عالم النبات** :

❁ **الزيتونة** : علامة بجسّ المعدة في **تضيق البواب الضخامي** .. كذلك نجد نواة الزيتونة في الدماغ ..

❁ **لسان الفريز** : و نجده في **الحمى القرمزية** و في **داء كاوازاكي** ..

❁ **الكرزة الحمراء** : مظهر **لسان المزمار** بالتنظير عندما يلتهب ..

❁ **الزهيرات الكاذبة** : و نجدها كتجمع لخلايا **الأورام الغدية العصبية** على شكل زهور ..

❁ **علامة تليف قشر البصل** : في **التصلب الشرياني** أو في **التهاب الطرق الصفراوية المصلب البدئي** ..

❁ **الأذن القرنبيطية** : نشاهدها هند **الملاكمين** ..

❁ **علامة قشر البرتقال** : في **سرطان الثدي** ، حيث يسبب انسداد الأوعية اللمفاوية بالورم هذا المنظر ..

❁ كذلك نجد **رائحة النفس** كالفواكه في **الحماض الخلوني السكري**..

❁ **علامة الملح و الفلفل** : على الصورة الشعاعية للجمجمة عند مرضى **الورم النقوي العديد** ..

❁ **مظهر شجرة عيد الميلاد** : طفح على الظهر يشبه الشجرة نجده في داء **النخالية الوردية** ..

❁ **علامة ندف القطن** : في اعتلال شبكية العين بالسكري ..

❁ لا ننسى بأن **الدماغ** بنفسه يأخذ شكل ثمرة الجوز

بل إن تركيبه مشابه على نحو غريب لتركيب الكون كما سبق و حللنا في **مغالطة العقل و الحاسوب** ..

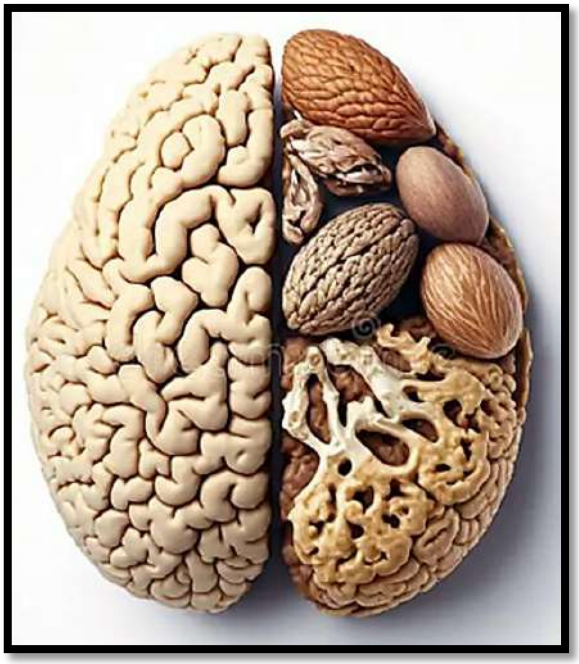

❁ **عود الخيزران** : علامة شعاعية تظهر العمود الفقري كعود الخيزران في مرض **التهاب الفقار القاسط**

❁ **بول الشاي** : في اليرقان الناجم عن انحلال الدم ..

❁ **حبة القهوة** : علامة تظهر على إيكو البطن في **انفتال الكولون السيني** ..

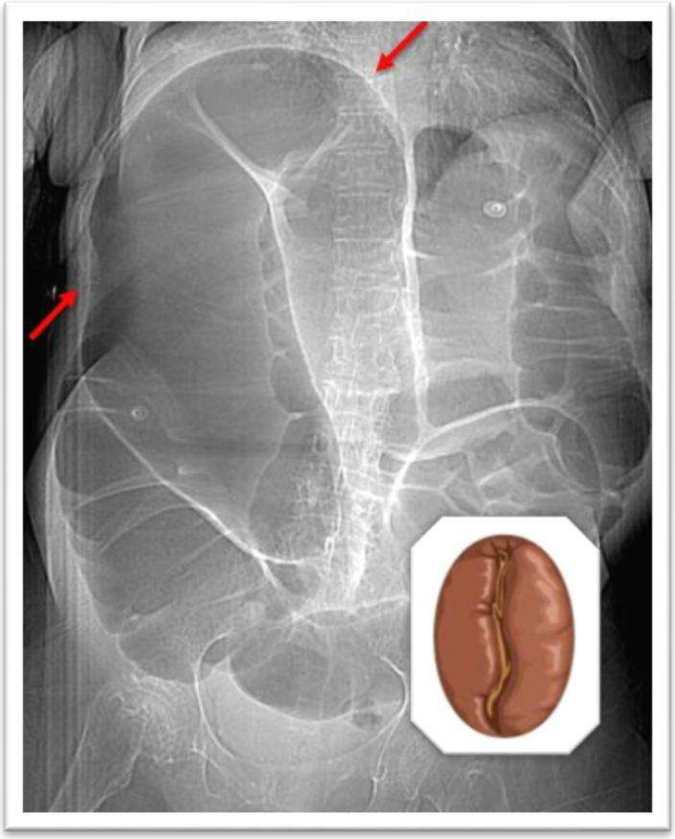

❁ **التفاحة المقضومة** : في سرطان الكولون الأيسر ..

◉ السماء و الفضاء :

❁ **الهلال** : علامة شعاعية تصف **النزف تحت الجافية** في الدماغ .. كم نجد الهلال الغازي تحت الحجاب الحاجز في الصورة الشعاعية للبطن عند **انثقاب الأحشاء ..**

❁ **غروب الشمس** : و هو علامة شعاعية تظهر على العظام المصابة بورم **أوستيوساركوما** .

❁ **وجه البدر** : وجه مدور في **داء كوشنغ** في غدة الكظر أيضاً..

❁ **مظهر السماء المرصعة بالنجوم** : نجده في خزعة الكلية تحت مجهر التألق المناعي في **التهاب الكبب و الكلية** ،كما نجده في خزعة العقد اللمفاوية في **لمفوما بوركت ..**

◉ **علوم الجغرافيا** :

❁ **الأمواج** : علامة مميزة لأم دم الشريان الأبهر البطني ..

❁ **حمى الجبال الصخرية** : و هي مرض إنتاني ..

❁ **اللسان الجغرافي** : و هنا يأخذ اللسان شكلاً فريداً يشبه خريطة العالم !!

❁ **العاصفة الثلجية** : علامة نجدها بإيكو الرحم في **الرحى العدارية** و في الصورة الشعاعية للرئة في **التسمم بالزئبق ..**

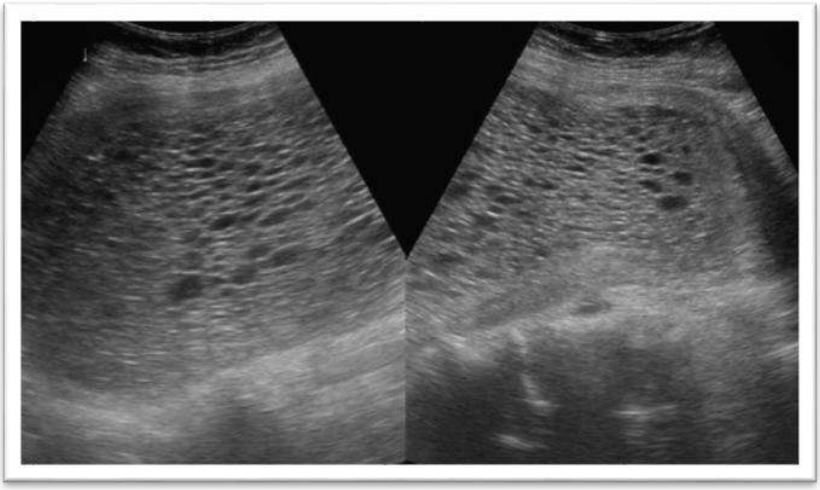

❁ **البركان** : وصف لشكل **سرطان الجلد قاعدي الخلايا ..**

⑤ الطب و الرياضة :

فأنامل الطب تترك لمستها على مختلف الرياضات المعروفة أيضاً ، و نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

❁ **أذن السباح** : التهاب مجرى السمع الظاهر بجراثيم بسودوموناس و يشيع عند السباحين ..

❁ **متلازمة سائقي الدراجات** : انضغاط العصب الزندي في نفق غويون و يشيع عند سائقي الدراجات ..

❁ **مرفق لاعب التنس** : التهاب اللقيمة الوحشية للعضد و تشيع عند لاعبي التنس ..

❁ **حبيبات مضرب التنس** : حبيبات تأخذ شكل مضرب التنس تحت المجهر الإلكتروني في داء كثرة الناسجات للانجرهانس ..

❁ **مرفق لاعب الغولف** : التهاب اللقيمة الأنسية للعضد و تشيع عند لاعبي الغولف ..

❁ **ظل القلب ككرة القدم على الصورة الشعاعية** :
نشاهده في تبادل منشأ الأوعية الكبرى الخلقي للقلب ..

❁ **أمراض العدائين** : كمتلازمة الرباط الألوي الظنبوبي و متلازمة الإجهاد الظنبوبي ..

❁ **كسر الملاكم** : كسر عنق السنع الخامس في اليد ، يشيع عند الملاكمين ..

❁ **علامة القوس و النشاب** : في سلاميات الأصابع عند مرضى ضخامة النهايات ..

❁ **علامة البينغ بونغ** : نجدها في كسور الجمجمة ..

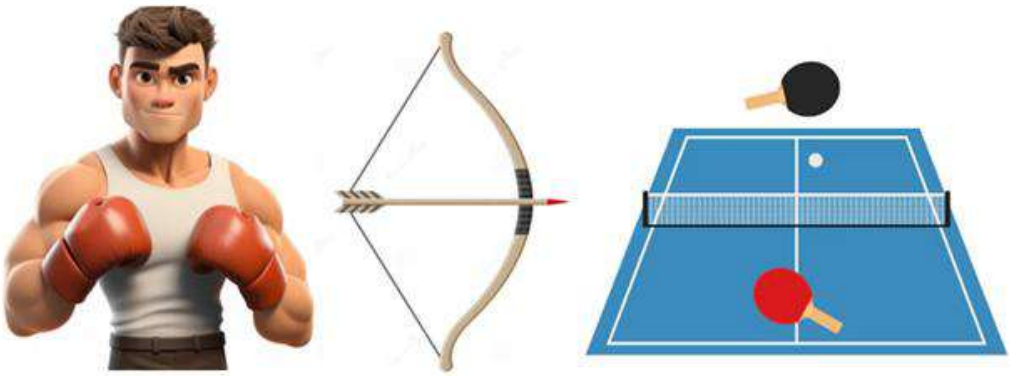

❁ **علامة الهدف** : علامة شعاعية بالإيكو تظهر في انغلاف الأمعاء ..

⑥ الخلية الإله :

أغلب البشر يعتقدون أن الطب هو دواء أو جراحة ، لكن في الحقيقة هنالك زاوية أخرى للطب يجهلها البعض و مذهلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، إنها **الخلية** عزيزي القارئ ، ماذا يمكن للخلية أن تفعل ؟ تعال لأحدثك عن **3** أقاليم في الطب ستغير وجه البشرية :

❁ **الخلية الجذعية** : و هي خلية بشرية قادرة على التمايز إلى أي نمط خلوي و استبدال الخلايا التالفة بأخرى جديدة ..

مثلاً إن تلفت خلايا في القلب أو الدماغ يمكن حقن المريض بخلايا جذعية تتكفل بإصلاح الضرر، و كما ترى بنفسك هذه ثورة علمية طبية حقيقية ..

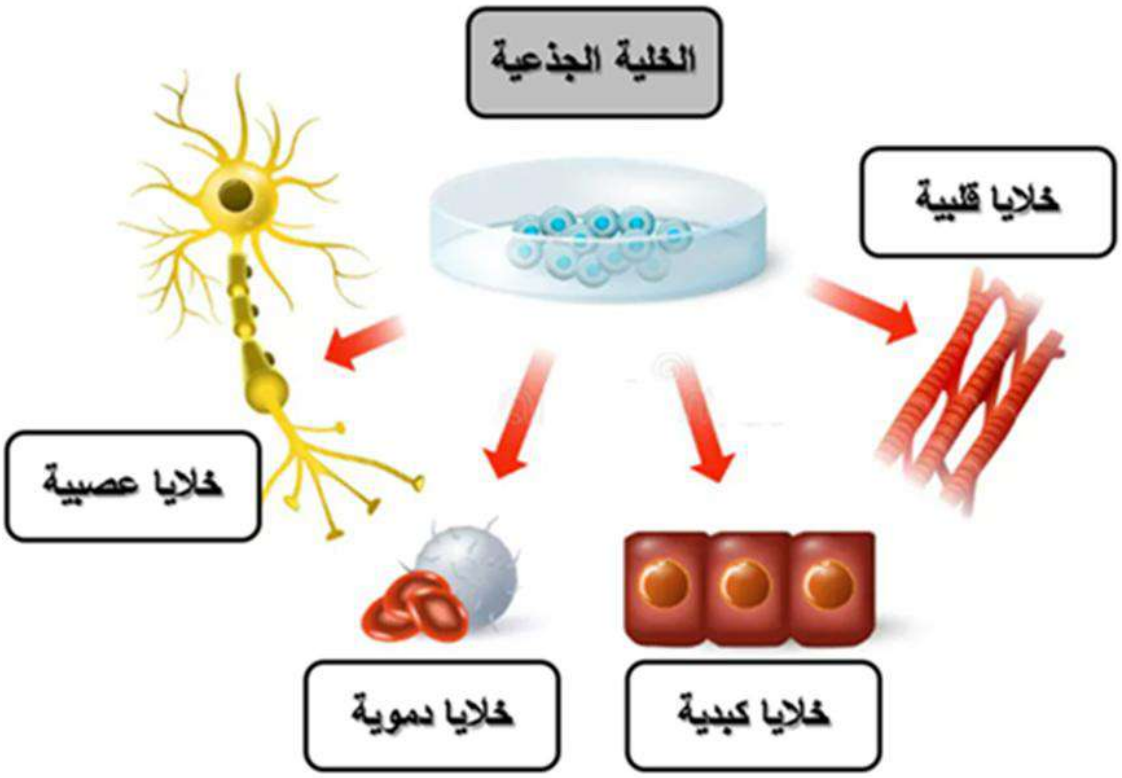

و يمكن تأمين هذه الخلايا من خلايا الجنين الأولية أو من النسج البالغة في الجسم فهي تحوي نسبة منها أيضاً ..و هذه التقنية ذات آفاق عملية واسعة في المستقبل .. فهي ببساطة قد تحل مشكلة المجاعات و عوز البروتين في البلدان النامية بإنتاج كميات هائلة من النسيج العضلي مثلاً ..

❁ الاستنساخ :

فيمكن أن تأخذ أي خلية جسدية كخلايا الجلد مثلاً ثم تنزع نواتها و تحقن هذه النواة في بويضة أنثوية منزوعة النواة، و مع بعض التأثيرات الإضافية تتطور هذه البويضة لتعطي نسخة طبق الأصل عن الكائن الذي استعملنا نواة خليته الجسدية .. و أشهر مثال عن هذه التقنية هو النعجة دوللي التي تم استنساخها عام **1996**

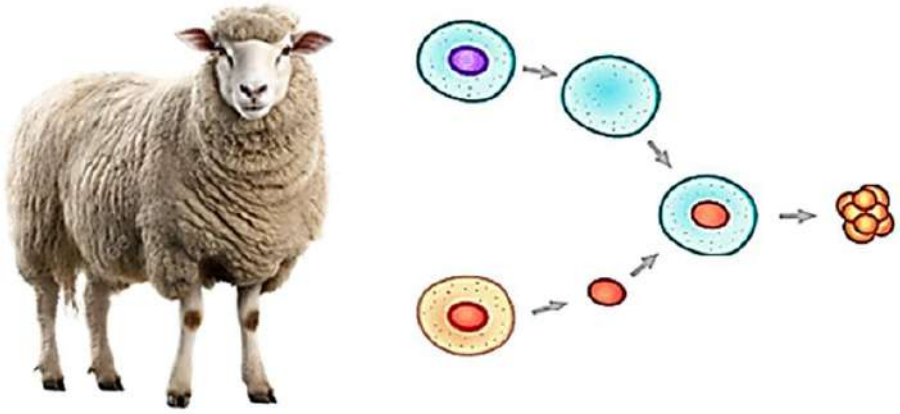

و لهذه التقنية استخدامات عديدة ، كحفظ الأنواع المهددة بالانقراض أو استنساخ الأنواع الأفضل من الحيوانات لتحسين الإنتاجية ، مثلاً استنساخ الخيول القوية و السريعة أو الأبقار ذات الحليب الغزير أو الأغنام ذات الصوف الكثير أو اللحم الزائد ..

❁ التلاعب الجيني :

حذف جينات مرضية أو استبدالها بجينات سليمة عند الإنسان مما يعالج أمراض قاتلة لا علاج دوائي أو جراحي لها .. أو إضافة جينات معينة إلى جينات

الحيوانات لمنحها صفات جسدية جديدة ، كإضافة جينات صنع الحرير عند العنكبوت إلى جينات الماعز فتبدأ الماعز بصنع كميات هائلة من حرير العنكبوت الأقوى من الفولاذ **8** مرات و تصنع منه الدروع المضادة للرصاص مثلاً ، في حين أن إنتاج غرامات قليلة من هذا الحرير في الحالة العادية يحتاج آلاف العناكب .. أو التلاعب الجيني عند النباتات لإنتاج أنواع أفضل نوعية و كمية ..

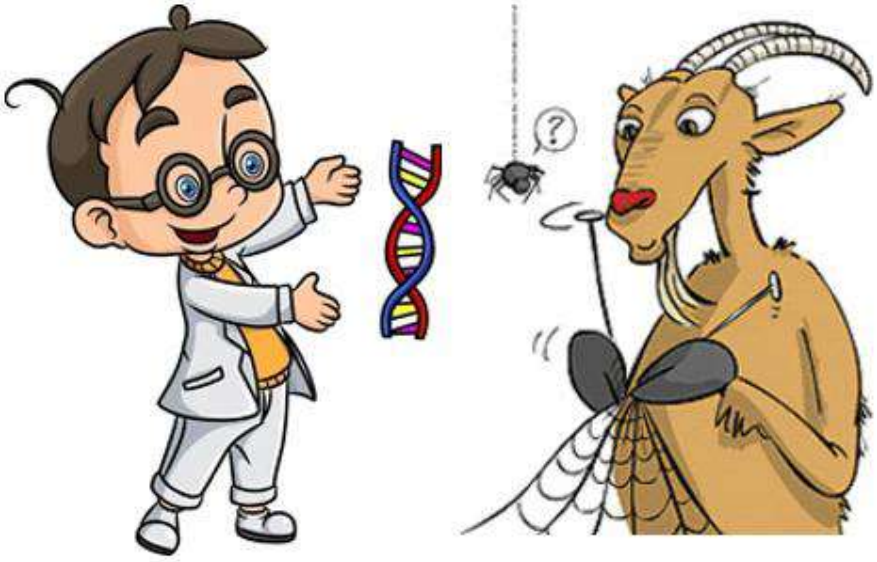

و إن أردنا أن نتحدث عن الوجه الآخر للطب بعيداً عن **الألم و التعب و العجز** سنحتاج إلى موسوعات للإحاطة به .. لكنني أعتقد أنني غيرت نظرتك القديمة الجافة للطب لتدرك أن هنالك الكثير بعيداً عن الزكام و التهاب البلعوم **!!**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشيقة (**الوجه الآخر**

للطب) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الطب علم جاف و محزن يتعلق فقط بالآلام و التعب و العجز و ربما الموت ..

بل أن نقول :

= الطب عالم ممتع من الألغاز و الفن و الطرافة و الطبيعة .. نحن فقط نجهل حقيقته لكننا إن تعمقنا في سبر أغواره فسيذهلنا بلا شك..

اشتهر الكاتب الفرنسي **ستندال** بإصابته بمتلازمة نفسية سميت لاحقاً على اسمه ، فقد كان يعاني من تسرع في ضربات قلبه بقوة ثم يغمى عليه عند رؤيته لعمل فني مبهر كلوحة أو تمثال و غيرها .. و ربما إن تعمقت عزيزي القارئ في علوم الطب أكثر ستكتشف أنك مصاب بهذه المتلازمة أيضاً .. لأنني أعتقد بأنه سيغمى عليك من هول ما ستراه ..

مغالطة ميتافيرس

الروح

(نعم لقد ولدت ، استيقظ لقد متّ)

= كيف قضيت أمسيتك البارحة ؟

= ذهبت إلى السينما و شاهدت الجزء الثالث من سلسلة أفلام أفاتار ..

= و ما تقييمك للفلم ..؟!

= رائع كالجزئين الأولين و فكرة البركان تم توظيفها بإبداع ..

= أعلم أنك من أنصار هذه السلسلة ..

= بالفعل .. ان فكرة العيش في جسد آخر(أفاتار) بينما أنت نائم تستهويني .. إنها أشبه بحياتنا في هذه الدنيا كما أتوقع ، مجرد عالم افتراضي ..

= تقصد كالحلم ؟!

= بالضبط ، لكنه حلم طويل و واقعي للغاية .. نبدأ به

عندما تنام أجسادنا في العالم الآخر و نولد على الأرض و نستيقظ منه مع استيقاظ تلك الأجساد بموتنا على الأرض .. تماماً كمعنى كلمة أفاتار باللغة السنسكريتية في الفلسفة الهندوسية أي تجسد كائن علوي (ديفا) أو الإله الأعلى على كوكب الأرض ..

= إنها نظرية غريبة ، و من الصعب أن تكون حقيقية !!

= على العكس إنها النظرية الأقرب للمنطق ، عدا ذلك كيف سنتذكر في العالم الآخر الأحداث التي جرت معنا في الحياة الدنيا ؟!

= لم أفهم !!

= تعال لأوضح لك أكثر ، فأخبرك عن أشياء ستصيبك بالذهول و الدهشة بلا شك ..

*****

أغلق عزيزي القارئ عينيك و احلم معي قليلاً في هذه المغالطة الجديدة الشيقة (**ميتافيرس الروح**) ، التي سنجيب فيها على سؤالها الهام و الجوهري التالي :

(هل نحن نعيش في عالم حقيقي بالفعل ، و ما هي الروح بالضبط ؟)

و كجواب مبدئي وجيز كالعادة نقول :

(هذه الحياة الدنيا عبارة عن واقع افتراضي ، مجرد حلم طويل تحلم به أجسادنا الغافية في العالم الأُخر ، فيبدأ الحلم عندما نولد على الأرض و نستيقظ منه عندما نموت ، و هذا الحلم بالضبط هو الروح)

أعلم أنها نظرية غريبة للغاية بل أقرب للخيال العلمي ، و مهمتي خلال الصفحات التالية عزيزي القارئ هي دفعك لرؤية الحياة من زاوية أخرى مختلفة عما اعتدنا عليه ، كي نصل سوياً إلى تفسير عميق و منطقي كما آمل لهذا الجواب ، و سننجز ذلك بمقاربة مغالطتنا من 5 زوايا غاية في الأهمية :

- نظرية أفلاطون عن الوهم ..
- نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) ..
- مصطلح نومينون & فينومينين ..
- نظرية الدماغ في وعاء ..
- نظرية الروح هي حلم ..

فهيا بنا لنحلم قليلاً و نعيش في واقع افتراضي بعضاً من الوقت ..

① **نظرية أفلاطون عن الوهم**: في زمن الإغريق

قدّم أفلاطون تجربةً تبيّن سهولة تعريض العقل للخداع، و تنص التجربة على التالي :

(لو قمنا بإبقاء مجموعة من الناس منذ ولادتهم في غرفة صغيرة مع مجموعة من الخيالات التي تنعكس أمامهم على الحائط، ولو تكلمنا مع الناس في الغرفة من وراء الحائط فسيعتقدون أن هذه الأصوات قادمة من الأشياء التي يرونها أمامهم (الخيالات).. وبإمكانهم أيضاً أن يجزموا متأكدين من ذلك، فهم لا يعرفون شيئاً آخر في العالم غيرهم هم والخيالات التي يرونها معهم، فحدود العالم بالنسبة لهم هي هذه الغرفة الصغيرة، ولا بدّ أن تلك الأصوات آتية مما يرونه أمامهم.. بهذه الطريقة نكون قد خدعنا عقولهم بكذبة صدقوها وآمنوا بها ولم يشككوا بها قطّ ! ولكن ماذا لو كشفنا عنهم الحجاب وأخرجناهم من غرفتهم تلك إلى العالم الأكبر؟)

و العبرة من هذه التجربة أنّ كثيراً من المعتقدات التي كوّناها في حياتنا ضمن عالم المعرفة المحدود بين أيدينا مجرد وهم باطل ، فلو كُشف لنا الحجاب عن عالم أكبر من المعرفة، كما كُشف في تجربة أفلاطون، لن نبقى جازمين أن صفة اليقظة التي نطلقها على يومياتنا هي تامة ومطلقة ؟ فماذا لو كانت يقظتنا هذه مجرّد حلمٍ لواقع آخر؟

② نبذة عن الواقع الافتراضي (ميتافيرس) :

انطلاقاً من فكرتنا الأولى لنتحدث قليلاً عن الواقع

الافتراضي الذي هو ببساطة واقع وهمي يعيشه دماغ الإنسان في حالة محاكاة لواقع آخر ، كما يحدث

بالضبط عند ارتداء نظارات الواقع الافتراضي فتعيش

في دنيا تقسم أنها حقيقية لكنها في الحقيقة غير موجودة سوى في خيالك ، و ما إن تنزع النظارات حتى تعود إلى الواقع الحقيقي ، لكنك بالطبع تحتفظ بكافة الذكريات التي عشتها في تلك التجربة الفريدة .. و هذا هو مربط الفرس في مغالطتنا ..

أما تاريخ العيش في واقع افتراضي فيعود إلى عام **1935**، عندما قدم كاتب الخيال العلمي الأمريكي، **ستانلي وينباوم** نموذجاً خيالياً للواقع الافتراضي في قصة قصيرة بعنوان: (**نظارات بجماليون**) و خلال

أحداث هذه القصة، التقت الشخصية الرئيسية بأستاذ جامعة اخترع زوجاً من النظارات، يمكن من خلالها الانغماس في التجارب الخيالية، باستخدام حاستي الشم واللمس..

ثم تطورت تقنيات الواقع الافتراضي عبر السنوات اللاحقة حتى عام **2010** عندما قدمت جوجل وضعاً ثلاثي الأبعاد مجسماً لخدمة التجول الافتراضي ، وفي نفس العام، ابتكر الأمريكي **بالمر لوكي** ، وهو رجل أعمال يبلغ من العمر **18** عاماً، أول نموذج أولي لنظارات رأس تقدم خدمة الواقع الافتراضي ، و قد تميز هذا النموذج بمجال رؤية **90** درجة لم يسبق له مثيل من قبل، ويعتمد على قوة معالجة الكمبيوتر للصور.. ساهم هذا التطور في تعزيز الاهتمام بالواقع الافتراضي أكثر بعد ذلك ..

③ مصطلح نومينون & فينومينين :

نومينون هو مصطلح يشير إلى كل شيء غير مدرك بالعقل و غالباً يشار بها إلى كل شيء غير مرئي بالتحديد ، كالروح طبعاً و الجن و الأشباح و غيرها من الماورائيات ..

أما **الفينومينين** فمصطلح معاكس يشير إلى كل شيء محسوس بالعقل .. و سنعود إلى هذين المصطلحين بعد قليل ..

④ نظرية الدماغ في وعاء :

نظرية غريبة للغاية تقول ببساطة : لو أن دماغك فصل عن جسدك و وضع في محلول مغذي ، ثم وصل مع كمبيوتر فائق التطور يقوم بتنشيط باحات دماغك بنبضات خاصة مدروسة كي يمنحك أحاسيس مزيفة لكنك تشعر بها كواقعية ، فترى أشياءً و تسمع أصواتاً و تلمس أشياءً أخرى ، كما تشم روائح و تشعر بمذاقات مختلفة و هكذا .. فهل دماغك حينئذ سيفهم هذه الأمور كأوامر من الحاسوب أم أنه سيؤمن بأن هذا الواقع الذي يعيشه حقيقة فعلياً ؟! هذه مفارقة علمية عجيبة للغاية تستحق التفكير مطولاً !!

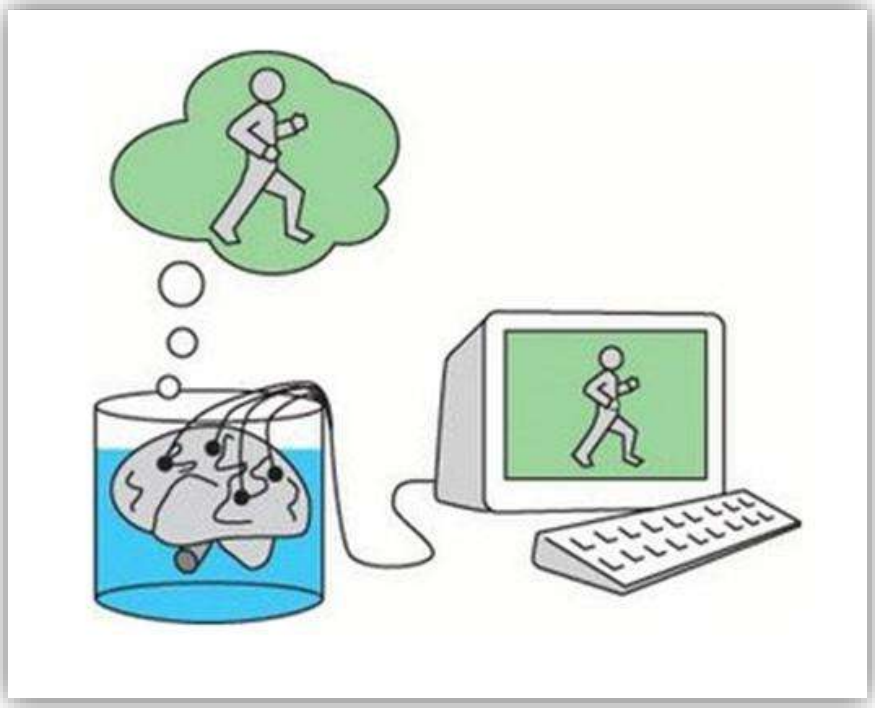

تعود نظرية الدماغ في وعاء باسمها إلى الفيلسوف الأمريكي **هيلاري بوتنام** في كتابه (السبب و الحقيقة و

التاريخ) الصادر عام **1981** ، لكن جذور الفكرة تعود لأقدم من ذلك، ففي القرن **17** استحضر الفيلسوف الفرنسي **رينيه ديكارت** فكرة **الجني السيء** الذي يحاول خداعه و ايهامه بأنّ كل ما يجري حوله في العالم الخارجي هو حقيقة واقعية .. و كان يهدف ديكارت من هذه الفكرة إلى إعادة بناء المعرفة البشرية على أسس ثابتة متبنياً في ذلك (**مبدأ الشك**) ، فبعدما أشار إلى انعدام موثوقية حواسنا و الارتباك الناتج عن الأحلام ، قام بنبذ كل المعارف والمسلّمات حتى تلك التي حملت نسبة ضئيلة من الشك ، بل إنّ ديكارت دفع بمبدأ الشك إلى الحد الأقصى ، فنجده يقول في كتابه (**تأملات في الفلسفة الأولى**) :

(سأفترض إذن .... أنّ جنياً سيئاً، قد استعمل كل ما أوتي من حنكة لتضليلي. وسأفترض أن السماء، والهواء، والأرض، والألوان، والأشكال، والأصوات، وسائر الأشياء الخارجية التي نراها، ليست إلاّ أوهاماً وخيالات، يلجأ إليها الشيطان كي يقنعني بواقعيتها)

و رغم أن هذه الفرضية بظاهرها باطلة بشكل بديهي ، لكنها صحيحة للغاية في باطنها كما سنرى بعد قليل ..

و لقد تطرق **فلم ماتريكس** الشهير لهذه الفكرة بدوره ، حين يكتشف أحد قراصنة الحاسوب و هو (**نيو**) أنّ العالم عام **1999** ليس إلاّ محاكاة افتراضية للواقع صُمّمت بواسطة جهاز استخبارات إلكترونية ، و أنه وبقية الناس تم وضعهم في قوالب مليئة بالسوائل المغذية متصلين سلكياً بجهاز حاسوب..

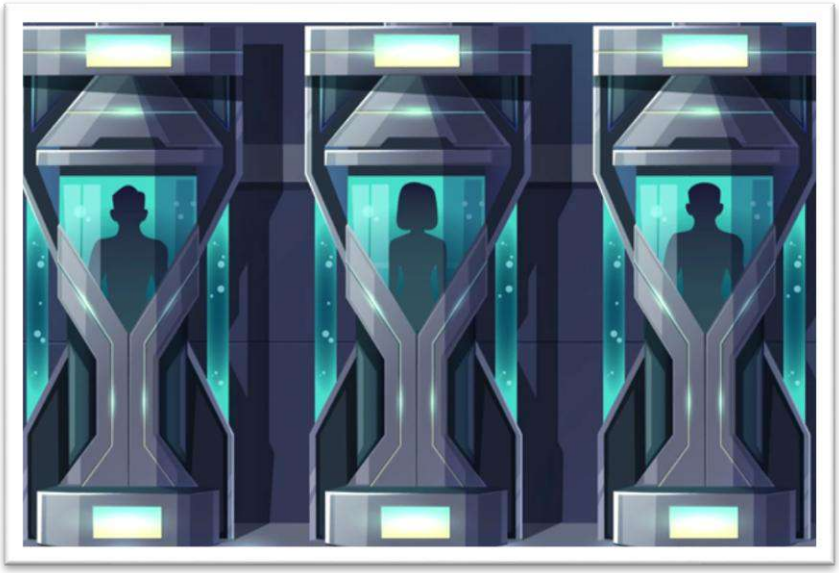

و هذا أيضا يتقاطع مع جوهر فكرة فلم أفاتار الذي تطرقنا إليه في مطلع مغالطتنا ..

و قبل مدة ليست بالبعيدة اقترح الفيلسوف السويدي **نك بوستروم** أن هناك احتمالاً كبيراً أننا نعيش في هذا الكون ضمن برنامج محاكاة على أرض الواقع فعلياً ، و هذا له ما يبرره بقوة كما سنرى بعد قليل **!!**

فهل كل هذه النظريات (**الدماغ في وعاء ، الجني**

الشرير ، الماتريكس و الأفاتار) هي مجرد تخيلات علمية لا غير ، أم أنها تعبير حقيقي لوصف الكون الذي نعيش فيه ؟! و إن كانت كذلك كيف يحدث ذلك ؟ هذا يقودنا إلى المحور التالي الأهم في مغالطتنا ..

⑤ نظرية الروح هي حلم :

نستهل هذه النقطة بسؤال بسيط لكن هام للغاية :

(نعيش على هذه الأرض ضمن أجساد مادية تختزن في أدمغتها ذكرياتنا كلها من الأحداث التي عشناها و نعيشها ، لكن ما مصير هذه الذكريات بعد أن نموت و تتحلل أدمغتنا إلى تراب ؟! هل تذهب إلى العدم كأنها لم تكن بحكم أن الأفكار ليست مادية لتبقى ؟!)

في الحقيقية وفق تصوري الشخصي للروح و العالم الآخر ، الجواب على هذا السؤال يكمن في العالم الآخر ، فهناك أجسادنا السماوية - أياً كانت بنيتها - هي متصلة لاسلكياً بأدمغة أجسادنا الأرضية بتقنية ما، و في اللحظة التي نولد فيها على الأرض أي يكتمل فيها تكويننا الأرضي { **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** } تبدأ أجسادنا في السماء { **النشأة الآخرة** } بالحلم حيث تشاهد تفاصيل حياتنا الأرضية ثانية بثانية و تسجلها ، و متى ما انتهت حياتنا على الأرض سنستيقظ من ذلك الحلم و أجسادنا السماوية تحتفظ بتلك التفاصيل كلها ، تماماً كما لو كانت أجسادنا السماوية

ترتدي نظارات الواقع الافتراضي خلال حياتنا الدنيوية ثم نزعتها لحظة موتنا، بمعنى أن الروح (**نومينون**) كمادة لاوجود لها عزيزي القارئ تماماً كالأفكار و الأحلام و غير محسوسة بالعقل حرفياً ، و ليست سوى الذكريات و التفاصيل التي نراها في ذلك الحلم ، و ما **الاتصال** بين الجسدين السماوي و الأرضي عند أول نفس لك في الحياة سوى **نفخ الروح** في الأجساد ، و ما الاستيقاظ من الحلم سوى **خروج للروح** من الجسد **بانقطاع الاتصال** ..

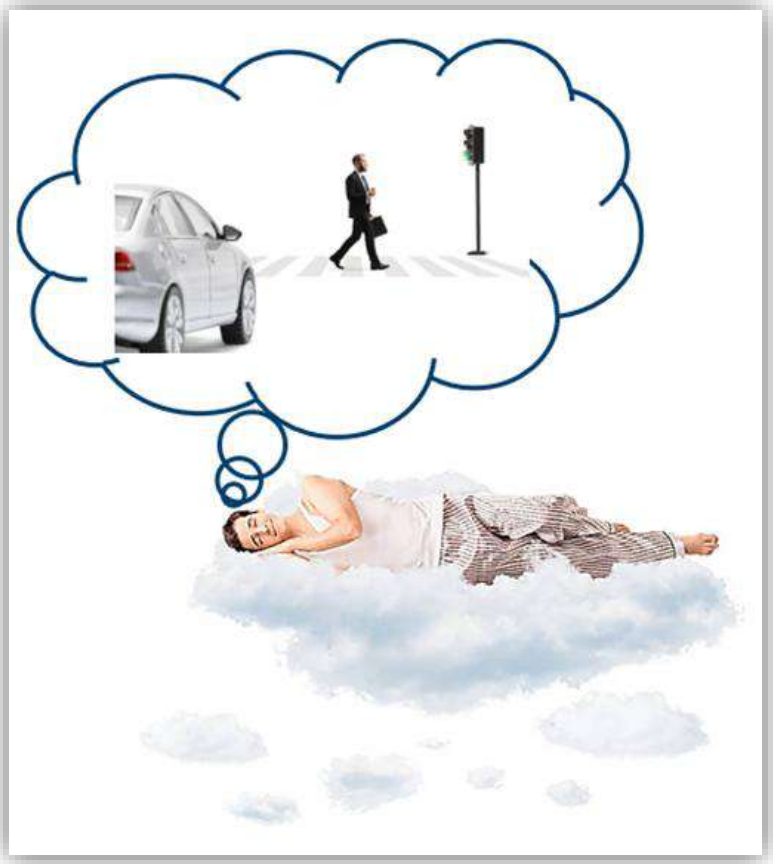

و يمثل الكون الأصغر الذي نعيش فيه عالماً افتراضياً (**ميتافيرس للروح**) مبرمجاً كي تعيش فيه أجسادنا الأرضية الوهمية التي ستذهب إلى العدم بعد موتنا ،

لتتابع أجسادنا السماوية مسيرة حياتنا في دار البقاء الآخرة بذكريات أجسادنا الأرضية كلها ..

أما نظرية الروح كمادة غير مرئية مبهمة توجد داخل الأجساد البشرية تخرج منها عند الموت لتصعد إلى السماء فهي تشبيه مبسط للبشر في أزمنة غابرة يتماشى مع معرفتهم وقتها و قدرتهم على الفهم و الاستيعاب .. فهل كان بإمكان البشر في ذلك الوقت أن يستوعبوا مفهوم الواقع الافتراضي أو الدماغ في وعاء مثلاً بحكم تأخر التكنولوجيا و غياب أجهزتها لديهم؟! بالطبع لا.. فمثلاً السماء في القرآن بناها الله بأيديه ، و الجنة فيها مغريات مادية شبيهة بالدنيا كالطعام و الشراب و حتى الجنس، و غير ذلك من تشبيهات مستوحاة من حياة البشر لتقريب الصورة إلى أذهانهم ، لكن مع تقدم العلوم نبدأ نفهم كل شيء بصورة جديدة علمية منطقية .. أي ببساطة يزول وهم أفلاطون الذي تحدثنا عنه منذ قليل

يقال أننا عندما نحلم في نومنا في هذه الدنيا أنّ الروح هي التي تحلم ، و في الحقيقة هذه الأحلام هي الروح نفسها حرفياً ، لأن هذه الأحلام ببساطة هي نقطة اتصال حقيقي صرف بين الجسد السماوي و الجسد الأرضي (**زوج من الفينومينين**) بدون عائق مادي مشتت بينهما ، بمعنى أنهما يتحدان في كيان واحد حالم خلال الأحلام (**الروح أو النومينون**) التي هي صلة الوصل بين الجسدين (الجسدان يحلمان في آنٍ معاً)..

و من وحي توجهي الطبي في الحياة يمكن تشبيه الحياة الدنيا بتجربة **اضطراب سلوك نوم الريم** التي يقوم خلالها النائم بتمثيل أحلامه، و هذا تشبيه مثالي فأجسادنا الأرضية تقوم ببساطة بتمثيل أحلام أجسادنا السماوية .. و هناك في الطب مفهوم آخر أيضاً يدعى **بالحلم الواعي (لوسيد دريم)** ، هو حلم يدرك فيه النائم أثناء نومه أنه يحلم، وقد يبدأ بالتدخل في حلمه والتأثير فيه تماماً كأحداث فلم **inception** الشهير .. في هذا النوع من الحلم يكون النائم واعياً بمشاعره وأحاسيسه، وفي الوقت ذاته يكون واعياً أنه يحلم.. و في دراسة نشرت عام **2016**، فإن **55%** من البشر عايشوا الحلم الواعي لمرة واحدة على الأقل في حياتهم. بينما يختبر **23%** من البشر الحلم الواعي مرة على الأقل في الشهر.. يحدث مثلاً أن ترى في الحلم أنك في غابة ثم تجد نفسك فجأة تطعم الديناصورات بيدك ،

عندها وأثناء نومك، تدرك أنك تحلم، وقد تتابع في حلمك أو تستيقظ، و هذا هو بالضبط ما أحاول إيصاله لك عزيزي القارئ أن تفهم أن حياتك كلها مجرد حلم يراود جسدك السماوي و أنت قادر على التلاعب بهذا الحلم ..

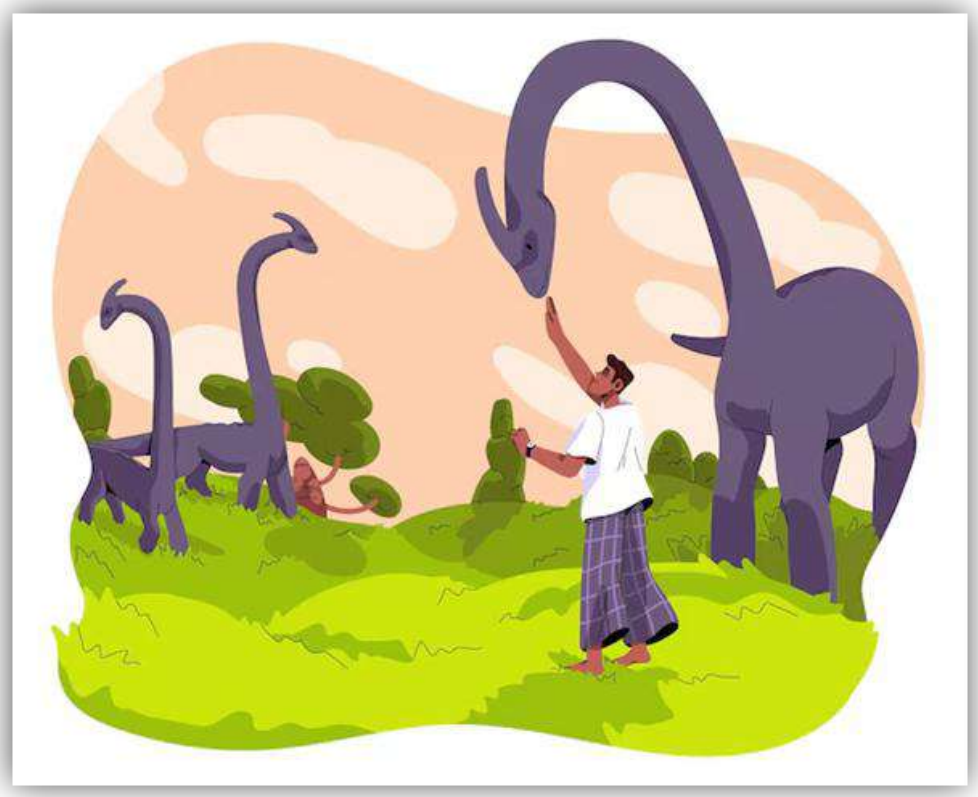

و في الحقيقة هنالك ما هو أكثر من ذلك، من سيحشر يوم القيامة ليست أجسادنا الأرضية التي تحللت بموتنا بل أجسادنا السماوية التي تحمل إرثنا الأرضي كاملاً مع مؤهلات أكبر من ذلك بكثير، و ما قيام الساعة سوى رنة منبه الساعة (نفخ الصور) التي ستستيقظ معها جميع الأجساد السماوية معاً في لحظة واحدة .. و هذا هو بالضبط التفسير المنطقي لتسمية يوم القيامة

بالساعة !!

كذلك الأمر في حالات تناسخ الأرواح يتم وصل جسد سماوي واحد بعدة أجساد أرضية فيحمل ذكرياتها كلها.

و الحقيقة الأغرب و الأهم في الموضوع كله هي أنّ الجنة (**الكون الأكبر**) بحد ذاتها قائمة على مبدأ العالم الافتراضي أو الدماغ في الوعاء ، حيث أنك ببساطة قادر على الانتقال إلى أي عالم تشاء و العيش فيه **و أنت في مكانك** .. و الأهم أنك ستعيشه كحقيقة لا تقبل الشك بسبب دقة التفاصيل كما هو حال كوننا الذي نعيش فيه الآن بالضبط و الأجمل في القصة أنك **و إن تأذيت في تجاربك الافتراضية تلك ، فإن جسدك السماوي سيبقى سليماً بلا أي ضرر ..**

و كاختصار لكل ما سبق : أجسادنا السماوية عبارة عن

(**دماغ في وعاء**) و متصل بحاسوب (يملي علينا أحلامنا و بالتالي تفاصيل حياتنا الأرضية) و نحن في هذه الدنيا (**الماتريكس**) عبارة عن أجساد أرضية (**أفاتار**) نقوم بترجمة تلك الأحلام الموجودة على ذلك الحاسوب و في أجسادنا السماوية كحقيقة مادية مجسّدة أمامنا و أمامها .. لتتكامل هذه النظريات جميعاً في نظرية واحدة مشتركة و هي نظرية (**الروح النومينون الحلم**) التي تنفخ في أجسادنا الأرضية كحلم لحظة نومنا في العالم الآخر و ولادتنا في الدنيا ، و تخرج منها لحظة استيقاظنا في العالم الآخر و موتنا في الدنيا ..

أي أنك في حياتك الدنيوية أشبه بمصباح في سقف غرفة ، عندما ينام جسدك السماوي بولادتك يتم ضغط زر التشغيل فتصلك الكهرباء لتضيء و تشع حياةً ، و عندما يستيقظ جسدك السماوي يُضغط الزر ثانيةً لتنطفئ حياتك على الأرض و تموت..

لذا احذر عزيزي القارئ من أفعال **أفاتارك** في حلمك الطويل القصير ضمن (**حياتك الدنيوية الماتريكس**) فلا تدري في أي لحظة سيستيقظ جسدك السماوي من غفوته برنة منبه الساعة الموقوت عندما تنتهي قصة حلمك على الحاسوب الخاص بك فتموت على حين غرة و لا يبقى لك من حياتك على الأرض سوى عواقب أحلامك تلك فإما أن تكون كوابيساً أو أحلاماً سعيدة ، و القرار قرارك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة الجديدة (**ميتافيرس الروح**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أخشى تجربة الموت ، فخروج الروح من الجسد عملية مجهولة و يقال أنها مؤلمة ..

بل أن نقول :

= الحياة مجرد حلم قصير يعيشه جسدنا السماوي ، يبدأ بولادتنا (نفخ الروح/النوم) و ينتهي بوفاتنا (خروج الروح/الاستيقاظ) ، فهل سبق لك أن استيقظت من حلمك بصعوبة .. اللهم إلا إن كان كابوساً ، و ما الكابوس الحقيقي سوى سوء الأفعال في ذلك الحلم (الحياة الدنيا) .. أما من صح فكره و قوله و فعله فسيعيش أحلاماً سعيدة يستيقظ منها مرتاحاً

، راضياً و سعيداً .. أما عن ألم الموت ، فصدقني أن الموت لا يختلف أبداً عن شعورك عندما تنام أو تخضع لتجربة التخدير ، مجرد غياب للوعي خلال أجزاء من الثانية !!

الحياة الدنيا مجرد لعبة على حاسوب كوني عملاق ، لكنها ليست لعبة للترفيه البحت، بل لعبة لبناء الإنسان لا تخلو من المتعة .. لعبة برمجتها السماء بعبقرية لا يشق لها غبار .. !! أما ألعاب الترفيه البحت فستكون في جنان الله بعد أن أصبحت إنساناً حقيقياً ،حيث هنالك دنيا واسعة من العوالم الافتراضية التي لا تنتهي بانتظارك !! ..

مغالطة المغالطات

(لا تقع في الفخ)

جمعت مناظرة بين شخصين حول قضية **المثلية الجنسية** التي بدأت تنتشر بشكل واسع في العالم و الأخطر محاولة البعض فرضها بالقوة على عقول الأطفال بخطط ممنهجة للتلاعب بميولهم الجنسية المستقبلية ..

قال أحد طرفي المناظرة :

= يصف البعض المثليين بأنهم قوم لوط الجدد ، وهذا خطأ شائع ، فالمثلية مرض حقيقي له أسباب نفسية أو عضوية تسببه و هو قابل للعلاج في حالات كثيرة ، أما قوم لوط فلم يكونوا مثليين بل أسوياء جنسياً ، و مارسوا الفاحشة مع الجنس نفسه من باب المتعة البحتة و الفجور لا أكثر .. و هذا ذكر في القرآن كتاب الله عند المسلمين بوضوح (**إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء**) في حين أن المثلي لا ينجذب للنساء أساساً فكيف يطالبه الله بفعل ذلك .. فالآية واضحة بأنها تتحدث عن الرجال الأسوياء جنسياً فقط !!

قاطعه الشخص الآخر بغضب و قال :

= هذا كلام خطير من قبلك ، إنك تبيح المثلية و تشرع لها على نحوٍ يفسد المجتمع و عقول الأطفال .. عارٌ عليك ..

فما الذي فعله الشخص الثاني بالضبط ؟ لقد قام هذا الشخص بممارسة مغالطة منطقية شائعة تدعى (**مغالطة رجل القش**) و فيها يهاجم الطرف الأول الطرف الثاني على شيء لم يقله ، بحيث ينقل الحوار إلى مكان آخر يريده كي يظهر الطرف الثاني بمظهر مهزوز و ضعيف أمام الجمهور فيحقق مكاسبه في النقاش .. و كما لاحظنا الشخص الأول في مثالنا لم يدعم المثلية و لم يروّج لها ، بل قال بأنها على خلاف قوم لوط ، حالة صحية مرضية قابلة للعلاج أي يجب علاجها إن أمكن ، أما الشخص الثاني فتجنّى عليه بأن كلامه يدعم المثلية و يروّج لها ، و هذا غير صحيح !!

*****

ما حدث بين هذين الشخصين آنفاً أمر شائع في حياتنا اليومية باستخدام البشر مراراً و تكراراً لمجموعة مغالطات منطقية في نقاشاتهم (**عمداً أو جهلاً**) لكسب الحوار و إثبات خطأ الطرف المقابل بالخداع لا أكثر ، و هذا هو صلب مغالطتنا الجديدة الهامة للغاية (**مغالطة المغالطات**) و التي سنتطرق فيها إلى أشهر المغالطات

المنطقية الشائعة بين البشر ، في محاولة منا لتجنيبك عزيزي القارئ الوقوع في فخها عبر كشفها و إظهار طريقة الرد عليها ، لكن قبل البدء بذلك ما هي المغالطات المنطقية بالأساس ؟

(المغالطات المنطقية هي حجج غير صحيحة، و عادة ما تستخدم في السياسة و الإعلان و ما إلى ذلك، لإثبات وجهة نظر، لكنها في الواقع تسعى لتشويه الطرف المقابل في النقاش لافتقارها إلى الأساس و الحقائق في الحجة المقدمة)

فهيا بنا عزيزي القارئ لنتعرّف سوياً على أشهر هذه المغالطات و مضمونها ..

❁ مغالطة رجل القش :

أصل تسمية هذه المغالطة يعود إلى (دمية رجل القش) في العصور الوسطى، حيث كانت تُستخدَم هذه الدمية لكي تمثل الخصم و يتم ضربها بالسيف، وهذه الدمية لا تزال تُستخدَم في العديد من المناسبات إلى الآن، مثل المظاهرات السياسية أو الاحتجاجية..

في هذه المغالطة يستبدل شخص ما حجة الطرف المقابل القوية بحجة أخرى ضعيفة ، ثم يُوجِّه دفة النقاش إلى الحجة الضعيفة ليقوم بتحطيمها بسهولة كونها واهية بالأساس و يعلن انتصاره على خصمه،

وهناك شكل آخر من هذه المغالطة عن طريق تناول الجوانب الضعيفة في الحجة القوية ويبني عليها المغالط خلال باقي النقاش، ويُهمِل تفنيد الجوانب الأخرى القوية

مثال موضّح :

= الشخص **A** : تعد نظرية التطور واحدة من النظريات التي تفسر تنوع الحياة على الأرض.

= الشخص **B**: لا تنكر الحقائق العلمية، لا يمكن لنظرية التطور أن تكون خاطئة، فهي النظرية الوحيدة التي فسرت أصل الحياة....

فهنا لم يقل الشخص **A** أن نظرية التطور باطلة ، لكنه تحدَّث فقط عن النظرية كواحدة من نظريات عديدة تفسر تنوع الحياة على الأرض، على الرغم من ذلك قام الشخص **B** بافتراض أن **A** ينكر الحقائق العلمية ويُكذِّب نظرية التطور، ثم بنى النقاش على هذه النقطة..

❁مغالطة التسليم بالصواب:

و أول من أشار إليها هو الفيلسوف الإغريقي أرسطو ، هنا يقوم الشخص بافتراض صحة القضية التي يدافع عنها و يضعها بشكل ضمني في برهانه..

مثال موضّح :

= الأرض مسطحة لأنه يستحيل أن تكون الأرض غير مسطحة ..

فهنا يقول هذا الشخص بأنّ الأرض مسطحة لأنها

بالفعل مسطحة دون تقديم أي دليل و برهان علمي على كلامه !!

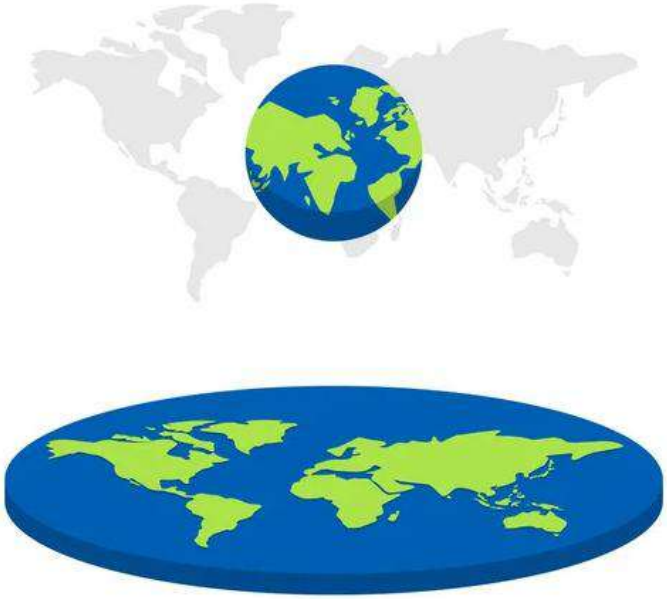

❁مغالطة الاحتكام إلى السلطة:

يقع المرء في هذه المغالطة عندما يأخذ بصحة ادعاء لا سند له إلا أن السلطة تبنته ، فحتى إن كانت الفكرة

صائبة، فإن المغالطة تكمن في اتخاذ السلطة بديلًا عن البرهان

مثال موضّح :

= أنا أستعمل معجون أسنان **X** لأنه أفضل معجون أسنان على الإطلاق و يقضي على التسوس تماماً و يجعل الأسنان بيضاء كالثلج .. هكذا قال إلفيس بريسلي في الإعلان ..

فهنا يفترض الشخص أن معجون الأسنان **X** هو الأفضل فقط لأن مطرباً مشهوراً قال ذلك !!

❁مغالطة الشخصنة :

بلا شك الجميع عانى من هذه المغالطة، سواء ارتكبها أو وقع فيها، خاصة في مجتمعاتنا العربية التي تعشق

شخصنة الحوار، و هنا يقوم أحد طرفي الحوار بمهاجمة الطرف الثاني و إهانته بغرض الفوز بالنقاش

مثال موضّح :

= و الله عال ، لا ينقصني إلا أن يعلمني هذا الإمعة معنى الديمقراطية !

فهنا لم يحاجج هذا الشخص خصمه بالمنطق بل حوّل الحديث إلى مهاجمته شخصياً و إهانته ..

❁ مغالطة الرنجة الحمراء :

سُميت هذه المغالطة بالرنجة الحمراء نسبةً للحيلة التي يستخدمها الهاربون من الشرطة عن طريق تضليل الكلاب البوليسية برنجة حمراء (نوع أسماك) ..

متقنو هذه المغالطة يتفنَّنون في مراوغة ضحاياهم في أزقة النقاشات ليلهوهم عن الموضوع الأصلي للنقاش،

بطرق عديدة، مثل إلقاء موضوع لافت في وسط النقاش الأصلي.

مثال موضّح :

= كيف توافق على حظر الماريجوانا؟ إنها لا تضر البتة، إن الكثير من السائقين يفضلونها على الخمر، في الحقيقة الخمر هو أصل كل المشاكل ، يا رجل إنه يتسبب في غياب العقل !

فهنا حول الشخص مجرى الحديث تماماً من الماريجوانا إلى الخمر و أضراره !!

❁مغالطة التعميم المتسرّع :

هنا يتخذ الشخص حكماً بناء على معلومة واحدة فقط ،

بدلاً من النظر إلى كل الحقائق ..

مثال موضّح :

= لقد اطلعت على موقع **facebook** فلم أجد سوى المنشورات السطحية و السخيفة القائمة على تمجيد الذات و نشر الخصوصيات .. إنه موقع سطحي و تافه للغاية ..

فالحقيقة أن هذا الموقع ليس كذلك بالطبع ، بل هنالك كم هائل من المنشورات الثقافية و العلمية القيمة ، لكن اطلاع ذلك الشخص على بعض المنشورات السطحية جعله يعمم هذه الصفة على الموقع كله !!

❁ مغالطة المنحدر الزلق :

و هي أن يتوصل شخص ما إلى نتيجة مفادها أن سلسلة كبيرة من الأحداث ستحدث بناءً على فعل واحد.

مثال موضّح :

= إذا لم تشترِ الهاتف اليوم سيرتفع سعره كثيراً بعد فترة و لن تتمكن من شرائه ، فتصبح بلا هاتف ، و إذا تعطلت سيارتك في الطريق أثناء سفرك إلى مؤتمرك لن تتمكن من الاتصال بأحد كي ينجدك ، فتبقى أياماً بلا طعام أو شراب ، فتمرض فتموت !!

فهنا كما نجد بوضوح تم بناء سلسلة من الأحداث المفترضة على شيء واحد و هو عدم شراء الهاتف اليوم ، و بالطبع هذه الأحداث قد لا تحدث أو قد تحدث لأسباب أخرى أو تأخذ منحاً مختلفاً ..

❁ مغالطة القسمة الثنائية (التأطير) :

هنا يقدم الشخص خيارين فقط ، على الرغم من وجود عدة خيارات أخرى لا يذكرها ، فيلزم الطرف الآخر

بأحد الخيارين لا غير !!

مثال موضّح :

= إما أن تكون مع الإجهاض أو ضده ..

فهنا يجبر الشخص الطرق الآخر على أحد هذين الخيارين ، في حين من الممكن أن يكون هذا الطرف مع الإجهاض في حالات معينة و ضده في حالات أخرى !!

❁ مغالطة الاحتكام إلى العامة (الشيوع) :

هنا يبرر الشخص فعلاً ما أو فكرة ما بأن غالبية الناس يفعله أو يؤمن بها ..

مثال موضّح :

= تناول اللبن و السمك يسبب التسمم .. الجميع يعرف ذلك !!

فرغم أن هذه الفكرة خاطئة طبياً ، لكن اقتناع عامة الناس بها منحها شرعية زائفة ..

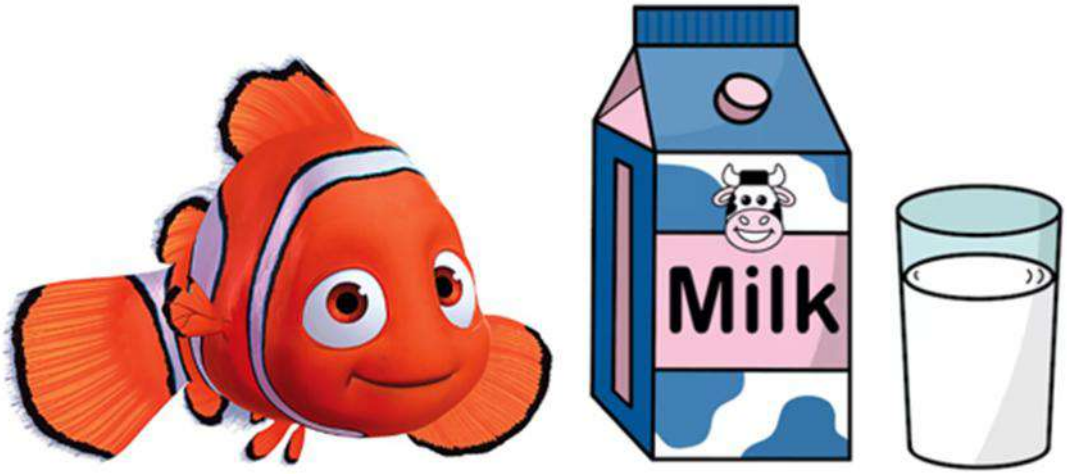

❁ مغالطة حساء الأبجدية :

هنا يستخدم الشخص كلمات كبيرة ومعقدة أثناء المناقشة من أجل الظهور بمظهر أكثر دراية، و في حين أن امتلاك عدد كبير من المفردات يعد أمراً إيجابياً، إلا أنه من المضلل عادة استخدام الكلمات الكبيرة أثناء المناقشة لأنك كلما جعلت حجتك أبسط، كان من الأسهل على الناس فهمها..!!

مثال موضّح :

= أنت شخص ديماغوجي و كلامك غير مفهوم كأنه بالسنسكريتية ، كيف تتجاهل مخاطر الاحتباس الحراري على البشرية ؟ إنه مسألة حساسة للغاية ، هل تريد حلها باللجوء إلى سحر الفودو مثلاً ؟!

فكما نجد هنا الشخص يستخدم مصطلحات غير شائعة

قد يجهلها العوام كي يظهر نفسه مثقفاً و مطلعاً فيظهر خصمه بموقع الشخص الجاهل الضعيف و بالتالي فحججه واهية في نقاشهما ..

❁ مغالطة التكافؤ الكاذب :

اشتراك شيئين بصفة معينة يعني أن الشيئين متشابهان بالمجمل ..

مثال موضّح :

= التسرب النفطي في خليج المكسيك لا يختلف عن سكب جارك للزيت على الأرض عندما يغير زيت سيارته..

قام الشخص هنا بالمقارنة بين شيئين يختلفان في الشدة و يشتركان بصفة وحيدة و هي التسرّب ليظهرهما بنفس الأهمية ، ففي حين تسبب التسرب النفطي في خليج المكسيك في ضياع **210** مليون برميل من نفط الولايات المتحدة، فإنّ الجار في أسوأ الأحوال قد

يسرّب نصف لتر من الزيت على الأرض !!

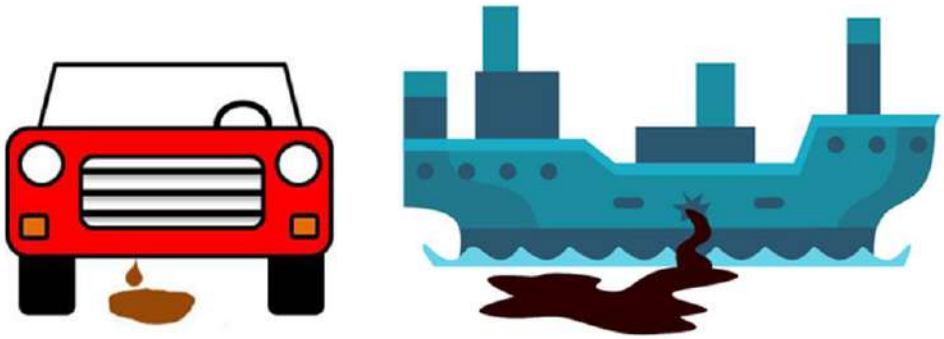

❁ مغالطة العجز عن التعريف :

عدم القدرة على تعريف شيء ما ، يعني عدم القدرة على مناقشته ..

مثال موضّح :

= هل تعرف مما تتكون المادة المظلمة ؟ بالطبع لا ، إذاً لا تحدثني عنها و تقحمها في نقاشنا ..

فالشخص هنا تجاهل حقيقة وجود المادة المظلمة المثبت علمياً و تذرع بحجة جهل الناس لماهيتها كي لا يقحمها في النقاش ..

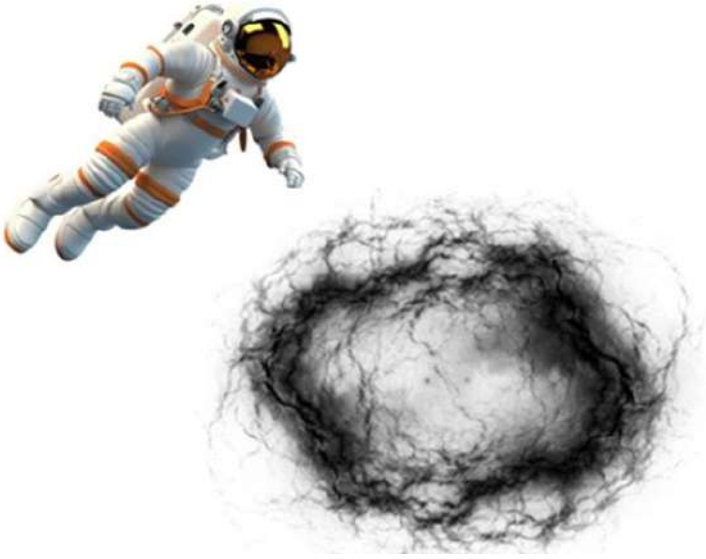

❁ مغالطة الرجل المقنع :

تُرتكب عندما يستعمل الشخص **قانون ليبنيز** في نقاشٍ ما بشكل غير مشروع، و قانون ليبنيز يقول أنه إذا كان لشيء ما خاصّية معينة، بينما شيء اخر ليس لديه نفس تلك الخاصّية، فالشيئان بالتالي لا يمكن ان يكونا متطابقين..

مثال موضّح :

= هل تعرف تحسين ؟ ..

= نعم ..

= هل تعرف هوية الرجل المقنع ؟..

= لا ..

= إذاً تحسين ليس هو الرجل المقنع بالتأكيد ..

فجهل الشخص بهوية الرجل المقنع جعل الآخر يفترض أن أي شخصية يعرفها ليست الرجل المقنع بالتأكيد !!

❁ مغالطة تسميم البئر :

و فيها يتم ذكر عيوب عن الطرف الآخر في النقاش لإظهار كل ما سيقوله لاحقاً على أنه باطل و غير صحيح ..

مثال موضّح :

= بالمناسبة ، يقال أنك في شبابك دخلت السجن بسبب حادث سير .. صحيح .. ؟!

= أجل ، و ما علاقة ذلك بالحديث عن خنق الشعب و استغلال طاقاته بلا مقابل ..؟!

فهنا أراد الشخص الأول أن يعطي للجمهور انطباعاً سيئاً عن الشخص الثاني للتأثير على قبولهم لوجهات نظره لاحقاً ..

❁ مغالطة الاحتكام إلى الإنجاز :

و فيها يتم الانتقاص من حجج و كلام الطرف الآخر بالاعتماد على تفوق الطرف الأول بالمكانة لا بتحليل الحجج بالعلم و المنطق ..

مثال موضّح :

= لا أعرف كيف يتحدث محمد شحرور في الدين و هو مهندس مدني بالأساس .. أنا كرجل دين أعتبر كلامه كله باطلاً ..

فهنا اعتبر الرجل كلام الشخص الآخر عن الدين باطلاً لأن قائله ليس رجل دين ، لا بمناقشة كلامه بالمنطق!

هذه هي أشهر المغالطات المنطقية عزيزي القارئ ، و أصبحت الآن تعرف مضمونها مما يمكنك من اكتشاف

استخدام من يناقشك لها للتلاعب بالحوار و جذبه لمصلحته فلا تقع بالفخ عندها .. لكن احذر من أن تغريك بدورك فتستخدمها أنت بنفسك في نقاشاتك !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشيقة هذه (**مغالطة المغالطات**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= سأتلاعب بالحوار باستخدام المغالطات كي أثبت وجهة نظري ..

بل أن نقول :

= إذا أردت أن تكسب الحوار و تثبت وجهة نظرك فابتعد عن الحجج الواهية و أثبتها بالأرقام و الأدلة و البراهين كي لا تترك للطرف الآخر مجالاً للشك فتقنع الجمهور بكلامك ..

تعود جذور المغالطات المنطقية إلى **المدرسة السفسطائية** الإغريقية التي شاعت في **أثينا** في القرن **5** قبل الميلاد ، حتى غدا المناقش الذي يستخدم حججاً واهية في نقاشه يدعى (سفسطائي) حتى يومنا هذا، أما عند العرب فنجد أول استخدام واضح للمغالطات المنطقية في **كتاب البخلاء الشهير للجاحظ** الذي وصفه بنفسه بأنّه : (**كتاب يطرح حججاً طريفة أو حيلاً لطيفة**) و هذا ما هو قائم بالفعل بالاستخدام المفرط

للمغالطات المنطقية في الحوار بين أنصار الكرم و الجود و أنصار البخل و الشحّ في كتابه ، فنجد مثلاً **ابن التوأم** فيه يدافع عن البخل و يهاجم الكرم عبر سلسلة من الجمل المفعمة باستخدام المغالطات و التلاعب بالحقائق كي يصل إلى مراده فيقول :

(و سمّوا الإسراف جوداً، و الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل ، لذا فالكرم والجود إسراف وهو باطل)

و بعد أن أصبحت الآن عزيزي القارئ خبيراً في كشف المغالطات المنطقية يمكنك ببساطة أن تكتشف المغالطة التي استخدمها ابن التوأم بدهاء في كلامه !!

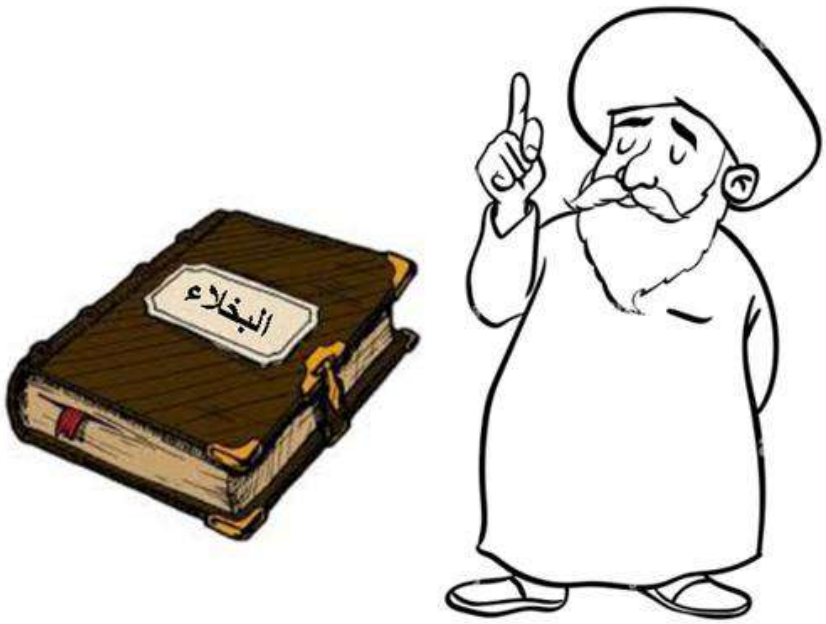

مغالطة دائرة الأرزاق

(في فمه ملعقة من ذهب !)

= هل سمعت بأنّ الملياردير **عبد الرزّاق** أنجب طفله الأول و أسماه **محسّد** ، إنّه اسم يليق به بلا شك ، فلا يوجد عاقل لا يحسده على هذه الحياة التي أبصر فيها النور، فهو كما يقال ولد و في فمه ملعقة من ذهب !!

= هذه عبارة غير صحيحة على الإطلاق يا صديقي ، ما من أحد في هذه الحياة يولد و في فمه ملعقة من ذهب .. فلا أحد تمنحه الحياة كل شيء ؟

= و كيف ذلك ، ما الذي ينقص ابن هذا الملياردير في حياته بالله عليك ؟!

= أمور كثيرة بلا شك ، هل أنت على اطلاع على تفاصيل حياته كلها بدقة كي تتحدث بهذه الثقة عنها ؟

= بالطبع لا .. لكنني كما أراه يمتلك كل شيء حرفياً ..

= هل سمعت من قبل **بامبراطور الصين بوئي** ؟

= لا !!

= إنه آخر امبراطور للصين من **سلالة تشينغ** قبل تحولها إلى جمهورية ..

= و ما علاقته بموضوع نقاشنا ..؟!

= على رسلك، سآتيك بالكلام .. فقد توفي الامبراطور **جوان غسو** والد بوئي عام **1908** و ابنه بعمر السنتين ، فعينته أمه **تسي شي** كامبراطور للصين و هو بهذا العمر .. و ربما ستظنّ بأنّه مثال للشخص الذي يولد و في فمه ملعقة من ذهب، فقد أبصر النور ليجد نفسه في

منصب امبراطور على دولة من أكبر دول العالم و الأكثر كثافة سكانية على الإطلاق بينها ..

= أظنه كذلك بالفعل !

= على الإطلاق ، فما كان ينتظر بوئي خلال حياته يعتبر من أسوأ ما يمر به الإنسان في الحياة ..

= و كيف ذلك ؟

= بعد **3** سنوات من تعيينه امبراطوراً للصين اندلعت **ثورة شينهاي** عام **1912** لتلغي الإمبراطورية و تعزل بوئي و تعلن قيام جمهورية الصين ..

= و بعد ؟

= بعد **5** سنوات اندلع صراع حاد في الصين مجدداً و عين على أثره بوئي امبراطوراً من جديد ، لكن ذلك لم يدم إلا **12** يوماً ليعزل من جديد .. ثم أصبحت حياته مهددة فهرب إلى **منطقة منشوريا** التي تسيطر عليها

اليابان ، فقربه اليابانيون منهم و عينوه امبراطوراً شكلياً على إقليم في المنطقة عام **1934** .. لكن بعد استسلام اليابان خلال الحرب العالمية الثانية، تخلى بوئي عن عرشه و حاول الفرار عبر شبه الجزيرة الكورية نحو الأراضي اليابانية ، لكنه وقع في قبضة **القوات السوفيتية** و تم نقله إلى أحد المعتقلات في سيبيريا، وهناك قضى خمس سنوات في أسوأ الظروف قبل أن يوافق القائد السوفيتي جوزيف ستالين على تسليمه للسلطات الصينية..

= مشكلة !

= بالفعل ، فقد كان بوئي متيقناً من صدور قرار بإعدامه بسبب تعامله مع اليابانيين في وقت سابق ، لكن بدلاً من ذلك، فضلت السلطات الصينية بقيادة **ماو تسي تونغ** الاحتفاظ به لتلميع صورتها على الصعيد الدولي ، فتم نقله إلى أحد مراكز إعادة التأهيل ليقضي هنالك فترة قاربت **9** سنوات مهاناً من قبل الجميع ، ثم أطلق سراحه أخيراً شريطة اعتناقه لمبدأ الشيوعية السائد في البلاد ، ليعمل بعدها كمساعد في إحدى الحدائق النباتية في العاصمة **بكين** على مقربة من قصره السابق من أجل تأمين لقمة العيش لا أكثر ، و لم يوفر الموالون لماو تسي تونغ أي فرصة لتضييق الخناق على بوئي و إهانته عقب تصنيفه كرمز من رموز الصين الرأسمالية القديمة ..

= و كيف انتهت حياته ؟

= توفي عام **1967** عن عمر ناهز **61** عاماً بعد صراع طويل مؤلم مع سرطان الكلى ..

= ما هذه الحياة ؟ محطات متتالية من الخوف و البؤس و الشقاء !!

= و كانت بدايتها رضيع امبراطور في فمه ملعقة من ذهب كما يقول البعض بجهالة .. فعن أي يذهب يتحدثون كما سمعت ؟!

*****

ولد و في فمه ملعقة من ذهب !!

عبارة يرددها كثير من الناس لتوصيف حياة شخص لا ينقصه شيء في الحياة على حد زعمهم و رؤيتهم الضيقة ، و غالباً ما ترتبط هذه العبارة بالثراء أي تصف الأبناء لآباء أغنياء ، بمعنى أنهم لا يحتاجون شيئاً في طفولتهم و سيرثون الملايين عن آبائهم في شبابهم على طبق من فضة هذه المرة كما يقال ..

و لكن ..

هل هذه العبارة صحيحة ، أي هل هنالك من يولد في هذه الحياة لا ينقصه شيء ، أي في فمه ملعقة من ذهب أو حياة من الرفاهية على طبق من فضة ..؟ أم أن هذه العبارات مجرد مغالطة جديدة تنضم كحلقة جديدة إلى سلسلة مغالطاتنا ؟!

للإجابة على هذه الأسئلة على نحوٍ كافٍ كما آمل للوصول إلى نتيجة مرضية ، سنقوم بمقاربة مغالطتنا عبر محورين رئيسيين :

① **دائرة الأرزاق ..**

② **الدنيا الشباطية ليست بجنة..**

ثم نختم مقاربتنا بمجموعة أمثلة من صفحات التاريخ عن أشخاص يصفهم البعض بأنهم ولدوا وفي فمهم ملعقة من ذهب ، في حين أنّ أسرار حياتهم تنطق بغير ذلك تماماً .. فهيا بنا عزيزي القارئ في هذه المغامرة الشيقة ..

❁ دائرة الأرزاق :

مفهوم دائرة الأرزاق بسيط للغاية لكنه هامّ على نحوٍ لا يوصف بنفس الوقت لأنه يكشف النقاب عن أحد أكبر أسرار الحياة التي تشرح العدل الإلهي و المساواة بين البشر و ينصّ على الحقيقة التالية :

((حياة كل إنسان عبارة عن دائرة مقسمة إلى أقسام من الأرزاق بحيث تبقى مساحة الدائرة ثابتة و متساوية بين جميع البشر ، فمثلاً إن زادت حصة المال عند إنسان في الدائرة فستقل بالمقابل حصة أخرى بلا أدنى شك كالصحة مثلاً و هكذا ..))

و يمكن توضيحها بالصورة التالية :

و من المستحيل أن يمتلك الإنسان كل شيء في هذه الحياة حتى لو سعى إلى ذلك ، فهذه الدائرة السحرية مبرمجة سلفاً كي تقلّ نسب فيها في حال ازدادت نسب أخرى .. و أقاليم الحياة متنوعة و الله إن قتّر الرزق عليك في بعضها سيوسعه في غيرها بلا شك ، و من هذه الأقاليم الشائعة نذكر :

- **المال** ، و هو الإقليم الذي يشغل تفكير أغلب الناس، و يربطونه بجهالة بكل شيء ، فإن امتلكت المال فأنت لا تحتاج شيئاً آخر بعده كما يعتقدون ..
- **الصحة** ، و هو الإقليم الأهم و الأكثر قيمة ، و كثير من الناس يغفلون أهميته بجهالة حتى يخسرونه ..
- **العائلة** ، أن تمتلك أم و أب ، أخوة و أخوات ،

زوجة ، أبناء .. و كثير من البشر يفتقدون هذه العناصر لأسباب مختلفة ..

- **النجاح** ، بكل أشكاله ، في الدراسة أو العمل .. إلخ
- **الأمان** ، أن تملك سقفاً تعيش تحته ، ألا تملك أعداء يتربصون بك ، ألا تعيش في حرب أو تشرد ، أن تعيش مرتاح البال .. إلخ ..
- **الأصدقاء** ، كنز حقيقي في الحياة و ما أقلهم عندما تشيح الحياة بوجهها عنك !!
- **الإيمان** ، فإن طرق الله بابك فهذا حدث عظيم لا تستهن به ، فغيرك لا يزال يعيش في دوامة الشك و الحيرة ..

إضافةً إلى آلاف الأقاليم الأخرى و هذه مجرد أقاليم شائعة بين الناس ، لكن العدل يكمن في التفاصيل هنا ، و تغير النسب زيادةً أو نقصاناً من شخص لآخر يطال أقاليم كثيرة نجهلها و لا نعيرها اهتماماً أو قيمة لتبقى الدائرة بالمحصلة ثابتة المساحة بين جميع الناس في أي فترة من حياتهم ، و هذا هو الإبداع و الإعجاز في العدل الإلهي .. و كما قال الإمام **علي بن أبي طالب** :

فإنَّ الرزقَ مقسومٌ .. و سُوءُ الظَّنِّ لا ينفع

و فقيرٌ كُلُّ من يطمع .. و غنيٌّ كُلُّ من يقنع

لذا اقنع عزيزي القارئ بقسمتك من الرزق و كن على يقين بأنك تملك أشياءً كثيرة حُرم منها من تظنه يملك كل شيء و ولد و في فمه ملعقة من ذهب ..

❁ الدنيا الشباطية ليست بجنة :

يشتهر شهر شباط بمناخه المتقلب بشدة ، ففي لحظة يكون الجو مشمساً و في لحظة أخرى تباغتنا العواصف و الأمطار الغزيرة ، و هذه هي طبيعة الحياة الدنيا بدورها ، لا تستقيم على حال و تتقلب بين رخاء و شدة ، نجاح و فشل ، غنى و فقر ، صحة و مرض .. إلخ ..

لذلك فتوصيفنا لحياة إنسان ما بأنها مثالية في توقيت معين هو توصيف ناقص و إن كان صحيحاً ، فلا ندري ما الذي ينتظره خلف أبواب المستقبل .. و تبقى القاعدة الذهبية في الحياة هي بيت الشعر الأيقوني التالي للشاعر الأندلسي **أبي البقا ء الرندي** :

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان

فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

و بالنتيجة تقلب حياة البشر خلال سنوات عمرهم هو شكل آخر من أشكال العدل الإلهي ، فمن هو في الرخاء قد يمسي في الشدّة ، و من هو في الشدّة قد يصبح في الرخاء .. و هكذا ..

فالدنيا ليست جنة تحتوي كل شيء على الدوام كي نصفها **بالمثالية المستقرة و الدائمة** بل هي كما قلنا ذات مناخ شباطي متقلب يطال جميع البشر فيها .. و في الحقيقة الشخص الوحيد الذي قد تنطبق عليه مقولة **(ولد و في فمه ملعقة من ذهب)** هو من يبصر النور في الجنة حيث لن يعرف الحاجة أو الحرمان أو الألم أو القلق أو الحزن أو أو .. أما هذه الدنيا فما من أحد سيولد فيها و في فمه ملعقة من ذهب على الإطلاق .. و كمثال على ذلك نذكر هذه الحالات التي و إن كانت افتراضية فهي شائعة جداً في واقع الحياة و لا أشك أنك نفسك عزيزي القارئ إن لم تكن تعاني من بعضها ، فمؤكد أنك تعرف كثيرين حولك يعانون منها :

1. شخص ثري للغاية لكنه مقعد ..
2. شخص ناجح كثيراً في حياته لكنه عقيم ..
3. شخص لديه عائلة مثالية يغمرها الحب لكنها تفتقد الأمان بسبب الحرب ..

④ شخص مشهور للغاية و يظهر على شاشات التلفاز لكنه خسر خصوصياته ، و أصبح بلا أصدقاء بسبب الغيرة و الحسد من حوله ..

⑤ شخص كانت حياته مثالية لكنه بين ليلة و ضحاها أفلس فطلقته زوجته و تشرد أبناؤه ..

و غيرها ملايين الأمثلة الأخرى التي تتجسّد على أرض الواقع في أشخاص يعيشون بالفعل على سطح هذا الكوكب تجمعهم الدائرة المقدسة الثابتة و تلقي بظلالها عليهم ..

ننتقل أخيراً إلى أمثلة من صفحات التاريخ تظهر لك الجانب الآخر الحزين من حياة أشخاص قد تظنها مثالية من منظورك الناقص و الضيق ، عرفوا الثراء و الشهرة و النجاح و العائلة و غيرها لكنهم كانوا تعساء في أغلب الأوقات لخسارتهم لنسب مئوية كثيرة في دوائر أرزاقهم لا تعرف عنها شيئاً :

۞ **وينستون تشرشل** : رئيس الوزراء البريطاني و صاحب أشهر ابتسامة نصر في تاريخ الحروب عقب الحرب العالمية الثانية ، عانى من مرض الاكتئاب الوراثي ، و في مذكراته الشخصية كشف طبيبه تشارلز ويلسون، أنه عانى فترات طويلة من الاكتئاب ، و وصل الأمر إلى حد الاكتئاب السريري وملازمة الفراش طوال الوقت ، ليس ذلك فحسب بل انتحرت

ابنته في شبابها على خلفية نفس المرض الذي ورثته عن أبيها ..

❁ **الأميرة ديانا** : أميرة ويلز ، و زوجة الأمير تشارلز ،لم تكن سعيدة في حياتها هذه كأميرة ثرية و مشهورة و ذات جاه و سمعة جيدة ، فانفصلت عن زوجها ، و تتابعت المحطات الحزينة في حياتها بعد ذلك مع انتهاك الصحافة لخصوصياتها و ملاحقتها ليل نهار ، حتى انتهت بالحادث المأساوي الذي أنهى حياتها مع حبيبها الأخير محمد الفايد و هي بعمر **37** سنة ..

❁ **دييغو مارادونا** : أحد أفضل من لمس كرة القدم في التاريخ ، نشأ في بيئة قاسية و ظروف صعبة ، و حتى بعد شهرته انطحن بين مطرقة الصحافة الدبقة و سنداد الإدمان على المخدرات فدخل في متاهة حقيقية سببت له الاكتئاب ليموت أخيراً في ظروف غامضة ..

❁ **مارلين مونرو** : أجمل امرأة في العصر الحديث ، حاولت أمها قتلها في طفولتها لأنها لم ترغب بها ، ثم انفصلت أمها عن أبيها كما تعرضت للعنف و الاستغلال في طفولتها أيضاً ، و لاحقاً عندما دخلت متاهة عالم الشهرة في هوليوود ضاعت بين الاستغلال و الغيرة و ملاحقة الصحافة ، و عانت من نوبات اكتئاب شديدة ، حتى انتحرت و هي بعمر **36** عاماً ، في حين تقول رواية أخرى أنها قتلت على يد المخابرات بسبب

علاقاتها العاطفية مع الرئيس الأميركي **جون كينيدي** وشقيقه السيناتور **روبيرت كينيدي** ..

❁ **مايكل جاكسون** : ملك البوب الأول في التاريخ ، عانى في طفولته من قسوة أبيه وسوء فهم أمه له، وهو ما عزز نزوعه إلى العزلة ، و حتى بعد شهرته الواسعة لاحقاً تعرض لاتهامات عديدة بالتحرش و الاعتداء و قضى أوقاتاً طويلة في المحاكم و لاحقته الصحافة في كل مكان ، فعانى من الاكتئاب بدوره ، حتى توفي في ظروف غامضة بين الانتحار و الاغتيال

و غيرهم كثر .. و اخترت هذه الأمثلة بالذات لأنها امتلكت **المال و النجاح و الشهرة** في حياتها ، هذا الثالوث الذي يعتبره عامة الناس (**الحياة المثالية**) لكننا كما نرى لم تكن حتى حياة طبيعية بالأساس حيث حرموا من أبسط مقومات الحياة التي يمتلكه كثيرون ألا و هي (**السعادة**) .. و بالطبع لم أتطرق إلى المشاهير و العظماء الذين عانوا من الإعاقة أو قسوة الحياة أو السجن أو غيرها من الظروف الاستثنائية القاهرة .. لأن الإنسان العاقل الطبيعي لن يحسدهم على هذه الحياة مهما بلغوا من نجاح و ثراء و شهرة بعدها ، فقد دفعوا ثمن هذا الثالوث غالياً في حياتهم .. و هذا ليس موضوع مغالطتنا : (**ولد و في فمه ملعقة من ذهب**) ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**دائرة الأرزاق**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أحسد فلاناً على حياته فهو يمتلك كل شيء ، لقد ولد و في فمه ملعقة من ذهب !!

بل أن نقول :

= هذه العبارة لا وجود لها في الحياة الدنيا ، فكل إنسان يأتي إليها تحكمه دائرة أرزاق ثابتة إن توسعت فيها

بعض النسب المئوية في أقاليم من الحياة ، تضاءلت نسب أخرى مباشرةً على حسابها ، ولو قدّر لنا أن نتعرف فعلياً على حياة أشخاص نظنها مثالية لدهشنا من كمّ الحرمان الذي يعانون منه .. لذا الحمد لله على كل شيء و على كل حال.. و من زاوية أخرى فالدنيا قلابة و لا تستقر على حال و لا أحد يعرف ما الذي ينتظره خلف أبواب المستقبل .. أهو فرج عظيم أم شدة غير متوقعة !!

في قانون الأواني المستطرقة الفيزيائي ، نستعمل مجموعة أواني مختلفة الأشكال و الأحجام و متصلة ببعضها ، و عندما نملؤها بالماء يستقر على مستوى ثابت فيها جميعاً .. هذا الماء هو الرزق عزيزي القارئ ، فمهما اختلف الناس في تفاصيل حيواتهم ستستقيم أرزاق السماء بينهم على خطّ سواء .. إنه ميزان العدل الإلهي الذي لا يختل أبداً و إن اختلت نظرة البشر له باختلال نفوسهم أو قلوبهم أو عقولهم أو أرواحهم ..

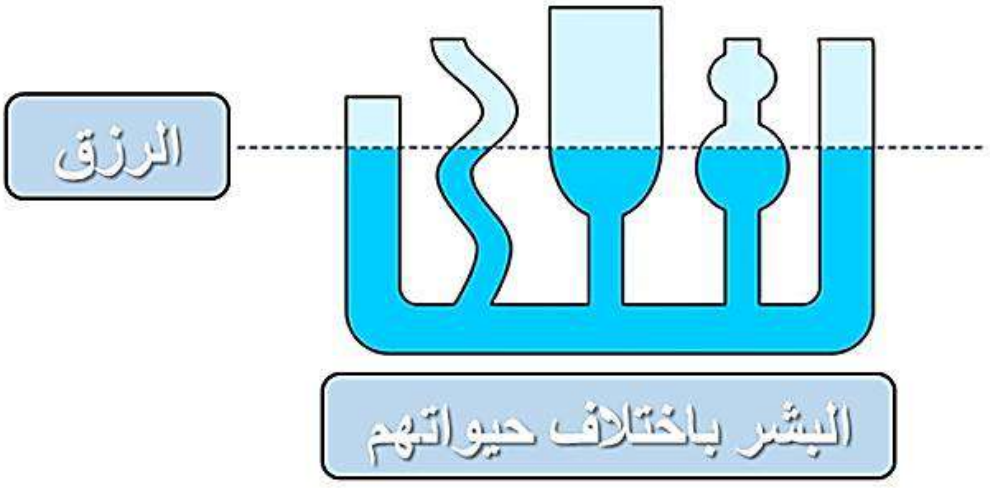

مغالطة الدائرة السحرية

(غموض لا ينتهي)

= ما الذي تقرأه على هاتفك ..

= مقال إخباري عن دوائر المحاصيل الغامضة التي عادت للظهور بكثافة و في مختلف قارات العالم ..

= لقد سمعت عنها بالفعل ، لكنني أجهل قصتها الدقيقة ، هلا تفضلت عليّ بمعلومات أكثر ؟!

= بالطبع .. دوائر المحاصيل هي عبارة عن رسوم هندسية دائرية ضخمة ، متقنة و غامضة تظهر بين ليلةٍ و ضحاها في الحقول الزراعية ..

= و من يرسمها ؟

= هذا هو السؤال المحير ، و للأسف ما من جواب وافٍ عليه .. لقد تم ربطها بنظريات مختلفة و بالطبع كان للفضائيين حصة الأسد فيها كعادة كل شيء غامض

= و لماذا تأخذ أشكالاً هندسية دائرية بالتحديد .. لماذا لا تتنوع بأشكالها ؟

= هذا هو السؤال الهام الآخر و الذي لا جواب عليه أيضاً .. لكنه على كل حال يعود بنا إلى فكرة قديمة حول قداسة الدائرة و غموضها .. فلا يخفَ عليك أن الدائرة تتجسد في كل شيء من حولنا في هذا الكون ..

= محقّ ، لقد أثارت هذه الدوائر الغامضة فضولي ، لذا سأبحث على هاتفي مباشرةً عن معلومات أكثر عن هذا الشكل الهندسي الغامض الغريب ..

*****

الدائرة السحرية الغامضة .. ما السرّ القابع خلف هذا الشكل الهندسي الذي نراه في كل شيء داخلنا و من حولنا في هذا الكون ؟ و هل هو مميز و مقدس بالفعل كما يشاع ، أم أن هذه مغالطة أخرى منتشرة بين الناس لا أكثر ..؟!

في الحقيقة الدائرة شكل هندسي ساحر و مقدس بالفعل ، و هذه السمعة عنها تستحقها بجدارة و ليست مجرد ادعاء.. أما لماذا هي كذلك ؟ فهذا ما سنحاول مقاربته في مغالطتنا الجديدة (**الدائرة السحرية**) عبر **3** زوايا هامة للغاية :

① **سر الدائرة الغامض** ..

② **الدائرة في الكون** ..

③ **ظواهر طبيعية دائرية غامضة** ..

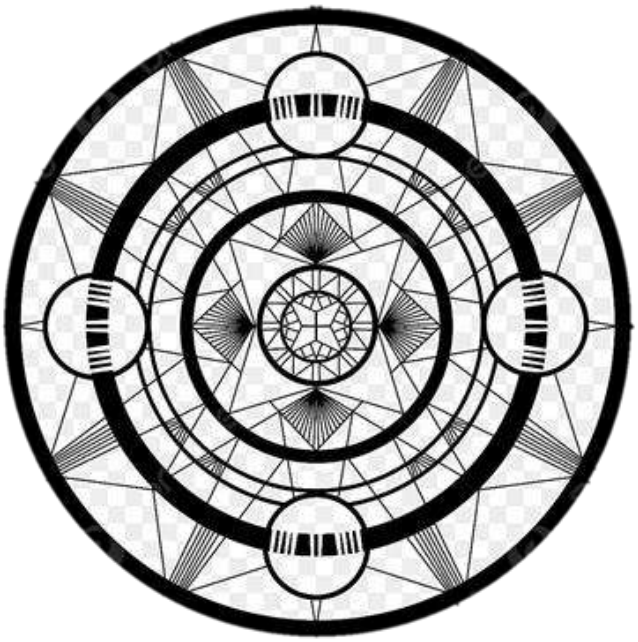

فهيا بنا عزيزي القارئ نحيط بمغالطتنا انطلاقاً من أي نقطة نشاء ، فكل نقطة من محيطها هي بداية و نهاية في آنٍ معاً ..

❁ سر الدائرة الغامض:

إن المميز في الشكل الهندسي للدائرة هو أنه بخلاف الأشكال الهندسية الأخرى كالمربع و المثلث و المستطيل و شبه المنحرف و المعيّن وغيرها .. بلا بداية و بلا نهاية .. فلا رؤوس لها نبدأ رحلتنا منها ..

بمعنى أن الدائرة **هي تجسيد لفكرة الإله الأزلي الأبدي (بلا بداية و بلا نهاية) و لفكرة دورة الحياة الأبدية**

و في اللغة السنسكريتية القديمة للهندوسية والبوذية يرمز للدائرة **بالماندالا** ، و هي تعتبر بالنسبة لهم تصميماً هندسياً يجسد الكون و الآلهة في عوالم سماوية مختلفة ، كذلك نجد هرمس الهرامسة يصف الله بشكل فلسفي عميق بالقول :

(الله هو دائرة مركزها في كل مكان ومحيطها ليس في أي مكان)

كما نجد هذا الشكل الهندسي الساحر في دائرة الين واليانغ لدى حضارات شرق آسيا التي تعني الاتحاد بين السماء والأرض أو الخير و الشر أو النور و الظلام أو الليل و النهار..

و نجد أيضاً علاقة بين الدائرة و **قوس قزح** الذي يمثل

دائرة غير مكتملة، كونه يلمس الأرض والسماء، أو كعرش للرب في مشاهد القيامة في كل من العهدين القديم والجديد.. و في الأسطورة القديمة الخاصة بالإلهة اليونانية **إيريس** نجد أنها نزلت إلى الأرض على قوس قزح، الذي يمثل التواصل السماوي الأرضي ..

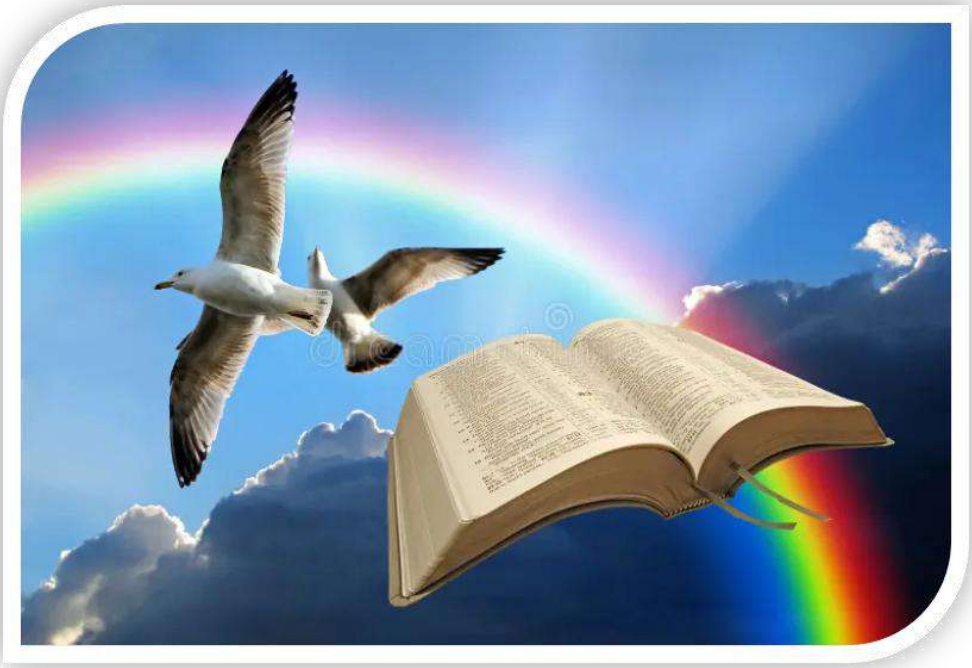

كذلك تلعب الدائرة دوراً مهماً عند المسلمين من خلال الطواف حول الكعبة أثناء الحج .. و لا ننسّ بأنّ نبي الرحمة محمد أتاه الوحي في **غار حراء** ذي الشكل الكروي ، كما هو حال **مغارة الناصري** يسوع في بيت لحم حيث أبصر النور إلى الحياة ، و حال المغارة التي قام فيها من الموت لاحقاً أيضاً **!!**

و في التراث الإنساني عبر صفحات التاريخ يشيع استخدام مفهوم الكرة الزجاجية للإشارة إلى الأداة التي

يستخدمها العرّافون لاستقراء المستقبل ، و لا عجب في ذلك أبداً ، فالشكل الكروي شكل مفعم بالسحر و الغموض و يختزل أسرار الكون و الأزمنة الثلاثة في طياته كما سنرى بعد قليل !!

و في نفس السياق نجد العدد **ط** أو **باي π** الذي اكتشفه عالم الفيزياء **لاري شو** ، وهو المصطلح المستخدم لوصف النسبة بين محيط الدائرة وقطرها، ويساوي تقريبا **3.14** لكنه في الحقيقة رقم سحري بامتياز فهو بلا نهاية بدوره ، وقد تمكن العالم الياباني **هيتاشي** باستخدام حاسوب متطور من تحديد حوالي **1.24** تريليون رقم من العدد **π** ، محطماً جميع الأرقام

القياسية السابقة و لا تزال هنالك بقية لسلسلته التي لا تنتهي ..

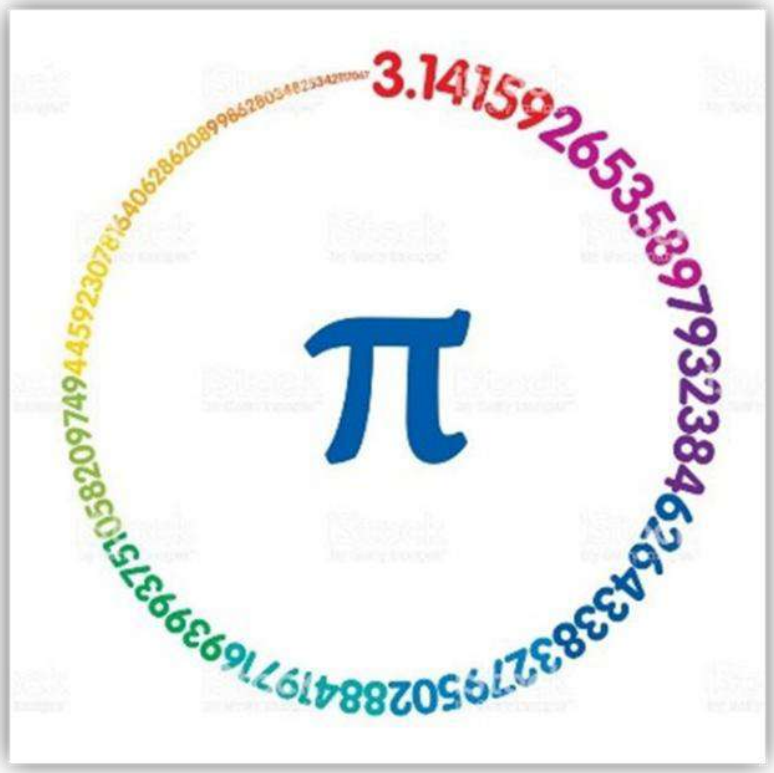

و منذ عام **1988** يحتفل العالم بيوم باي في **14** آذار و هو للصدفة يوم ميلاد العالم ألبرت أينشتاين ، و قد اعتمد هذا التاريخ ببساطة لأنه يشير إلى أول أرقام العدد باي أي **3** ثم **1** ثم **4** ، ومن المعتاد في هذا اليوم أن يقوم الناس بطبخ فطيرة دائرية الشكل، وغالبا ما تكون مزينة بالرمز الرياضي **π** من باب تشابه لفظ باي مع لفظ كلمة الفطيرة باللغة الإنجليزية .. و رمز باي شبيه إلى حد بعيد بالمائدة و هذا يقودنا إلى مائدة العشاء الأخير ليسوع المسيح التي تشير ضمنياً إلى الاحتفال مع تلاميذه بقهره للموت و ذلك بتنبؤه بقيامته بعد صلبه

أي الاحتفال بالخلود كونه يحمل جوهر الله الذي لا يموت في جسده الأرضي أي اللانهاية كما هو حال رقم باي تماماً !! ليس ذلك فحسب بل إن يسوع المسيح الذي يجسد الأحد **1** ولد تماماً بعد **4** أيام إلهية من نزول آدم إلى الأرض و قبل **3** أيام إلهية من قيام الساعة كما حللنا في مغالطة المتوالية الهندسية من قبل ، و هذا يعود بنا إلى رقم باي مجدداً **3.14** !!

من جهة أخرى شكل رقم باي يذكرنا **بآثار ستونهنج** في إنجلترا و هي معلم تذكاري من عصور ما قبل التاريخ (حوالي **2000-3000** قبل الميلاد) في **سهل سالزبوري في ويلتشاير** ، و يمثل حلقة دائرية من صخور عملاقة و يتصدر المشهد نصب حجري يشبه رقم باي تماماً ..

فهل هذه مصادفة باجتماع الدائرة مع شكل الرقم باي ؟! لا أعتقد ..

و لقد اهتم الإغريق و الفراعنة و البابليون و غيرهم من

حضارات العالم القديم للغاية بالدائرة و بهذا العدد بسبب الكم الهائل من الأسرار المحيطة بهما ..

❁ الدائرة في الكون :

في الحقيقة الدائرة تحكم الكون برمته فنجدها مثلاً في :

● **شكل الكون بنفسه** : إنّ القرآن الكريم ذكر ضمنياً أنّ الكون كروي الشكل في الآية التالية :

(يا معشر الجنّ و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات و الأرض فانفذوا)

و كما نعلم جميعاً فالقطر مصطلح مقترن بالشكل الدائري و الكروي ..

و قد أشار الفنان **ليوناردو دافنشي** بدوره إلى قدسية الشكل الدائري للكون و أجرامه في لوحته الشهيرة : (**سلفاتور مندي**) أو **مخلص العالم** و التي تمثل شخص يسوع المسيح و هو يحمل بيده الكرة الكونية ..

● **الأجرام الكونية** : فهي جميعها دائرية الشكل من نجوم و كواكب و أقمار و كويكبات .. بما فيها بالطبع

الكرة الأرضية .. فهل صممها الله كذلك عن عبث ؟!

● **الجسد البشري** : فأهم عضوين في الجسد البشري كرويا الشكل ، بدءاً من العين التي نتواصل من خلالها مع المحيط و انتهاءً بالكرة المخية التي نحلل بها هذا التواصل و التي تقبع على عرشها ضمن صندوق عظمي كروي الشكل بدوره و هو الجمجمة ..

● **العمارة**: فنجد القبب الكروية تظلل بيوت العبادة في مختلف الأديان السماوية و الأرضية .. بل إن البيت بنفسه يدعى (دار) لأنه صمم بادئ ذي بدء بشكل دائري قبل أن تتغير التصاميم لاحقاً .. و لا تزال بعض

شعوب العالم تعتمد التصميم الدائري حتى يومنا هذا كالإسكيمو مثلاً ..

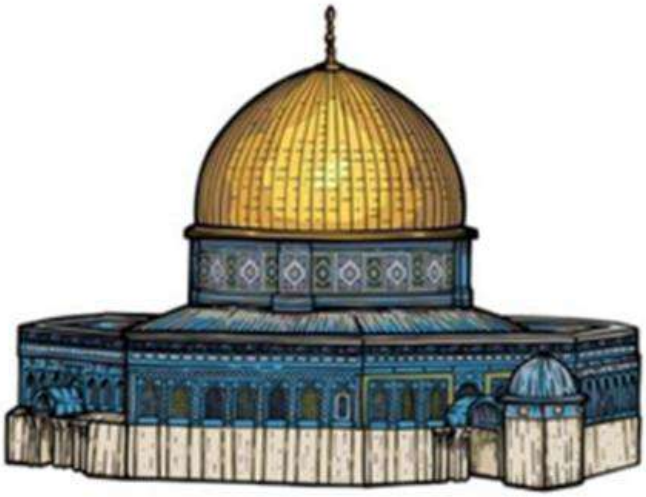

● **خواتم الزواج** : فالشيء الذي سيربط روحين و جسدين ببعضهما **إلى الأبد** ربما هو قطعة دائرية الشكل تشير إلى **الأبدية** كما سبق و أشرنا من قبل **!!** بل إننا نجد الدائرة أيضاً في العملية الجنسية و شكل الأعضاء التناسلية (أسطوانة و ثقب) ..

● **الثمار** : فأغلب ثمار النباتات تأخذ الشكل الكروي أو الاسطواني و كلاهما مرتبط بالدائرة (**تفاح** ،

برتقال ، درّاق ، مشمش ، كرز ، بطيخ ، عنب ، كيوي ، مانجو ، أناناس ، بلوبيري ، إجّاص ، كرز ، موز ، رمان ، خيار ، طماطم ، كوسا ، حمّص ، عدس ، جوز ، بندق... إلخ) في إشارة إلهية ضمنية على سحر و قداسة هذا الشكل المرتبط بالحياة و استمراها..

● **الرياضات** : فمختلف أنواع الرياضة تستخدم المجسم الكروي ككرة القدم و السلة و البينغ بونغ و التنس و الغولف و كرة اليد و الماء و البولو و الكريكت و البلياردو و البولينغ و البيسبول و الهوكي و حتى بلي الأطفال و غيرها .. كإيمان ضمني من البشر بسحر هذا الشكل الهندسي !!

● **الحلقات الدائرية** : فأي عملية متتالية بشكل حلقة مفرغة تدعى بدائرة أو تدوير ، كحلقة التوزان البيئي بين الكائنات الحية ، و حلقة تدوير المخلفات البيئية و حلقة حياة النجوم من سديم إلى سديم أو الإنسان من تراب إلى تراب و هكذا .. بل إننا إذا أردنا وصف الحرب فنقول دارت رحاها ، أو تحيّن الفرصة فنقول جاء دوري ، و في المثل الشعبي توصف الحياة بالقول (الدنيا دوّارة) أي الزمن يدور بين الناس و نقول أيضاً تدوير المركبة و بالعامية نستخدم كلمة دوّر بمعنى بحث و غيرها ..

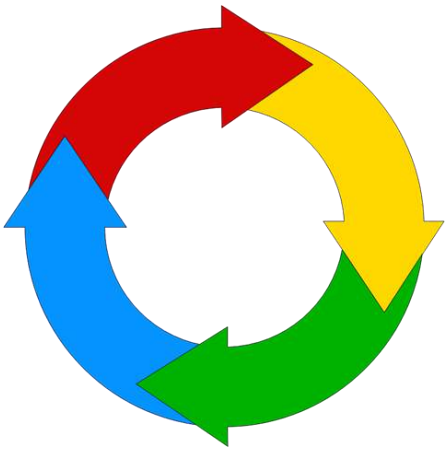

❁ ظواهر طبيعية دائرية غامضة :

في الحقيقة أكثر الظواهر الطبيعية غموضاً على هذا الكوكب مرتبطة بالشكل الكروي أو الدائري على نحوٍ غريب للغاية و نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

● **دوائر الجنيات في ناميبيا** : و هي دوائر غريبة

من الرمال خالية من العشب في المراعي الصحراوية الرملية في ناميبيا في حين يكثر العشب من حولها..
وهي تتشكل ثم تختفي بعد سنوات بدون سبب معروف

● **أجران سهول لاوس** : و هي عشرات الأجران الصخرية الدائرية الضخمة في سهول دولة لاوس الآسيوية ، و هي مجهولة المصدر أو الاستخدام بدورها ..

● **الدوائر الحجرية في السنغال و غامبيا**: و تدعى أيضاً الدوائر الميغاليثية ، ، و هي عبارة عن **52** دائرة من الصخور المتحلقة مجهولة الغاية تنتشر على مساحات واسعة من البلدين ، و قد صممت في فترات تاريخية مختلفة، ما بين القرن **3** قبل الميلاد والقرن **16** ميلادي ..

● **دوائر المحاصيل** : و هي عبارة عن تصاميم مبهمة تطبع أو تتكون خلال ليلة واحدة في الأراضي التي يزرع فيها القمح والشوفان والذرة غالباً بالإضافة إلى حقول الحشائش والأشجار .. و بعد ظهور عدد متزايد من هذه الرسومات (خاصة في انكلترا) في نهاية السبعينات من القرن العشرين، أصبحت الموضوع الأكثر إثارة للجدل في العالم .. و بالرغم من وجود

عدد من النظريات حول كيفية صنعها، إلا أن مصدرها الأكيد لا يزال مجهولاً و غامضاً و ربطت بالطبع بالفضائيين كغيرها ..!!

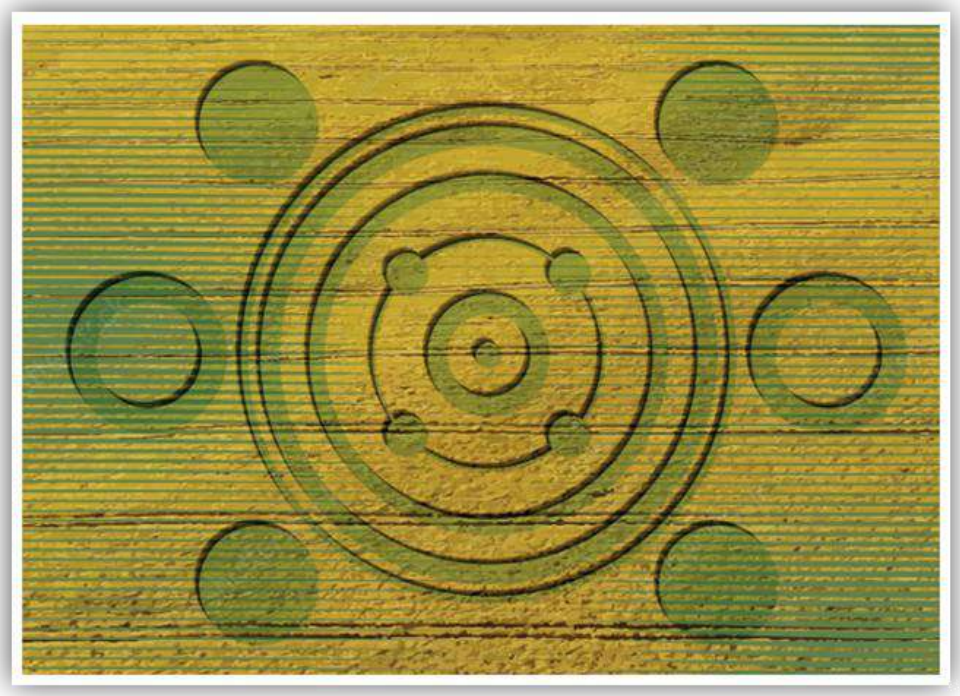

● **غابات هويا باكيو في رومانيا** : غابات غامضة

ذات أشجار غريبة منحنية بجذوعها ، تدور في فلكها مجموعة واسعة من القصص الغامضة عن الأرواح و الأشباح و الجن بسبب سماع أصوات مخيفة من أعماقها ، ناهيك عن حوادث اختفاء العشرات فيها .. و تتوسط هذه الغابات دائرة عشبية ضخمة لا تنمو فيها الأشجار دون سبب علمي مقنع ، فدراسة تربتها أكدت أنها مشابهة لتربة الغابات المحيطة بها .. و تنتشر بين الناس قصص رؤية أطباق كروية طائرة فوق منطقة

الدائرة بالتحديد !!

● **صخور موراكي النيوزلندية** : مجموعة صخور منتشرة على شواطئ نيوزلندا وتحديداً في منطقة (**موراكي من شاطئ كويكوه**) حيث تظهر هذه الصخور على شكل كرات تشبه السلاحف ويطلق عليها أيضاً **بيض التنين** و يصل قطر بعضها إلى **3** أمتار..

و لا يزال مصدرها الأكيد مجهولاً حتى يومنا هذا !!

● **أضواء مارفا الشبحية** : أضواء كروية بحجم كرة السلة و بألوان مختلفة تظهر في محيط قرية مارفا في صحراء ولاية تكساس ، لكن الجميع أكدوا أنهم عندما حاولوا الوصول إليها لم يعثروا على أي أثر لها !! و لا يزال تفسير مصدر هذه الأضواء غامضاً حتى يومنا هذا !!

● **حفرة الجحيم في تركمانستان** : باب جهنم أو حفرة الجحيم هي تسمية تطلق على حفرة دائرية مشتعلة بالنيران بدون توقف منذ عام **1971** في **قرية ديرويز** قرب العاصمة **التركمنستانية عشق آباد** ، و يمكن رؤية هذه الحفرة من على مسافة بضعة كيلومترات ، و يبدو أنها لن تنطفئ ، فقد تكونت الحفرة والذي يبلغ قطرها **70** متراً إثر سقوط حفارة الغاز الطبيعي أثناء عملها في المنطقة في عهد الاتحاد السوفييتي سابقاً، و

لمنع تسرب غاز الميثان من الحفرة و الإضرار بالبيئة و الكائنات الحية قرر العلماء إشعال النار بها على أمل أن تستهلك النار الغاز خلال عدة أيام، ولكن لم تنقطع عنها النيران منذ ذلك الحين و حتى يومنا هذا !!

● جزر و بحيرات دائرية في قلب بعضها البعض :

في ظاهرة طبيعية أقرب للخيال و أشبه بأحجية عقلية

توجد في **الفلبين** جزيرة تدعى جزيرة **لوزون** في داخلها بحيرة تدعى بحيرة **تال** في داخلها جزيرة تدعى جزيرة **البركان** في داخلها بحيرة تدعى **كراتر** و في داخلها جزيرة تدعى جزيرة **نقطة البركان**، و كما ترى عزيزي القارئ مجرد استيعاب تركيب هذه الجزيرة أمر صعب على العقل (بحر يحوي جزيرة تحوي

بحيرة تحوي جزيرة تحوي بحيرة تحوي جزيرة !!)

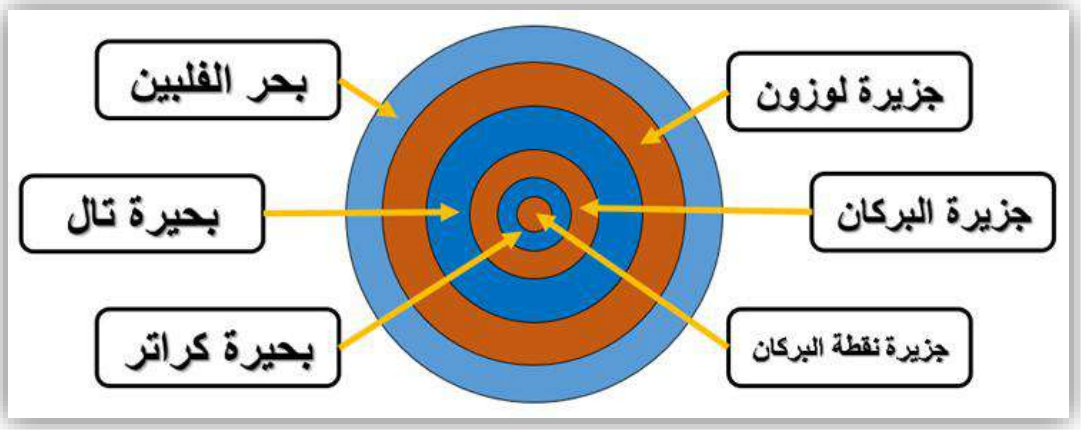

● **عين الصحراء** : و تدعي أيضاً **حفرة الريشات** و هي معلم جيولوجي ضخم بشكل دوائر متحدة المركز و يقع في **هضبة آدرار** في الصحراء الكبرى وسط **موريتانيا** .. و يبلغ قطر الحفرة تقريباً **35** كيلومتر و يمكن ملاحظتها من الفضاء الخارجي .. و هناك جدل علمي حول ألية نشوء هذه الحفرة فبعض العلماء يقول إنه حفرة ناتجة عن نيزك ضرب تلك المنطقة والبعض يقول إنه بركان خامد قديم !!

● **ظاهرة دوران الحيوانات** : حيث تميل بعض القطعان أو أسراب الطيور إلى الدوران بشكل دوائر متحدة المركز في ظاهرة غريبة للغاية دون تفسير واضح لها .. و قد اقترنت هذه الظاهرة بموجات الزلازل التي اجتاحت الأرض عام **2023** ، فهل هذه مجرّد مصادفة ؟! بناءً على ما سبق و حللناه حول الشكل السحري للدائرة ، لا أعتقد ذلك !!

و هنالك عشرات الظواهر الطبيعية الأخرى العجيبة ذات الصلة الوثيقة بالشكل الدائري و نكتفي بما ذكرناه تجنباً للإطالة ، و ما ذكر كفيل بتوضيح الغموض الذي يحيط بهذا الشكل الهندسي الساحر المتخم بالأسرار !!

و قبل الختام لابدّ من الإشارة إلى مشروع هندسي و تجاري هائل و مذهل تم إنجازه منذ سنوات قليلة في مدينة لاس فيغاس الأمريكية و يدعى (**عين لاس**

فيغاس) و هو تصميم كروي بدوره عملاق بتكلفة أكثر من ملياري دولار لتأمين تجربة مذهلة حقيقية للزوار حول الواقع الافتراضي تتفاعل معها جميع الحوّاس و ستغير كثيراً من صناعة الواقع الافتراضي مستقبلاً بلا شكّ .. و يعتبر حالياً أهم بناء كروي صنعي على سطح الأرض ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الدائرة السحرية**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الدائرة شكل هندسي كغيره ، لا ميزات له ، و لا أسرار تكمن خلفه ..

بل أن نقول :

= الدائرة بالفعل شكل سحري غامض و مقدس صمم

الكون برمته على أساسه بما فيه الأجرام السيارة فيه .. و حتى دماغ الإنسان الذي يتفاعل مع هذا الكون هو كروي بحد ذاته .. فالدائرة شكل بلا بداية و بلا نهاية ، تماماً كالإله الذي صمم هذا الكون.. و لا عجب أن تقترن أغلب الظواهر الطبيعية الغامضة بهذا الشكل الهندسي الساحر !!

عندما يشار إلى الأنبياء و القديسين في اللوحات الفنية ، يميل الفنانون إلى رسم هالة دائرية مضيئة حول رؤوسهم كإشارة إلى القداسة .. و بعد تحليلنا لمغالطتنا الشيقة هذه ، نجد ذلك أمراً مفسراً و مبرراً بالفعل .. فالدائرة بحد ذاتها شكل هندسي مقدس يحمل في طياته أسرار الإله و خفايا الكون الأكبر و الكون الأصغر.. بل إننا في حياتنا اليومية إذا أردنا الإشارة إلى شيء ما على أنه هام نقوم برسم دائرة حوله لأننا باللاوعي نستشعر سحر الدائرة في الكون من حولنا !!

د

مغامرة الحظ

(ظهر منحنٍ و حياة بائسة)

= هذا ليس عدلاً .. إنها المرة الخامسة التي يفوز فيها توفيق بالجائزة .. يا لحظه المبهر و غير المنطقي !!

= محقّ .. إن الحظ ينجذ إليه كما لو أنه مغناطيس .. إنه يذكرني بشخصية قرأت عنها منذ أيام ..

= شخص محظوظ كتوفيق ؟

= بل أكثر حظاً منه بمسافات ..

= معقول ؟! لا أعتقد أن هنالك في التاريخ من هو أكثر حظاً من صديقنا توفيق ..

= إذاً أصغِ جيداً لقصة هذا الرجل الأمريكي المحظوظ الغريبة و الأقرب للخيال ..

= لقد شوّقتني بحقّ ، هات ما عندك ..

= يدعى بطل قصتنا **تيموثي ديكستر** هو رجل أعمال من ولاية **ماساتشوستس** الأمركية و عاش في القرن **18**.. و لم يكن حظه في التعليم جيداً في طفولته فقد ترك المدرسة في عمر **8** سنوات كي يعمل في مزرعة.. وفي عمر **16** سنة، حصل على فرصة تدريب مهني مع مصمم جلود في **بوسطن** حيث كان يطمح إلى أن يصبح حرفيّ جلود ماهر و استمر بالتدريب حتى عمر **21** سنة ثمّ انطلق في إنتاج القفازات الجلدية و القبعات و غيرها من جلود حيوان الموظ .. ولكنّ الأمور سرعان ما تعقّدت بسبب

تدهور الوضع في بوسطن جرّاء الضرائب البريطانية و حفلة شاي بوسطن الشهيرة..

= و بعدها ؟!

= قرر ديكستر الانتقال إلى **تشارلستون** والتي كانت تعتبر عاصمة الجلود في بوسطن ليبدأ من جديد هناك، فجمعه القدر فيها بسيدة تدعى **إليزابيث فروثينغهام،** وهي أرملة ثرية للغاية تبلغ من العمر **32** عاماً .. فتزوجها ليصبح ثرياً بين ليلةٍ وضحاها ..

= محظوظ بالفعل ، لكن ليس كصديقنا توفيق !!

= على رسلك .. فالحكاية لم تبدأ بعد ..

= هنالك المزيد ..؟!

= بالطبع .. لم يُعجب أثرياء تشارلستون بالسيد ديكستر الثري بالصدفة كما يرونه و اعتبروه محدث

نعمة أمّي و جاهل ، فأضمروا له الضغينة و الحقد .. و قرروا أن يدمروه و يدفعوه إلى الإفلاس ليعود فقيراً كعهده الأول ..

= و ماذا فعلوا ؟

= تقربوا منه بخبث و ادعوا محبته و أنهم يريدون تقديم نصائح تجارية له كي يزيد من ثروته ، فاقتنع بسبب طيبة قلبه بكلامهم و أصغى إليهم ..

= و بماذا نصحوه ؟!

= نصحوه أولاً بشراء أعداد كبيرة جداً من **أجهزة التدفئة المنزلية** التي يستخدمها الناس في ولايتهم لتدفئة أسرّتهم في فصل الشتاء ثم نصحوه ببيعها إلى **جزر الكاريبي** رغم أن درجات الحرارة هناك مرتفعة أغلب شهور السنة بسبب موقعها الجغرافي الاستوائي، فعل ديكستر ذلك دون تفكير و كانت المفاجأة أنّ سكان تلك

الجزر وجدوا بضاعته غير المفيدة في التدفئة بالنسبة لهم مفيدة للغاية كمغارف لصناعة دبس السكر الذي يمتهنونه فاشتروا الشحنة كاملة ، وهو ما حقق لديكستر أرباحاً عظيمة..

= غريب و طريف معاً .. إنه محظوظ بلا شك ..

= الموضوع لم ينتهِ هنا يا صديقي ، فقد زاد حقد و غضب الأثرياء عليه بسبب نجاحه غير المتوقّع ، فلجأوا إلى نصيحته مجدداً بنصيحة أكثر خبثاً من سابقتها ، و هي **تصدير الفحم الحجري إلى مدينة نيوكاسل الإنجليزية** و التي هي من أهم مدن العالم في إنتاج الفحم و لا تحتاجه أبداً ، بل إنّ المثل الإنجليزي القديم يقول (**كشحن الفحم إلى نيوكاسل**) و الذي يستخدم لوصف شيء عديم الفائدة..

= فكانت هذه الضربة القاضية له !

= يفترض ذلك منطقياً .. لكن في الواقع تزامن وصول شحنته للفحم إلى نيوكاسل مع حدوث إضراب عام

لعمال المناجم فيها مما قلل من إنتاج الفحم في المدينة ، لذا اشترت السلطة شحنته بالكامل مما حقق له أرباحاً أكثر من سابقتها ..

= غير معقول !!

= أعلم ، لكن هذا ما حدث بالفعل ..

= و من ثمّ ؟!

= عاد أثرياء تشارلستون فنصحوه بنصيحة جديدة مستغلين ثقته العارمة بهم بعد النجاحين السابقين ، و كانت النصيحة **بتصدير القطط المشردة في المدينة إلى جزر الكاريبي مجدداً لتربيتها كحيوانات أليفة** .. مع تأكدهم باستحالة قيام سكان الجزر بشرائها كونها قطط غير صحية تجلب الأمراض و لا تثير اهتمام تلك الشعوب بالأساس فتربيتها غير معتادة هناك ..

= و ما الذي حدث هذه المرة أيضاً ..؟!

= صدف أن كانت جزر الكاريبي تعاني من مشكلة

انتشار الفئران بأعداد كبيرة في تلك الآونة ، لذا وجدوا تلك القطط حلاً لمشكلتهم هبط إليهم من السماء ، فاشتروا الشحنة كاملة مجدداً ..

ضحك الصديق بصوت عالٍ ..

= يا لها من قصة طريفة أغرب من الخيال ، و يا له ديكستر من إنسان محظوظ .. لقد تفوّق على صديقنا توفيق بمسافات ضوئية !!

= تمالك نفسك يا صديقي فللحكاية تتمة ..

= مزيد من الحظّ ؟!

= أجل ، فعند وصول الأثرياء إلى ذروة غضبهم و غيظهم من ديكستر نصحوه أخيراً **بشراء كميات كبيرة من عظام الحيتان** و أكدوا له بأنها ستصنع ثروة له أكثر بكثير مما سبق .. و رغم أن هذه العظام بلا فائدة

و هي بلا شك تجارة خاسرة بشكل بديهي ، فقد صدّقهم ديكستر مجدداً و اشترى كل عظام الحيتان في المنطقة

= و ماذا حدث بعد ذلك ..؟!

= انتشرت بعد فترة قصيرة ظاهرة مشدّات الخصر أو ما يدعى (**كورسيهات**) في أوروبا و خاصة في فرنسا و كانت تصنع من عظام الحيتان .. فقام ديكستر بتصديرها لهم ليحقق أرباحاً مجنونة ..

= يا إلهي !! سبحان المعطي .. و كيف انتهت الحكاية؟

= عاش ديكستر ثرياً لسنوات و توفي بعدها مخلفاً وراءه ثروة تقدر في زمننا الحالي بأكثر من **800** مليون دولار ..

= قصة هاربة من حكايات ألف ليلة و ليلة تجعل من صديقنا توفيق بنفسه منحوساً بالمقارنة مع ديكستر !!

*****

الحظّ ...

تلك الكلمة المبهمة والعسيرة على الفهم و التفسير لكن المفعمة بالبهجة و الفرص و التغيير الإيجابي التي يلاحقها بعض الناس كصائدي الفراشات طوال حياتهم علّهم يحتجزون بعضاً منه في شبكاتهم ..

في حين نجد الحظّ بنفسه و بطريقة غير مفسرة يطارد قلة منهم كقاتل متسلسل لمشاكلهم و يلتصق بهم كما لو كانوا مغناطيس حظّ !! لينطبق عليهم قول الشاعر الكبير

ابن زيدون:

كَم قاعِدٍ يَحظى فَتعجِبُ حالُهُ

مِن جاهِدٍ يَصِلُ الدَّؤُوبَ فَيُحرَمِ !

و الشائع عند كثيرٍ من الناس بأنّ الحظّ شيء غير موجود على أرض الواقع ، بل هو إما وليد العمل الجادّ و الإصرار أو أنّ ما نسميه حظاً لا يعدو كونه مجرّد مصادفات عشوائية .. و هذا التصوّر الشائع عن الحظّ هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**الحظّ**) مع سؤالها المحوري التالي :

(هل الحظّ قرين الاجتهاد غالباً و الصدفة أحياناً ، أم أنه شيء حقيقي يلاحق بشراً بعينهم دون سواهم ؟)

و أما جوابنا المبدئي الوجيز على هذا السؤال فهو :

(الحظ بالفعل شيء واقعي .. هبة ربانية يخصّ بها البارئ بعضاً من خلقه كما يخصّ البقية بهبات متنوعة من ذكاء أو جمال أو ثراء أو موهبة أو غيره فيأتي الحظّ أحياناً بلا جهد و بطريقة تترفع تماماً عن كونها مجرّد صدفة)

هل هذا الكلام صحيح ؟ تعال عزيزي القارئ لنقارب مغالطتنا سوياً من **5** زوايا شيّقة علّنا نكون محظوظين بتفسير جوابنا على نحوٍ كافٍ كما آمل :

① النصيب و الحظّ ..

② تمائم الحظّ ..

③ الحظّ من منظور العلم و الدين ..

④ الحظّ و الاجتهاد ..

⑤ أمثلة عن بشر محظوظين على نحوٍ لا يصدّق ..

فهي بنا في مغامرتنا الجديدة يا صديقي..

❁ النصيب و الحظّ :

في الحقيقة هذان المصطلحان يختلطان كثيراً في عقول الناس فيعتبرونهما وجهين لعملة واحدة ، لكنّ الحقيقة أنهما ليسا كذلك ، **فالنصيب** هو القدر بخيره و شرّه فقد يصيبك نصيبك بمصيبة و قد يصيبك برزق .. أما **الحظّ** فهو أمر إيجابي صرف يشير إلى كل شيء جيد يطرق بابك .. و يقال خطأ عن بعض الأمور أنها حظ سيء ، لكنّ الحقيقة هذه نصيب عسير و ليست حظاً سيئاً !!

❁ تمائم الحظّ :

استخدمت الشعوب منذ فجر التاريخ مجموعة واسعة من تمائم الحظّ لجلب الفأل الجيد إلى حيواتهم كإيمان راسخ منهم بوجود الحظّ في الحياة ، كحال **الجعران الأسود عند الفراعنة** و **ضفدع المال عند الصينيين** و **قلادة البلوط عند الإنكليز** و **دمى كاتشينا في أمريكا الشمالية** و **الدمى القلقة عند الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية** و غيرها .. و بالطبع كان هنالك آلهة للحظ عند مختلف الحضارات القديمة أيضاً ..

و لا يختلف الوضع اليوم عن الأمس ، فللحظ تمائم منتشرة حول العالم **كحدوة الحصان** و **الرقم** 7 الذي يستعمل في صالات القمار بكثرة كدليل على الحظّ و **لمس الخشب** و **الزعيم الجنّي عند الإيرلنديين** و **الأوماموري** في الديانات البوذية و الشنتوية في شرق

آسيا و رؤية شهاب أو قوس قزح أو نبات الفطر و غيرها ..

و بالطبع هنالك بالمقابل ظواهر مقترنة بالحظّ السيء كما يصفه بعض الناس كرقم **13** أو القطط السوداء أو الغربان أو العبور تحت سلم مفتوح أو رش الملح أو المرآة المكسورة أو فتح المظلة داخل المنزل أو ارتعاش جفن العين و غيرها ..

❁ الحظّ من منظور العلم و الدين:

في الحقيقة لا وجود لأي تفسير علمي لوجود أشخاص محظوظين للغاية و بشكل غير منطقي في الحياة ، و هي إحدى الأمور التي يسجد فيها العلم للسماء مكتوف الأيدي إذ لا تفسير لهذه الظاهرة سوى التوفيق الإلهي .. لذلك نجد الدّين على المقلب الآخر يؤكّد على وجود ما يسمى الحظّ في حياتنا ، فنجد مثلاً قول البارئ :

(و لا يلقّاها إلا كلّ ذي حظٍّ عظيم)

و يقول في آية أخرى :

(يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظٍّ عظيم)

مما يؤكد بأنّ هنالك بشراً يخصهم الله بهبة الحظّ بالفعل دون غيرهم كحال صديقنا ديكستر في مقدمة مغالطتنا الذي اجتمع الظروف بطريقة غير منطقية كي توفّقه في صفقاته الغريبة ، و النقطة الأهم هنا أنّ الله ربط **ذروة الحظ** في الحياة بالإيمان السليم و العمل الصالح الذي يصل بصاحبه إلى الفوز العظيم بجنانه المذهلة .. هذا الحظّ الذي يمكن للجميع اكتسابه بأيديهم دون انتظار أحد إن أرادوا !!

❁ **الحظّ و الاجتهاد** :

رغم وجود قلة من البشر محظوظين بالفعل فيحصّلون كثيراً من الرزق بلا جهد ، لا يمكننا إنكار حقيقة ثابتة في الحياة تقول :

(كلما زاد اجتهادك تحسّن حظك)

فالعمل أشبه بمغناطيس حقيقي يجلب الفرص و النتائج الإيجابية من كل الجهات .. مما يعني أنه يمكن للبشر غير المحظوظين أن يتغلبوا على ذلك بالاجتهاد و السعي و المثابرة و هذا وجه من أوجه العدل الإلهي ، لذلك نجد الرئيس الأمريكي الأسبق **توماس جيفرسون**

يقول :

(أنا أومن بشدّة بالحظّ، و أرى أنني كلما اجتهدت في عملي نلت مقداراً وفيراً منه)

كذلك نجد العالم الكبير **لويس باستور** يقول :

(الحظ يأتي إلى أصحاب العقول المستعدة)

فمن رحم العمل و الجدّ تولد أجمل الحظوظ !!

❁ أمثلة عن بشر محظوظين على نحوٍ لا يصدّق:

في صفحات التاريخ أمثلة كثيرة عن بشر محظوظين بطريقة لا تصدّق و أقرب إلى الخيال ، تثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ جوهر مغالطتنا بأن الحظّ أمر واقعي يلاصق بشراً بعينهم دون سواهم ، و من هذه الأمثلة نذكر بعض القصص التي ستثير دهشتك بلا شكّ عزيزي القارئ على غرار قصة صديقنا ديكستر في مقدّمة مغالطتنا :

① فتاة تفوز بجائزة اللوتو 4 مرات :

من الطبيعي أن يحالف الحظ بعض الناس حول العال و يربحوا جائزة اليانصيب أو اللوتو مرة واحدة، إلا أن الاميركية **جوان غينثر** من مدينة **لاس فيغاس** حالفها الحظ **4** مرات.. !! وقد لُقبت في الولايات

المتحدة بالامرأة الأكثر حظاً.. و هذا لقب تستحقه بلا أدنى شك ، فما حدث معها مخالف لكل قوانين المنطق و الاحتمال !!

② رجل ينجوا من قبلتين ذريتين !! :

نجا الياباني تسوتومو ياماجوتشي مرتين من قنبلتين ذريتين فجرتهما الولايات المتحدة الأمريكية في **6** و **9** أغسطس/آب عام **1945** بمدينتي هيروشيما و ناغازاكي اليابانيتين ، الأمر الذي أسفر عن مقتل حوالي **90** ألف شخص .. وأكدت الحكومة اليابانية عام **2009** أن ياماجوتشي كان موجوداً في كلتي المدينتين أثناء التفجيرين ، فقد كان بمدينة هيروشيما في **6** أغسطس/ آب، في رحلة عمل سائراً على قدميه عندما سمع صوت الطائرة وشاهد سقوط القنبلة و نجا

منها بأعجوبة لا تفسر .. و بحلول **9** أغسطس/آب، عاد المواطن إلى منزله في ناغازاكي ليكون شاهداً على التفجير للمرة الثانية، ورغم تعرّضه للإشعاع في كلتي الحالتين، عاش حتى سن **93** .. !!

③ رجل يتحوّل من جثة إلى إنسان ثريّ !!:

بعد حادث سير مروع، أعلن الأطباء وفاة الأسترالي **بيل مورغان** بعد دخوله لمدة **12** يوماً في غيبوبة، إلا أنه استيقظ على نحوٍ غير متوقع أو مفسّر و عاد إلى الحياة من جديد .. و بعد أيام قرر بيل أن يحتفي بنجاته من الحادث فاشترى بطاقة يانصيب فورية ليربح سيارة بقيمة **27** ألف دولار أميركي.. و عندما اهتمت وسائل الإعلام بقصته، أراد بيل أن يعيد مشهد الفوز على الهواء مباشرةً فاشترى بطاقة يانصيب جديدة ، وإذ به يربح الجائزة الكبرى وقيمتها **250** ألف دولار

أمريكي !!

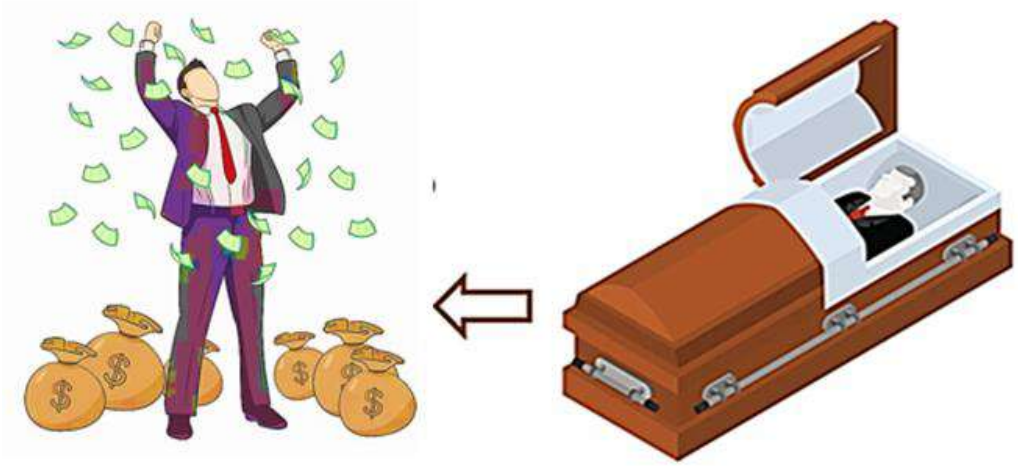

④ رجل ينجو من 6 حوادث غرق سفن :

جون بريست هو أحد عمال المحركات في السفن البخارية ، و في عام **1907**، كان جون على متن **سفينة أستورياس** في رحلتها الأولى التي غرقت فيها بسبب تسرّب المياه إلى غرفة المحركات، ونجا جون من الحادثة بأعجوبة.. وبعدها بأربعة أعوام، وتحديداً عام **1911**، كان جون واحداً من طاقم **سفينة أولمبيا** ، و نجا من الغرق بعد اصطدام السفينة بسفينة ثانية أصغر منها..

وفي **1912**، كان بريست يعمل في غرفة المحركات على السفينة الأكثر شهرة عبر التاريخ **تيتانيك** ، و عند اصطدامها الشهير بجبل الجليد، كان جون في قعر السفينة لكنه رغم ذلك استطاع الصعود إلى السطح و سبح في المياه المتجمدة، واستطاع الوصول لأحد

القوارب، و تم إنقاذه بعد أن اعتقد الجميع هذا الأمر مستحيلاً..

لم يتوقف جون عن عمله بعد نجاته من ثلاث حوادث غرق للسفن، وعمل بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية على متن **سفينة الكانتارا** ، التي غرقت في إحدى المعارك الحربية عام **1916**، وكعادته نجا جون بريست رغم تعرض السفينة للانفجار قبل الغرق!!

واصل جون عمله، وعاد في العام نفسه للعمل على متن **سفينة بريتانيك** التي تعرضت للغرق بنفس العام بعد انفجار لغم بحري بها ولم يتغير الأمر مع جون فكان من ضمن الناجين من هذه السفينة هذه المرة أيضاً !! و في العام التالي **1917**، بدأ عمله في **سفينة دونيجال** ، و تعرضت هذه السفينة لهجوم غواصة

ألمانية، وتم إغراقها لكن جون نجا منها من دون أن يصاب بأي ضرر حتى أنّه لم يخدش على الإطلاق ..

الطريف في القصة أن جون اضطر للتقاعد بعد هذه الحادثة لا لشيء، إلا لسبب واحد هو أن أحداً لم يقبل العمل معه بعد كل تلك الحوادث.، إذ اعتبر هذا المحظوظ نحساً يُغرق كل سفينة يعمل عليها !!..

⑤ رجل ينجو من حادثتي تحطم طائرتين :

نجا الهولندي **مارتن دي يونغ** و هو بعمر **29** سنة من الموت مرتين، حيث ألغى في المرة الأولى رحلته على متن **الطائرة الماليزية** التي تحطمت في جنوب شرق **أوكرانيا**، ثم بعد أشهر قليلة اشترى تذكرة سفر على متن طائرة الخطوط الماليزية أيضاً للذهاب إلى **تايوان** والاشتراك في مسابقة الدراجات الهوائية و لكنه في اللحظة الأخيرة قرر تغيير خط رحلته.. أما تلك الطائرة فقد اختفت دون أثر فوق المحيط الهندي !!

⑥ رجل نجا من الموت 7 مرات في حياته ثم ربح اليانصيب

اليانصيب: في مطلع عام **1962** نجا أستاذ الموسيقى الكرواتي **فرانو سيلاك** أول مرة من الموت حين خرج القطار عن مساره وسقط في نهر جليدي، وما هي إلا أشهر قليلة حتى نجا مرة ثانية من سقوط طائرة بعد أن انفتح بابها وسقط فرانو من السماء إلى الأرض في حفرة من القش وقُتل حينها **19** شخصاً على الأقل و نجا هو .. هذا و قد نجا فرانو من **5** حوادث أخرى مهددة للحياة كإطلاق نار وحوادث مركبات وغيرها.. و لم يتوقف حظه هنا ، ففي العام **2003** ربح فرانو جائزة يانصيب قيمتها مليون دولار !!

⑦ الفتاة التي سقطت من السماء إلى الأرض و لم تمت

تمت : الانجليزية **ليندي هاردينج** نجت من سقوط حر

من على إرتقاع **2500** متر تقريباً عندما كانت تمارس رياضة القفز بالمظلات ، فعندما فتحت المظلة علق الحبل ، وعندما فتحت المظلة الاحتياطية اشتبكت الحبال ببعضها وسط الرياح الشديدة ، فسقطت نحو الأرض سقوطاً حراً لمدة **40** ثانية بسرعة وصلت **110** كم في الساعة قبل ان تصطدم بالأرض بشكل مباشر، و المذهل في الأمر أنّ كلّ الذي حدث لها هو ثقب في الرئة وكسر في ضلعين وكسر في الأنف لا غير على نحو يخالف المنطق و كل القوانين العلمية !! ، و قد تم علاجها وعاشت بشكل طبيعي بعدها ، و بعد مرور **7** سنوات على الحادثة استطاعت ليندي أن تتغلب على صدمتها وقامت بقفزة مظلية جديدة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الحظّ**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا لا أؤمن بالحظّ في الحياة .. فالحظّ هو مجرّد اسم آخر للصدف العبثية العشوائية ..

بل أن نقول :

= الحظّ في الحياة شيء موجود بالفعل كهبة يمنحها البارئ لبعض خلقه فتجد أمورهم تسير بسلالة و توفيق أو تطرق بابهم بين الآونة و الأخرى المفاجآت الإيجابية على هيئة ثروة أو وظيفة أو نجاة من موت محقق أو غيره دون أن يبذلوا فيها أي جهد كما يصفهم الشاعر **الكبير أبو العلاء المعرّي** :

يُجالِدُ مَحْرومٌ على الأمرِ فاتهُ

و أحرزَهُ بالحظِّ مَن لم يُجالدِ

و في كلامه كثيرُ من الصحة ، فبعض المحظوظين في الحياة يتحصلون على مكاسب جمة بسهولة ، في حين يعجز كثيرون عن تحصيلها و لو بشقّ الأنفس ..لكنّ ذلك لا يعني أبداً الاستكانة إلى الظروف و انتظار الحظّ لإخراجنا من مشاكلنا بل علينا متابعة العمل و السعي بإصرار لخلق حظوظنا بأيدينا لأن أحد وجوه العدل الإلهي هو ولادة الحظّ من رحم الجهد ، و في إحدى

قصص الطبيب و الكاتب الروسي الشهير **أنطون تشيخوف** خير عبرة عن ذلك ، لذا أتركك أخيراً معها عزيزي القارئ لتتأمل في عمقها و روعتها:

{{ منذ **40** سنة، عندما كنت في سنّ **25** ، عثرت في الطريق على ورقة مالية من فئة **10** روبلات ، ومنذ ذلك اليوم، لم أرفع وجهي عن الأرض أبداً أملاً في حظّ أكبر يغير حياتي بالكامل ، وأستطيع أن أحصي حصيلة حياتي الآن و أن أسجّلها كما يفعل أصحاب الملايين .. فأحسبها هكذا:

2917 زراراً - **244172** دبوساً - **12** سن ريشة - **3** أقلام - **1** منديل - ظهر منحنٍ وحياة بائسة !

ولا غرابة في ذلك؛ **فالاعتماد على الحظ لوحده**، وانتظار ضربة من ضرباته.. لا يورّث الإنسان إلا هذا الميراث العادل :

(ظهراً منحنياً، وحياةً بائسة !!!) }}

الحظّ موجود يا صديقي لكن لا تعتمد عليه في تحقيق أهدافك ، بل اعتمد على نفسك فحسب و اجتهد و سترى حظوظ الدنيا مجتمعة تهرول وراءك **لأنّ الحظوظ تقع في غرام الناس الذين يكافحون من الخطوة الأولى** ..

و ربما كان المثل الشعبي الشهير :

(حظّ أعطني و في البحر ارمني)

صحيحاً ، لكن الأكيد و الأصحّ قولنا :

(بدلة غوص أعطني و في البحر ارمني)

فالتفكير الصحيح و بذل الجهد و الأخذ بالأسباب هما حبل الإنقاذ من أي نصيب عسير يصيبك و معها لن تحتاج لأي حظ كي ينقذك !!

مغالطة GPS الحياة

(متطابقة أوبلر)

= هل نحن بالاتجاه الصحيح حبيبي ؟!

= أجل يا زوجتي العزيزة ، بحسب إرشادات نظام **GPS** علينا المضي قدماً لمسافة **3** كم ثم الانعطاف يميناً و بعدها يساراً حيث نصل إلى وجهتنا النهائية ..

= يا له من نظام مذهل حلّ كثيراً من المشاكل و جنّب البشر متاهةً من الضياع ..

= بالفعل إنه كذلك ..

= و ما آلية عمله بالضبط ؟

= اتصال مباشر بين الأقمار الصناعية في السماء و جهاز الاستقبال في سيارتنا فتملي عليه الإحداثيات ..

= أي أن السماء ترشدنا حرفياً إلى الطريق الصحيح !!

= تماماً ..

= يا ليت هنالك نظام **GPS** روحي مشابه تدل به السماء الإنسان إلى الاتجاه الصحيح نحو دار البقاء كي لا يتوه في غياهب ظلمات الدنيا ..

= هنالك الدين يا عزيزتي ..

= أعلم .. لكنني لا أزال أشعر بشيءٍ ما ناقص .. شيء لا يجلو الظلمات من حياتي بشكل نهائي ..

= بالفعل أشاطرك نفس الإحساس ..

*****

هل هنالك بالفعل نظام GPS بين السماء و الجسد الأرضي ترشد من خلاله السماء الجسد بوضوح إلى الطريق الصحيح في الكون الأصغر حتى يبلغ الكون الأكبر بأقل الخسائر الممكنة ؟! أم أنّ على الإنسان أن يجرب عدّة طرق و يتوه فيها حتى يعثر على الطريق الصحيح في النهاية ؟!

هذا ما سنحاول الإجابة عليه على نحوٍ كافٍ و وافٍ كما آمل خلال الصفحات التالية بمقاربة مغالطتنا الجديدة :

(**GPS الحياة**) بطريقة مباشرة نقوم خلالها بتحديد أهم الإرشادات الروحية للبشر كيلا يتوهوا في ظلمات

الحياة فيوفروا على أنفسهم كثيراً من الألم و العذاب و الضياع ، و هذه الإرشادات تشمل **11** بنداً إن وعى الإنسان لها بعمق و جسّدها كقناعات و أفعال في حياته فإن رحلته في هذه الحياة الدنيا ستكون بلا شك عبارة عن مغامرة مثيرة و ممتعة و بأقل الصعوبات الممكنة ، فهيا بنا عزيزي القارئ نتبع هذه الإرشادات الروحية بالترتيب :

❁ فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

تقوم هذه الفلسفة على مبدأ بسيط لكن هام للغاية و هو أنه بعد التعود على نعم الله لفترة من الزمن تفقد النعم قيمتها في نظر مالكها تدريجياً ليتلو ذلك طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها ما بين يديه فيفقده ، و في القرآن الكريم آية واضحة و صريحة عن هذه الفلسفة تقول :

(و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)

و كما ترى عزيز القارئ كم هي آية مذهلة و معبرة بالفعل ، فالله يعلم ما لا يعلمه البشر و يعرف مصلحتهم أكثر منهم ،إذ يدرك كما يقول بنفسه أن الرزق الشامل للجميع سيؤدي إلى فساد الأخلاق بسبب الوصول إلى

الإشباع الخطير الذي ذكرناه آنفاً و بالتالي بداية طور الضياع و فقدان النعم ، و قد يسأل سائل هنا ، لكن لماذا يرزق الله قسماً من البشر الكثير، في حين يقتر رزقه على قسم آخر ؟ !و هو سؤال هام ، مشروع و منطقي بلا شك .. تجيب عليه آية قرآنية مذهلة أخرى متممة للآية السابقة يعتدل معها ميزان العدل الإلهي و تتحقق معها المساواة بين الجميع .. و تقول :

(و تلك الأيام نداولها بين الناس)

أي أنّ دوام الحال من المحال فمن هو في النور أو اليسر قد يمسي في الظلام أو العسر و من هو في الظلام أو العسر قد يصبح في النور أو اليسر و هكذا.. كتوالي النهار و الليل في حياتنا و لا يبقى على حاله سوى الله تعالى ، فالحياة دورات من شدّ و إرخاء .. عسر و يسر ، و بين هذه الثنائيات يلقننا الله أبلغ المواعظ و أعظم الدروس .. و يمكننا اختزال كل ما سبق بالجملة التالية المبسطة التي تلخص فلسفة الإشباع و بداية الضياع :

(وفرة النعم تسبب البطر ثم فساد الأخلاق ثم فقدان النعم)

لذا فالإرشاد الأول في نظام **GPS** السماء هو :

(قدّر نعم الله بين يديك جيداً و لا تبطر بها كيلا تصل لمرحلة الإشباع منها فتضيع أنت و نعمك معاً و تنحدر نحو الهاوية)

❁ فلسفة لقاح الظلام :

حياة كل إنسان في هذه الدنيا تمر بثلاث مراحل بدخوله نفقه المظلم الخاص (أبيض ، أسود ، أبيض) و الغاية من هذا النفق و ظلامه هو دفع الله الإنسان إلى تجربة طريق الخطيئة عمداً كي يعي تماماً أنه طريق غوغائي بلا نتيجة مفيدة له أو لغيره فيقدّس النور و يقدّره حق قدره .. و هذا ما يطيب لي تسميته (**لقاح الظلام**) ، أي أنّ الله يريدنا في هذه الحياة أن نجرب و نخطئ بشكل مقصود و ضروري كي نتعلم من أخطائنا في الحياة الدنيا و بذلك نتجنب الوقوع في أخطاء أكبر منها في الحياة الآخرة تفسد متعتها و بهجتها فتحيلها إلى جحيم مناقض لطبيعتها ، كمبدأ اللقاح تماماً الذي يعطى فيه الإنسان كمية صغيرة من العامل الممرض تمنحه مناعة

دائمة ضد الكميات الكبيرة منه لاحقاً ، أي ترك الإنسان يعيش لفترة قصيرة في ظلام الخطايا كي يعلم يقيناً أنها بلا فائدة ترجى على المدى البعيد و بأن عواقبها كارثية تورث الإنسان الشقاء و البؤس ، ليتعلم الدرس جيداً و عصارة العبرة منها فيحصل على مناعة دائمة تقيه من الانجرار إلى أخطاء أكبر منها في الدنيا أو الآخرة تدمر حياته و سعادته إلى الأبد أو تجهز عليها من الأساس و ترسل به إلى العدم ..

و بذلك يكون الإرشاد الثاني في نظام **GPS** السماء هو :

(لا تخشى من ظلام نفقك الخاص إن أجبرت في فترة من حياتك على دخوله ، فهو كلقاح سيمنحك مناعة دائمة من الظلام إلى الأبد)

❁ فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق :

إنّ الله يمكنه بغمضة عين و منتهى اليسر و السهولة أن

يمنحك في الآخرة أجمل وجه ، أضخم عضلات ، أحلى صوت ، دماغاً فيه كل علوم الحياة ، نعم لا تنضب ، لكن الشيء الوحيد الذي لا يأتي آنياً هو الأخلاق .. فهي لا تمنح من الخارج بل تتكون من الداخل بجهاد من الإنسان لنفسه و كأنه ينحت أخلاقه في روحه بإزميله الخاص ، و هذه عملية تستغرق زمناً طويّلً عبر مراحل متدرجة صعوداً من التجارب المريرة كمعاناة الإنسان من عواقب سوء أخلاقه على نفسه أو من عواقب سوء أخلاق الآخرين عليه حتى يكون قناعة تامة و يقين لا تشوبه شائبة بأنّ الأخلاق هي الخيار السليم الوحيد لازدهار الحياة و تحصيل السعادة ، فتحفر فلسفتها في أعماقه إلى الابد ، و لهذا السبب وجدت الحياة الدنيا كي يصل بنا الله إلى هذه الخلاصة النهائية ، أما بقية الأمور فكما قلنا يمكن لله أن يمنحنا إياها آنياً في العالم الآخر ، أي أنّ الدنيا وجدت من أجل الأخلاق و فقط ، و أما سبب هذا التركيز الحثيث على الأخلاق لدرجة خلق دنيا بكاملها من أجلها فبسيط للغاية ، و هو أنّ انعدام الأخلاق يعني ضياع المخلوقات و تحول الدنيا إلى غابة متوحشة يفترس فيها القوي و الضعيف ، و يبغض فيها البشر بعضهم و يعتدون على بعضهم ... و نهاية كل ذلك هو الفناء بّل أي شك .. و هذا هو مصير الحياة الآخرة لو أنّ الله خلق البشر فيها مباشرةً ، إذ إنه رغم جنانها

الرحبة التي فيها كل شيء حرفياً ، فإن البشر بلا أخلاق سيفنون بعضهم فيها و يحيلونها إلى جحيم حقيقي ، و بالطبع حكمة الخالق ارتأت خلق مرحلة انتقالية هي الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة الأبدية لتجنب هذه الكارثة و تنمية الأخلاق في نفوس البشر في الدنيا قبل انتقالهم إلى دار البقاء ..

و بذلك يكون الإرشاد الثالث في نظام **GPS** السماء هو :

(الشيء الوحيد الذي لا يمنحك إياه الخالق من خارجك بل تمنحه لنفسك من داخلك هو الأخلاق و هي الغاية من الخلق بالأساس و لن يطالبك الله في الآخرة بغيرها، لذا انحت روحك بإزميلك فهذّب نفسك و تحلى بمكارم الأخلاق كي تليق بك جنان الله فيما بعد)

❁ فلسفة القدر :

كل تفاصيل حياة أي إنسان محفورة في كتاب محفوظ من قبل أن يخلق على الأرض أي مذ كان مجرد فكرة في السماء ، و هذا موضّح بشكل صريح لا غبار عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى :

(ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم)

أي أنّ كل ما يصيب البشر من أفراح أو أتراح مكتوب في كتابهم من قبل خلقهم ، و ما الحياة سوى تأدية أدوارنا المكتوبة بحذافيرها ، لكننا في نفس الوقت نتعلم من هذه الأدوار أعظم الدروس و أبلغ العظات .. و هذا هو الإبداع الحقيقي في الخلق .. و الإنسان رغم ذلك مخّير و مسيّر في نفس الوقت و هذا ما يضمن سيطرة الله المحكمة على الحياة من جهة و فرض عدله بعبقرية من جهة ثانية .. فهل هنالك شيء يمنعك عزيزي القارئ من النزول إلى الشارع و رمي نفسك أمام إحدى السيارات العابرة في هذه اللحظة ؟ إن فكرت قليلاً ستجد أن لا قوة تمنعك سوى رغبتك بألا تؤذي نفسك

أي أنك مخير ، و هذه رحمة إلهية ، لكنّ السماء تعرف أنك لن تؤذي نفسك و بذلك فأنت مسيّر ، و إن كانت لديك رغبة شاذة في رمي نفسك تحت عجلات السيارة من باب حماقة أو يأس فستقوم بذلك دون أن يمنعك أحد من القيام بذلك فأنت مخيّر من جديد .. و بالطبع في حال تعرضت لدهس دون إرادتك من قبل سيارة مسرعة سائقها مخمور أو مراهق طائش فهذا قدر لله غاية منه ، فإما أن حياتك انتهت و مهمتك على الأرض أنجزت ، أو أن تتعرض لعجز يبتليك به الله كي يرّوض روحك أكثر بالمعاناة كي تليق بك جنانه الرحبة ، أو أنك ستشفى تماماً و تبقى تلك التجربة درساً و عبرة لك كنوع من اختبار صبرك ، أو عقاب لك على فعل شائن سابق ارتكبته .. و هكذا أيّاً كان الاحتمال الذي سيصيبك فأنت مخيّر بتنفيذه بإرادتك الكاملة ، و بنفس الوقت هو ليس عبثياً البتة بل لغايات إلهية نبيلة تصبّ في مصلحتك لذا كتبه الله لك لأنه يناسبك بالمقاس الدقيق ..

و بذلك يكون الإرشاد الرابع في نظام **GPS** السماء هو :

(كل تفصيل من حياتك مكتوب مسبقاً في كتابك عند البارئ ، بمعنى أن لا شيء يحدث صدفة في حياتك ، لذا تقبل حياتك برضا كما هي بيسرها و

عسرها ، لأن الخالق فصلها بالمقاس عليك لتناسبك

أنت دونًا عن بقية البشر ، فيسرها سيسعدك و

عسرها فيه دروس بليغة لك لا تقدر بثمن)

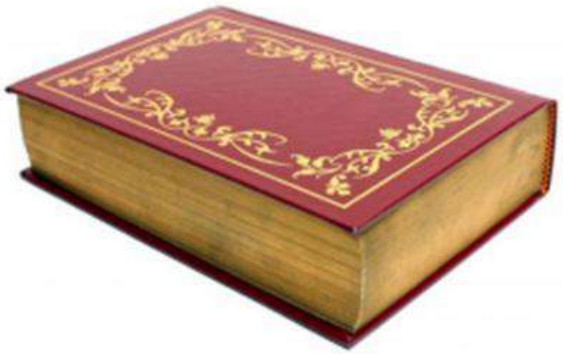

❁ فلسفة حقل الألغام :

في الحقيقة الحياة من حولنا أشبه بحقل ألغام من :

- أمراض و أوبئة ..
- الموت ..
- الكوارث الطبيعية كالزلازل ، البراكين و الأعاصير
- الحروب بمختلف دوافعها ، سياسية ، دينية ، توسعية ، نهب ثروات ..
- الأزمات البيئية كالتصحّر ، ثقب الأوزون و التلوث
- الأزمات الاقتصادية ..
- أذى البشر لبعضهم كالسرقة ، الاحتيال ، الاعتداء بأنواعه ، تشويه السمعة ، المكائد ..

● الخسارة بأنواعها ، خسارة وظيفتنا أو دمار منزلنا أو فقد من نحب ..

و القائمة تطول ، و مما لا شكّ فيه عند تفنيد هذه العوامل كلها أنها بغزارتها و تنوع مصادرها أمر باعث على القلق ، الخوف و الاكتئاب بالفعل حتى الوصول إلى مرحلة اليأس و العجز ثم التوقف عن مصارعة الحياة و المضي قدماً فيها جرّاء الحجم المهول للأهوال من حولنا ، حيث يمكن لأي لغم منها أن ينفجر بنا في أية لحظة .. لكن هنالك عامل مقابل كرد فعل معاكس بالاتجاه و الأهم أنه أشد قوة و مقداراً من هذه العوامل المجتمعة بملايين الأضعاف يحكم سيطرته عليها و كل شيء يجري بإرادته و رضاه وفق معايير مدروسة بدقة و عناية ألا و هو الله ، فإن كان لدينا يقين تام بأن هذا الخالق يتحلى بالصفات التالية : **مطلق القدرة ، خالق حقل الألغام هذا بنفسه و يعرف خفاياه بدقة ، رحيم ، حكيم و نبيل** ، سندرك عندها الحقائق التالية التي تثلج الصدر و تريح النفس :

❁ من خلق حقل الألغام هذا بمقدوره ببساطة أن يحكم السيطرة عليه ..

❁ ما من لغم ينفجر في هذه الدنيا إلا بإرادة الخالق و لغاية نبيلة حكيمة تصبّ في مصلحة الإنسان و تحقق الغاية من خلق الله له في هذا الحقل ، فمنذ أرسلك الله

إلى هذا الحقل قد حدد لك مسبقاً نوعية الألغام التي ستنفجر بك ، متى سيحدث ذلك ، عواقبه و الأهم الحكمة و الغاية من انفجاره..

۞ لا يمكن لحياتنا أن تكون مجرد انفجارات متتالية عبثية لألغام العالم المختلفة كي تدفعنا للعيش بحالة من الخوف ، القلق ، الاكتئاب و اليأس ، لأن الخالق ببساطة نبيل و رحيم و بالتالي فهو لم يخلقنا كي يعذبنا بل كي يلقننا الدروس البليغة و يرّوض الوحش القابع في أعماقنا كي يخرج منا صورة نبيلة ، رحيمة و حكيمة على هيئته كي تليق بنا الحياة في جنانه الرحبة في الآخرة و ما هذه الالغام سوى الإزميل الذي ينحت به الخالق تلك الصورة الجميلة فينا .. و بوضع هاتين الزاويتين بوجه بعضهما ندرك الحقيقة التي لا ٍ ريب فيها بأنه لا داعٍ أبداً للقلق أو الأرق أو الخوف في الحياة ، بل يتوجب علينا فقط تسليم أمورنا للخالق بطواعية و هدوء دون تمرد أو تذمر كي نتجنب أن نفجّر ألغاماً عبثية بأنفسنا عندما نمشي عليها طواعية و بإرادتنا .. فكما شقّ الله البحر لرسوله موسى و نجاه من المخاطر خلفه عندما أيقن أن هلاكه حان و لا مهرب أو منجاة له ، في حين أغرق أعداءه في أعماق ذلك البحر ، فإنه سيشقّ لكل إنسان مؤمن به طريقا معبداً بالورود ، السلام و الأمان ضمن حقل الألغام المخيف هذا و ذلك على الله ليس بعسير على الإطلاق

و بذلك يكون الإرشاد الخامس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كوكب الأرض أشبه بحقل ألغام ، لكن الأصحّ أن هذا الحقل مصمم بيد خالق نبيل حكيم و رحيم ، و أي لغم سينفجر بك في حياتك هو موقوت في الزمان و المكان المناسبين و لغاية خاصة و مفيدة لك بلا أدنى شك، لذا لا تفني حياتك و تهدر وقتك في خشية ألغام ربما لن تنفجر بك بالأساس طوال حياتك)

❁ فلسفة الولادة الحقيقية :

صحيح أننا عندما نولد جسداً نأتي إلى الدنيا بتفاصيل جاهزة تصبغ حياتنا بدءاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون

و التوجه .. لكن ما من شيء يردعنا عندما نكبر من أن نغربل تفاصيل حياتنا في غربال ذهبي يذهب بما لا يتماشى مع ميولنا و مبادئنا و يبقي على قناعاتنا في الحياة .. فحتى اسمك الشخصي أنت قادر على تغييره ، و شكلك أيضاً بعمليات التجميل و حتى جنسك في بعض الأمراض و التشوهات الخلقية .. فأنت أتيت إلى الحياة بدون إرادتك ، لكنك تستطيع أن تحياها وفق تصورك و رغباتك ، و لا قوة في العالم تمنعك من القيام بذلك إن أردت بالطبع .. و في الولادة الأولى الجسدية لك ، أمك هي من عانت من آلام المخاض المبرّحة ، لكن صدقني عزيزي القارئ بأن ولادتك الحقيقية عندما تكبر هي مخاض أعسر بكثير و ستعاني بنفسك من آلامه ، فليس من السهل على الإطلاق أن تنسلخ عن هويتك القديمة و بيئتك لتولد كإنسان جديد ، فذلك يتطلب إيماناً عميقاً لا يتزعزع بقناعاتك و إرادة فولاذية للمضي في هذه التجربة العسيرة و المخاض المنهك ، لكن صدقني بأنها تجربة عظيمة لا توصف تستحق كل هذا الألم و أكثر ، فعندها فقط ستدرك كم هي جميلة الحياة و ستعرف بالضبط غاية الله من خلقك فيها .. و تذكر أنك عندما تولد جسداً في الحياة تغطي جسدك طبقة سميكة من الدماء ، المخاط ، السائل الامنيوسي و غيرها مما يجعل منظرك قبيحاً ، لكن ما أن يُغسل جسدك من كل ذلك و تصبح نظيفاً حتى تتحّول إلى مخلوق لطيف

بأبهى صورة .. هذه الطبقات المتّسخة تكافئ ما فرضه عليك الاشخاص و البيئة في طفولتك فجعلوا حياتك قبيحة لا تناسبك ، لكن ما إن تنظف نفسك و حياتك منها بإرادتك في ولادتك الحقيقية حتى تصبح بصمة فارقة في الحياة كما أراد لك الله أن تكون .. لذا اصنع قدرك بيديك لا بأيدي الآخرين كي تولد بحق هذه المّرة

و بذلك يكون الإرشاد السادس في نظام **GPS** السماء هو :

(صحيح أن كل شيء في حياتك فرض عليك عند ولادتك بما فيها حياتك نفسها ، لكن ما من قوة في العالم تمنعك إن شئت من تغيير حياتك هذه إلى النحو الذي ترغب به و يناسب مبادئك و توجهاتك عندما تنضج و تستقل)

❁ فلسفة الأنا و الهو :

العزلة و الانفراد بالذات أمر جميل بل ضروري أحياناً كي نفهم ذواتنا أكثر ، كذلك حال الشهرة و السلطة لهما نكهة خاصة بلا شك و ذلك بالإحساس بالتميز عن الآخرين .. لكن شريطة ألا يستمر هذا الحال إلى الأبد من جهة ، فعندها سيفقد كل ذلك مزاياه و يتحول إلى كابوس حقيقي يسلبنا كل جميل ، و من ناحية أخرى فإنّ وجودنا ضمن فريق من الأصدقاء لن يحرمنا من هذه المتع .. فالأصدقاء يمنحوننا مساحة كافية لأنفسنا متى أحببنا ، كما أنهم يطرون على إنجازاتنا و يتبعون توجيهاتنا السليمة و المفيدة برحابة صدر و وفاء ناهيك عن كونهم السند الذي نتكئ عليه عندما تعصف بنا الهموم و المصاعب كما ينبغي أن نكون عكازهم في النكبات .. و الأنانية أو النرجسية التي تمجد الذات و تلغي الآخر ليست مرادفاً للإبداع و النجاح و السعادة .. بل إنّ السعادة التي يمنحها لنا الأحباء و ملاحظاتهم القيمة إيجاباً أم سلباً على أعمالنا هي من تخرج منا أفضل نسخة ممكنة لذواتنا فنبدع بالفعل ..

و بذلك يكون الإرشاد السابع في نظام **GPS** السماء هو :

(الأنا ضرورية بلا شك لأن من لا يحب نفسه لا يعرف

كيف يحب الآخرين ، لكن علينا ألا نسمح للأنا بالتوسع كثيراً بحيث تطمس الهو على الخارطة ، فالآخرين هم مصدر السعادة الحقيقية في هذه الحياة ، و الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس)

❁ فلسفة سواسية كأسنان المشط:

الناس سواسية كأسنان المشط و ما يعلي مقامهم في الحياة هو أخالقهم و صلاح أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم فقط لا غير .. و علينا التعامل مع الآخرين وفق هذه المعادلة .. أما تمييز البشر بين بعضهم على أساس لون بشرتهم أو جاههم أو سلطتهم أو ثرائهم أو نسبهم أو غيره فهو مرفوض سماوياً ، فجميع البشر أتوا إلى الحياة عراة و سيغادرونها عراة و ما يكسوهم بين الولادة و الموت هو أخلاقهم لا غير ..

و بذلك يكون الإرشاد الثامن في نظام **GPS** السماء

هو :

(فكرة أن الناس مقامات أو أن أصابع يدك ليست كبعضها مرفوضة عند الله ، فجميع الناس سواسية كأسنان المشط و لا تفضيل لأحد على آخر إلا بأخلاقه)

❁ فلسفة الطاقة المهدورة :

جهد الإنسان طاقة لا تفنى بشكل مؤكد و سيصل إلى المتلقي المناسب عاجلاً أم آجلاً ليحقق النجاح المأمول، و جلّ ما علينا فعله أن نقوم بواجبنا ببذل الجهد و زرع بذرتنا في التراب المناسب و السماء ستتكفل بسقايتها و إنمائها لتعطي شجرة من

النجاحات و التأثير سواء كنا فوق هذا التراب أم مدفونين في أحشائه ، و قيمة عملك لا تقدر بنجاحك الضخم فيه أو غايتك منه بل بغايات الله ذات الأبعاد المختلفة منه و الذي ألهمك في المقام الأول على التفكير به أو قوله أو فعله.. و كل فعل نقوم به في حياتنا سلبياً كان أم إيجابياً و إن كان مثقال ذرة سيتضاعف كأثر الفراشة أو تساقط أحجار الدومينو و يغير في حياة الآخرين في هذا العالم ، و ربّ كلمةٍ واحدة غيرت مجرى التاريخ .. و كلنا مزارعون في حقل الحياة ، فلنعمل على زرع بذور العمل الصالح المعجون بالخير و الحب في هذا الحقل وقدر الله بحكمته سيرويها و ينميها ، فإن لم نستفد منها بأنفسنا سيستفيد من ثمار أشجارها الوارفة آخرون يوماً ما ،كما نستفيد نحن من ثمار غيرنا الآن ، فلا يمكن تلخيص فلسفة العمل الصالح بدقة أكثر من وصفه بكلمة واحدة فقط : (**بذرة**) فهو لن يعرف الضياع أو الهدر أبداً بل سينمو لاحقاً ليؤتي ثماره بلا ريب ..

و بذلك يكون الإرشاد التاسع في نظام **GPS** السماء هو :

(أي جهد تبذله في حياتك هو طاقة لا تفنى و لا تعرف معنى الهدر بكل تأكيد، بل ستتوسع كأثر

الفراشة أو تأثير الدومينو عابرةً للمكان و الزمان و الأشخاص و تؤثر بالآخرين ذات يوم)

❁ فلسفة دائرة الأرزاق :

مفهوم دائرة الأرزاق بسيط للغاية لكنه هامّ على نحوٍ لا يوصف بنفس الوقت لأنه يكشف النقاب عن أحد أكبر أسرار الحياة التي تشرح العدل الإلهي و المساواة بين البشر و ينصّ على الحقيقة التالية :

((حياة كل إنسان عبارة عن دائرة مقسمة إلى أقسام من الأرزاق بحيث تبقى مساحة الدائرة ثابتة و متساوية بين جميع البشر ، فمثلاً إن زادت حصة المال عند إنسان في الدائرة فستقل بالمقابل حصة أخرى بلا أدنى شك كالصحة مثلاً و هكذا ..))

و من المستحيل أن يمتلك الإنسان كل شيء في هذه

الحياة حتى لو سعى إلى ذلك ، فهذه الدائرة السحرية مبرمجة سلفاً كي تقلّ نسب فيها في حال ازدادت نسب أخرى ..

و أقاليم الحياة متنوعة و الله إن قتّر الرزق عليك في بعضها سيوسعه في غيرها بلا شك ، و من هذه الأقاليم الشائعة نذكر :

- **المال** ، و هو الإقليم الذي يشغل تفكير أغلب الناس، و يربطونه بجهالة بكل شيء ، فإن امتلكت المال فأنت لا تحتاج شيئاً آخر بعده كما يعتقدون ..
- **الصحة** ، و هو الإقليم الأهم و الأكثر قيمة ، و كثير من الناس يغفلون أهميته بجهالة حتى يخسرونه ..
- **العائلة** ، أن تمتلك أم و أب ، أخوة و أخوات ،

زوجة ، أبناء .. و كثير من البشر يفتقدون هذه العناصر لأسباب مختلفة ..

- **النجاح** ، بكل أشكاله ، في الدراسة أو العمل .. إلخ
- **الأمان** ، أن تملك سقفاً تعيش تحته ، ألا تملك أعداء يتربصون بك ، ألا تعيش في حرب أو تشرد ، أن تعيش مرتاح البال .. إلخ ..
- **الأصدقاء** ، كنز حقيقي في الحياة و ما أقلهم عندما تشيح الحياة بوجهها عنك !!
- **الإيمان** ، فإن طرق الله بابك فهذا حدث عظيم لا تستهن به ، فغيرك لا يزال يعيش في دوامة الشك و الحيرة ..

إضافةً إلى آلاف الأقاليم الأخرى و هذه مجرد أقاليم شائعة بين الناس ، لكن العدل يكمن في التفاصيل هنا ، و تغير النسب زيادةً أو نقصاناً من شخص لآخر يطال أقاليم كثيرة نجهلها و لا نعيرها اهتماماً أو قيمة لتبقى الدائرة بالمحصلة ثابتة المساحة بين جميع الناس في أي فترة من حياتهم ، و هذا هو الإبداع و الإعجاز في العدل الإلهي .. لذا اقنع عزيزي القارئ بقسمتك من الرزق و كن على يقين بأنك تملك أشياءً كثيرة حُرم منها من تظنه يملك كل شيء و ولد و في فمه ملعقة

من ذهب ..

و بذلك يكون الإرشاد العاشر في نظام **GPS** السماء هو :

(عبارة ولد و في فمه ملعقة من ذهب لا وجود لها في قاموس الحياة الدنيا ، فكل إنسان يأتي إليها تحكمه دائرة أرزاق ثابتة إن توسعت فيها بعض النسب المئوية في أقاليم من الحياة ، تضاءلت نسب أخرى مباشرةً على حسابها ، ولو قدّر لنا أن نتعرف فعلياً على حياة أشخاص نظنها مثالية لدهشنا من كمّ الحرمان الذي يعانون منه .. لذا احمد لله على كل شيء و على كل حال.. و من زاوية أخرى فالدنيا قلابة و لا تستقر على حال و لا أحد يعرف ما الذي ينتظره خلف أبواب المستقبل .. أهو فرج عظيم أم شدة غير متوقعة !!)

❁ فلسفة خريطة الكنز :

لا يمكننا فهم الحياة الدنيا بدقة و عدل إن لم نربطها

بالحياة الآخرة كتتمة طبيعية و منطقية لها .. فإن اعتبرنا **حياة الإنسان في داري الفناء و البقاء جزءاً واحداً لا يتجزأ** ، فعندها سندرك جيداً أنه في نقطة معينة من هذه الحياة سيعثر كل إنسان بلا استثناء على كنوز عظيمة لا تقدر بثمن ، لا توصف بكلام و لا تحاط بعقل ، و ما هذه النقطة سوى لحظة موتنا التي تنام فيه أجسادنا الأرضية و تستيقظ أجسادنا السماوية لتمتلك كنوز الجنان إلى ما لا نهاية ، و هذه حقيقة ثابتة لا تقبك الشك أبداً و علينا التعامل معها كواقع لا كاحتمال بالإيمان و اليقين بوجود الله و حقيقة جنانه و عندها سيتغير كل شيء و تتغير نظرتنا إلى الحياة جذرياً .. أما خريطة الكنوز هذه فبيدنا جميعاً ألا و هي :

(الالتزام بالثالوث المقدس : الأخلاق و الإيمان و المعرفة)

و كلّ ما علينا هو تتبع هذه الخريطة في رحلة حياتنا على هذه الأرض **لبضعة سنوات لا أكثر** كمغامرة فريدة و ممتعة و شيقة نمخر فيها عباب محيط الحياة الدنيا بسفينتنا الخاصة حتى نبلغ **جزيرة الكنز** (الحياة الآخرة) حيث ينتظرنا كنزنا العظيم المدفون فيها كما وعدتنا الخريطة بالضبط ..

و بذلك يكون الإرشاد **11** في نظام **GPS** السماء هو :

(هنالك كنوز عظيمة تنتظرنا في الجنان لحظة وفاتنا التي ربما تكون أقرب مما نعتقد ، فليس جميع البشر يعمرون بل بعضهم يموت طفلاً أو يافعاً أو كهلاً، و ما علينا سوى انتظار هذه اللحظة بصبر و ثقة و إيمان و تسليم)

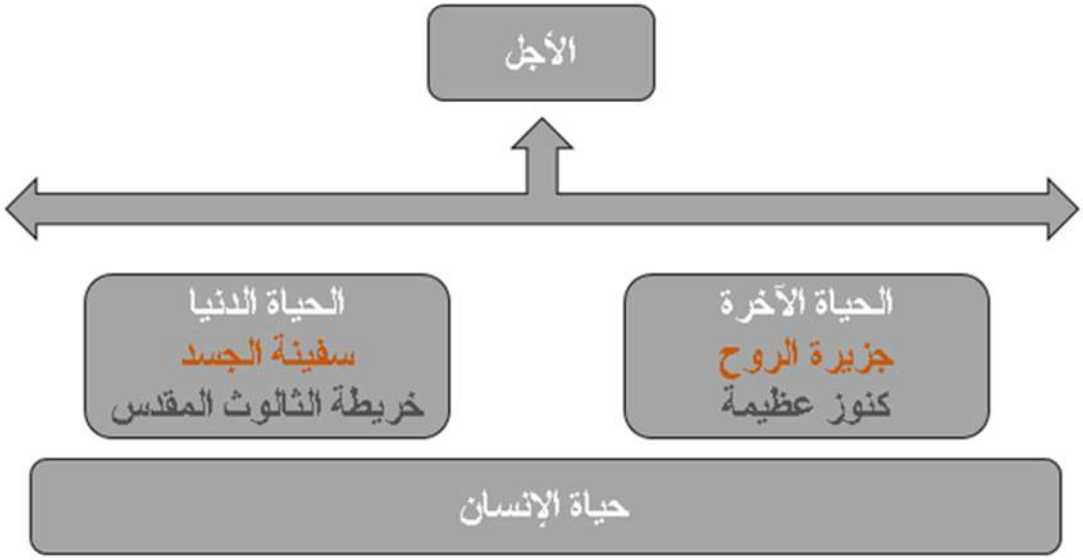

هذه هي الإرشادات الإحدى عشر في نظام **GPS** السماء ، فإن التزمنا بها بوعي و قناعة ، أعتقد أن حياتنا ستتحول إلى مغامرة مثيرة بأقل الصعاب الممكنة فنختصر درباً حمراء طويلة من الألم إلى أقصر مسافة تجعل منا عيالاً للسماء فتمنحنا كل شيء بدون مقابل و إلى الأبد في الكون الأكبر أو دار البقاء .. لذا أعطِ هذه الإرشادات بعضاً من وقتك واهتمامك عزيزي القارئ:

- **فلسفة الإشباع و بداية الضياع ..**
- **فلسفة لقاح الظلام ..**
- **فلسفة الخُلُق سرّ الخَلْق ..**
- **فلسفة القدر ..**
- **فلسفة حقل الألغام ..**
- **فلسفة الولادة الحقيقية ..**
- **فلسفة الأنا و الهو ..**
- **فلسفة سواسية كأسنان المشط ..**
- **فلسفة الطاقة المهدورة ..**
- **فلسفة دائرة الأرزاق ..**
- **فلسفة خريطة الكنز ..**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**GPS السماء**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول:

= الحياة تجربة مرعبة في الظلام نتوه خلالها في

دروب كثيرة خاطئة ندفع فيها الأثمان الباهظة ..

بل أن نقول :

= ربما كانت الحياة كذلك ، لكن هنالك نظام **GPS** خاص بين السماء و أجسادنا الأرضية مكون من **11** إرشاد .. إن اتبعناها بوعي فسنسلك الطريق الصحيح و اليسير مباشرةً نحو جنان السماء ، إذ سنفهم من خلالها فلسفة الله في الحياة و غايته من أعطيتها خلق الدنيا قبل الآخرة و من خلق البشر فيها أيضاً ..

في الرياضيات متطابقة شهيرة تدعى **متطابقة أويلر** و هي أصغر معادلة تحوي جميع المجموعات العددية الطبيعية و الصحيحة و الحقيقية و التخيلية و المركبة و النسبية و غير النسبية ..

$$e^{i\pi}+1=0$$

و تتكون هذه المتطابقة من الثوابت الخمسة الأكثر أهميةً في الرياضيات:

- العدد صفر **0** ..
- العدد واحد **1** ..
- العدد باي **π** ، و هو عدد غير نسبي مع أرقامه اللانهائية ..
- العدد **e** و هو أيضاً عدد غير نسبي، وهو أساس اللوغارتم الطبيعي ..
- العدد **i**، ويُعرف بأنه الجذر المربع للعدد (**- 1**) ، و هو العدد الأكثر أهميةً بالنسبة للأعداد التخيلية، وسمي كذلك لأنه بالحقيقة لا يوجد أي عددٍ يمكن ضربه بنفسه ليكون الناتج عدداً بإشارةٍ سالبة ..

و هذه التوليفة الجميلة لأهم الثوابت الرياضية في متطابقة واحدة تتطابق مع مضمون مغالطتنا على نحوٍ ظريف ، و ذلك بتوليف أهم ثوابت الحياة في مغالطة وحيدة ، و ربما ساعدتك عزيزي القارئ إن أعطيتها الانتباه و الاهتمام الكافيين كي تخرج من متاهة الحياة الدنيا الشائكة و المعقدة بأيسر طريقة و أقل جهد و تكاليف **!!** فحظاً موفقاً في مغامرتك الخاصة على كوكب الأرض يا صديقي ..

د

مغالطة وهم الشهرة

(مغالطة البرنسيم)

= لماذا يبدو عليك الانزعاج يا صديقي ؟

= بسبب ابنتي ماريانا ...

= و ما خطبها ؟

= تستهلك جلّ وقتها في متابعة فيديوهات تافهة على مواقع التواصل الاجتماعي لا تفيدها بشيء و لا تغير من وعيها أو ثقافتها ، بل تشغل وقتها و تفكيرها و تركيزها عن الدراسة ..

= أمر مزعج بالفعل ..

= و لا أفهم بالأساس سبب انتشار تلك المواقع و الفيديوهات و شعبيتها .. !!

= يمكنني الإجابة على هذا التساؤل على ما أعتقد ..

= أرجوك أجبني ، علّني أكتشف طريقة كي أغير هذه العادة السامة و المدمرة في حياة ماريانا ..

= لهذه المواقع **3** مزايا تستقطب المراهقين بسهولة يا صديقي ..

= الأولى ؟!

= الأولى هي أنها مسلية و مضحكة فتقضي على الملل ، و هو شيء يعاني منه المراهقون بشكل عام بسبب غياب المسؤوليات و قوانين المنزل الصارمة و هموم الدراسة ..

= منطقي للغاية ، و الثاني ؟!

= الثاني هو حبّ الشهرة .. فهؤلاء الذين يظهرون في الفيديوهات لديهم ملايين المتابعين ، بمعنى أنهم أصبحوا مشهورين بأيسر طريقة و أسرع وقت ، و بما أن هوس الشهرة يداعب عقول جميع البشر عامة و المراهقين خاصة ، فإنهم يرون هؤلاء كمثل أعلى يريدون السير على خطاه .. و بنفس السياق تأتينا الميزة الثالثة و هي أن هذه المواقع تحقق أرباحاً جنونية لأصحابها بأقل جهد ممكن ، و حلم الثراء السريع مشترك بين جميع البشر بكل تأكيد ..

= كلام سليم لا غبار عليه ، و كدليل عليه فابنتي ماريانا بدأت تصرّ على والدتها كي تساعدها على

تأسيس قناة خاصة بها على مواقع التواصل الاجتماعي لنشر محتوى فارغ مشابه بغية تحقيق الشهرة و الثراء

، إننا أمام معضلة أخلاقية حقيقية ستدمر المجتمعات إن لم يتم وضع حدّ حاسم و حازم لها ..

= بالفعل ، و أنا شخصياً أرى إدمان المراهقين على مشاهدة هذه الفيديوهات لا يقل خطورة عن إدمان المخدرات ، بل إنه أخطر منه كونه منتشر على نطاق أوسع منه بكثير و غير مكلف و بلا رقيب عليه ..

= لم تكن أجيالنا هكذا ، كانت أحلامنا سامية و عميقة ، ما الذي يحدث لهذه الأجيال ..؟!

= أعتقد أنك مخطئ قليلاً في كلامك هذا يا صديقي ..

= و لماذا ؟

= لأن حلم الترفيه و الشهرة و الثراء حلم قديم قدم البشرية و عابر للزمان و المكان و المجتمعات .. لكنّ عولمة الأرض بفضل الإنترنت هو ما جعل هذا الحلم يتفشى كعدوى بين الناس بشكل أوسع ..

= لكنني لا أذكر قيام الناس بأمور تافهة من قبل بغية تحقيق هذا الحلم ..

= هذا مرتبط بتعريفك للمحتوى التافه ..

= أي شيء لا يفيد الناس بشيء ..

= في هذه الحالة التاريخ يعجّ بأشخاص قاموا بأمور غير مفيدة بل وصل بعضها إلى مرحلة الجنون و

المخاطرة بالحياة بغية الشهرة ..

= أعطني مثالاً إن أمكن ..

= بل أمثلة .. مثلاً قيام الساحر المجري **هاري هوديني** بمحاول تحرير نفسه من قفص كان مقيداً فيه بسلاسل حديدية بعدما أُلقيَ في نهر قبل أكثر من قرن ، فبماذا استفاد العالم من قيامه بذلك ؟

= لا شيء على ما أعتقد ..

= تماماً ، ثم لدينا رجل المخاطرات الأمريكي **إيفل نيفيل** و مغامراته الكثيرة كالتحليق بدراجته النارية فوق **10** مركبات في العام **1971** بدون فائدة تذكر أيضاً ، و في العام **1974** مشى الفرنسي **فيليب بوتي** على سلك معدني رفيع بين برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك على ارتفاع **400** متر ، فبماذا استفاد الناس من إنجازه هذا ؟

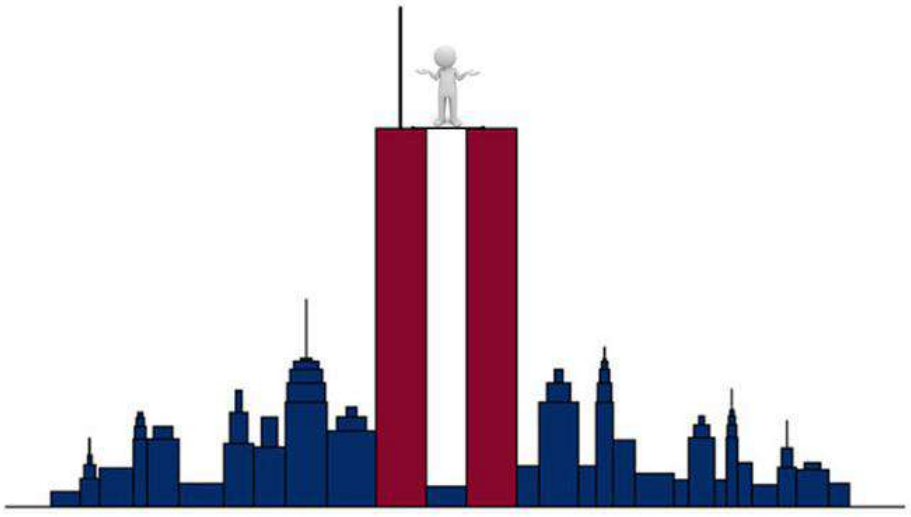

= لا فائدة واضحة ..

= ربما تسلية وجيزة كحال فيديوهات مواقع التواصل الاجتماعي الراهنة ، لكن المؤكد أن **هاري و إيفيل و فيليب** حققوا الشهرة و الثروة من أفعالهم هذه ، فهم المستفيد الوحيد منها .. مما يؤكد أن حلم الشهرة ليس أمراً طارئاً على هذا الجيل ..

= لكن لماذا الناس مهووسون بالشهرة لدرجة تدفعهم للقيام بأمور مجنونة و مهددة لحياتهم ..

= هذا سؤال بالغ الأهمية يا صديقي و يعود إلى كوكبة من الأسباب .. تعال لأحدثك أكثر عن وهم الشهرة ..

*****

كثيراً ما نشاهد أشخاصاً يظهرون عراة في فيديوهاتهم أو يهينون أنفسهم بمواقف تهريجية كغمر الوجه في كعكة أو غيرها ، و بلا هدف من ذلك سوى زيادة عدد المتابعين بغية الشهرة .. و هذه الهوس بالشهرة هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**وهم الشهرة**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل الشهرة مذهلة لهذه الدرجة التي يتخيلها الناس حتى يقوموا بأمور تافهة أو مهينة أو غريبة أو مجنونة قد تهدد حياتهم بالأساس ؟)

و الجواب المبدئي الوجيز على هذ السؤال هو :

(ربما كان للشهرة بعض المزايا الجميلة بالفعل ، إلا أنها وهم كبير على أرض الواقع ، وهم لا يكتشفه الإنسان إلا بعد أن يصبح مشهوراً)

ما معنى ذلك ؟ هذا ما سنحاول مقاربته بشكل أعمق و أدق عبر **4** زوايا هامة للغاية :

① **أنواع الشهرة ..**

② **وهم الشهرة ..**

③ **مزايا الشهرة ..**

④ **الوجه القبيح للشهرة ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نحلل كل زاوية منها على حدة كي نسقط ورقة التوت عن جسد الشهرة الحسناء التي يقع في غرامها الجميع قبل أن يكتشفوا الحقيقة المخفية بأنها (**ماليكان**) لا أكثر !!

☆ أنواع الشهرة :

في الحقيقة للشهرة بالمفهوم الأشمل نوعان رئيسيان يجب التمييز بينهما للأهمية القصوى :

❁ **الشهرة الإيجابية** : و تعني شهرتك بإنجازك لأمور

إيجابية تفيد البشر و تحسّن حيواتهم ، و غالباً ما تتطلب هذه الشهرة سنوات طوال من الكدّ و العمل لإنجاز شيء قيّم و مفيد للبشرية ، بمعنى أن الإنسان عليه أن يحترق جهداً كي يرى الآخرون نوره لينطبق عليه القول المأثور :

(أشهر من نار على علم)

كشهرة العلماء مثلاً أو الفنانين بمختلف توجهاتهم الذين يتركون أعمالاً هادفة أو صنّاع المحتوى الذين يقدمون محتوى بنّاء بأي شكل من الأشكال أو الزعماء الذين يبنون الأوطان و غيرهم .. و كما يقول المثل الشعبي **التركي** :

(لا يحوز المرء الشهرة وهو على سريرٍ

من ريش)

و الشهرة الإيجابية غالباً هي من تطلب الإنسان و تسعى إليه و ليس هو من يطلبها ، و هي أمر حميد في الحياة لأنها تؤكد أنك شخص مفيد للآخرين و تؤثر إيجابياً عليهم

❁ **الشهرة السلبية** : و هي شهرة طارئة و سريعة و سهلة التحقيق ناجمة عن الفضائح أو التهريج أو القوة المفرطة أو غيره و لا تقدم أي فائدة للبشر .. و الشهرة بمعناها السطحي أي معرفتك من قبل عدد كبير من الناس أمر تافه و بسيط يمكن لأي إنسان تحقيقه خلال ثوانٍ .. لا تصدقني عزيزي القارئ ؟ انزل الآن إلى الشارع أمام منزلك و قم ببعض الحركات الغريبة المضحكة و سأضمن لك أن يبقى اسمك خالداً في حيّك إلى الأبد ..

هذا هو ثمن الشهرة السلبية البخس يا صديقي ، و هذا ما يعتمده بعض المغنيين أو الممثلين أو صناع المحتوى على مواقع التواصل أو الديكتاتوريين و غيرهم ، القيام بأمور لا أخلاقية أو تافهة تحثّ البشر على الحديث عنها فيشتهروا ببساطة ، لكن ما صعوبة القيام بذلك ؟! و الشهرة السلبية شيء خطير للغاية يجب على جميع الناس محاربته لأنه يفسد عقول الأطفال و المراهقين كما حدث مع صديقتنا ماريانا في مقدمة مغالطتنا و يدفعهم إلى سلوك طرق مختصرة و سطحية للشهرة و الثراء لا تبني شخصيةً أو عقولاً ، فكيف لها أن تبني أوطاناً و تاريخاً بالأساس !؟ و كما يقول الأديب الإسباني **سرفانتيس** :

(الشهرة بلا فائدة لا تساوي شيئًا)

☆ وهم الشهرة :

عندما يكون الإنسان مغموراً لا يعرفه سوى عائلته و معارفه المعدودين ، يبدأ حلم الشهرة يداعب عقله :

(أريد أن أصبح معروفاً من قبل الملايين)

فيبدأ بالتخطيط لتحقيق هذا الهدف الذي ربما يكون بالطريق المنطقي و السليم عبر تحقيق إنجازات إيجابية تفيد الآخرين و تحقق شهرته بنفس الوقت ، أو بالطريق الخاطئ عبر القيام بأفعال غريبة أو مجنونة أو تافهة أو

مهينة تجعل الناس يتحدثون عنه بسلبية .. و لاحظ عزيزي القارئ أنه أصبح مشهوراً في الحالتين ، فالشهرة ليست تقييماً لجودة عملك ، بل مجرد فكرة أن تصبح معروفاً من قبل عدد كبير من الناس عكس الغالبية الساحقة من المجتمع ..

تأتي هنا الفكرة الأهم في مغالطتنا و هي اللحظة التي يصل فيها الإنسان إلى مرحلة الشهرة ، و هنا لابد من التطرق إلى مفارقة غريبة و مهمة تدعى (**مفارقة البرسيم**) و التي تنصّ على التالي :

(تميل زهرة البرسيم إلى التكون من 3 وريقات ، لكنها أحياناً و على نحو غير اعتيادي تأخذ شكلاً شاذاً من 4 وريقات مما يجعلها مميزة للغاية في الحقل..

تخيل هنا حقلاً يحوي عدداً لا نهائياً من زهور البرسيم الطبيعية و بينها تنتشر نسبة ضئيلة من الزهور الشاذة ، فهل ستبقى هذه الزهور الشاذة نادرة ؟!

بالطبع لا فباعتبار أن الحقل يحتوي عدداً لا نهائياً من زهور البرسيم فهو سيحتوي عدداً لا نهائياً من زهوره الشاذة أيضاً في مفارقة محيّرة !!)

و هنا مربط الفرس في مفهوم الشهرة الوهمية ، فما إن تطأ قدماك عالم الشهرة و الأضواء ، ستبدأ بملاحظة أن عدد المشاهير في الكوكب هائل .. بمعنى أن **شهرتك بعد تحققها ستبدأ بالتبدد بين هذه الأعداد الكبيرة من المشاهير** ليفقد تميزك كورقة برسيم رباعية معناه فتعود و ترى نفسك إنساناً عادياً كغيرك لم يحقق شيئاً جديداً أو مميزاً ! ليبقى في الميدان نوعية عملك الذي شهرك لا غير ، فإن كان إيجابياً و مفيداً للآخرين فستشعر بالوجود و الفاعلية (ليس بسبب شهرتك بل بسبب فائدتك) ، أما إن كان سلبياً بلا فائدة فستشعر بنفسك فارغاً و بلا معنى رغم شهرتك الجديدة الحاصلة ، فالشهرة عزيزي القارئ **مجرد وهم لن تفهمه إلا بعد أن تمتلكه ، تماماً كظاهرة السراب ، لن تعرف أنه وهم غير موجود إلا عندما تبلغه ..**

☆ مزايا الشهرة :

للشهرة بلا شك مجموعة من المزايا و إلا لما كانت هوساً و هاجساً للجميع لاسيما الشباب منهم كما وصفها الأديب البريطاني **لورد بايرون** :

(الشهرة عطش الشباب)

و لعل أهم هذه المزايا :

❁ **الشهرة إحساس بالوجود** : فالشهرة قد تعوض في كثير من الأحيان مشاعر النقص عند البعض الذين يرون أنفسهم بلا تأثير على المحيط من حولهم ، فتحقق الشهرة لهم توازناً نفسياً بشعورهم أنهم باتوا يمتلكون هذا التأثير .. و هذا ما يؤكده **برينشتاين** في أبحاثه حول علم النفس بأنّ الرغبة في الشهرة التي قد يسعى وراءها بعض الناس هي لإخفاء إحباط أو اضطراب نفسي غير مشخّص لديهم ..

و يقول **جيفري هانكوك** أيضاً و هو أستاذ التواصل بجامعة ستانفورد ، أنّ تطبيق فيسبوك على سبيل المثال له تأثير إيجابي كبير على تقدير الذات لدى طلاب الجامعات ، لأنه يظهر تفاعل الآخرين مع شخصهم و أفكارهم فيشعرهم ذلك بالوجود و الفاعلية و بشيء من الشهرة ، مما يفسر علمياً سبب تعلق الناس الكبير

بهذا التطبيق ..

❁ **الشهرة إحساس بالتميز** : و هذا البند بسيط للغاية ، فغالبية الناس في المجتمع مغمورون و قلة مشهورون ، لذلك فالشهرة تمنحنا شعوراً بالتفوق و الأفضلية عليهم لأننا حققنا شيئاً يصعب عليهم تحقيقه ، بغضّ النظر عن أنّ الشهرة في أيامنا هذه باتت أسهل بكثير مما مضى ، إذ يكفيك أن تقوم بفضيحة ما كي تشتهر على صفحات الإنترنت !! ..

❁ **الشهرة مفتاح لفرص عمل جديدة** : فعندما يشتهر الإنسان يبدأ المنتجون و مديرو الأعمال و المستثمرون بالتواصل معه لإبرام عقود معينة معه أو طلب الترويج لمنتجاتهم بالدعاية مثلاً أو لاحتكار إنجازاته ..

❁ **الشهرة مدخل إلى الثراء** : إنّ العلاقة بين الشهرة و الثراء مثبتة بالإحصائيات و الأرقام .. و خير دليل بسيط على ذلك هو مواقع التواصل الاجتماعي التي تحدثنا عنها في مقدمة المغالطة و التي تحقق أرباحاً جيدة لأصحابها و تزداد الأرباح كلما زادت الشهرة و عدد المتابعين بشكل مطّرد ..

❁ **الشهرة ورقة توت تستر العيوب** : الشهرة تمنح الإنسان نوعاً من الحصانة .. فالناس تتجنب غالباً لفت

النظر إلى عيوب المشاهير كي لا يُفسر كلامهم كنوع من الغيرة من شهرتهم .. و من زاوية أخرى فالناس تنظر إلى المشاهير كأشخاص ناجحين بمعنى أنهم يتمتعون بلا شك بخصال جيدة كانت السبب في شهرتهم ، فيشرعون بعد إيجابياتهم و التغاضي عن سلبياتهم .. كما قال الشاعر الكبير **أحمد شوقي** :

تغطي الشهرة على العيوب

كالشمس غطى نورها على نارها

☆ الوجه القبيح للشهرة :

للشهرة جانب مظلم للغاية لا يعرفه إلا من ولج عالمها ، و هو أشبه بمتاهة حقيقية تنهك النفس و التفكير و تسبب القلق و الأرق ، و كمثال على هذا الجانب نذكر:

❁ **زوال الخصوصية** : و هذا أبشع جانب للشهرة ، حيث تصبح حياتك الخاصة مستباحة أمام الجميع و تفقد لذة

الانفراد بنفسك بهدوء و صفاء .. و توضع حياتك في محرق الإعلام و الصحافة فيتم تناول جوانب شخصية للغاية منها من غير المناسب التطرق إليها .. و جميعنا يعلم تطفل الصحفيين على حياة المشاهير اليومية (**البابارازي**) و إعاقتهم لحرياتهم و عفويتهم ، و كأنك تعيش في **برنامج واقع** مدى الحياة ..

و للأسف فهذا التطفل قد يصل ببعض المشاهير إلى الاكتئاب و ربما الانتحار بل إنه أودى بحياة البعض فعلياً كقصة **الأميرة ديانا** الشهيرة مثلاً .. لذلك نجد نجم الفورمولا **1** الألماني **مايكل شوماخر** يقول :

(أطفالي غير معروفين، و أعتقد أن هذا مهم جداً..

لقد عاشوا حياةً طبيعية حتى الآن ، و سوف

يستمرون هكذا ، أشعر أنه ينبغي أن تتاح لهم

إمكانية عيش حياة حرة دون عبء الشهرة

التي صنعتها)

❁ **المحاربة و التشويه بدافع الغيرة** : كما قلنا آنفاً الشهرة حالة يعيشها قلة من الناس ، لذا يثير هذا نحوهم عاصفة من الغيرة من محيطهم العاجز عن تحقيقها .. و جميعنا نعرف التطور الطبيعي لهذه الخصلة السامة :

(حسد ثم غيرة ثم حقد ثم تشويه ثم أذية ثم تلفيق)

و لا تنغلق الدائرة ربما إلا بإيصال المشهور إلى حافة

الاكتئاب و الألم و العجز عن الاستمرار أي تحقيق غايات الحاسدين بالنهاية ، لذا إن أردت أن تصبح مشهوراً عزيزي القارئ فعليك أن تكون قوياً و واثقاً من نفسك بما يتناسب مع مستوى الشهرة الذي تطمح له و إلا طحنت بين أنياب الحاسدين ..

❁ **تسليط الضوء على العثرات** : قد تكون جالساً بين أصدقائك في السهرة و تتفوه بكلام غريب أو غير مناسب و ربما غبي فيضحك أصدقاؤك قليلاً و ربما تشاركهم الضحك و تتابعون السهرة ، أما إن كنت مشهوراً و زلّ لسانك بكلام غير ملائم فستضجّ الصفحات و القنوات و الجرائد بذلك كما لو أنك أول شخص يخطئ في التاريخ .. لاسيما أنّ مصدر رزق البعض قائم حرفياً على تداول فضائح المشاهير و زلاتهم !!

❁ **الإتجار الديني و السياسي بك** : فبعض الناس الذين يصلون لمستويات عالية من الشهرة يتم الضغط عليهم من جهات دينية أو سياسية للترويج لأفكارهم و إظهارهم بمظهر برّاق أمام المجتمع سواء برضا المشاهير كاستفادة من تلك الجهات أو ضد قناعاتهم خوفاً منهم و من أذاهم المحتمل .. و الدين و السياسة متاهة حقيقية متى دخلها المشاهير ضاعوا في ثقب أسود لا قرار له و المحظوظ من يصادف نادراً ثقباً أبيض يخرجه منه .. و لا ننسَ مثلاً قصة الممثلة الشهيرة الحسناء **مارلين مونرو** التي دخلت بعلاقات مع الرئيس الأمريكي **جون كينيدي** و شقيقه السيناتور **روبرت كينيدي** و أودت بحياتها في النهاية كما يزعم كثيرون ..

❁ **فخّ الغرور** : أكبر خطايا الإنسان هي الغرور بلا

شك ، فهي أول خطوة لخسارة كل شيء .. و أضواء الشهرة برّاقة تعمي البصر و البصيرة فيتورم الدماغ و يشعر المرء بالفوقية تجاه الناس العاديين و ينسى أنه كان منهم ذات يوم ، و الأهم أنه في الحقيقة لا زال منهم **فشهرته كلها مجرد أرقام أكبر أصبحت تعرفه لا أكثر** كما تحدثنا آنفاً في بند وهم الشهرة و ورقة البرسيم ، فما الذي تغير في حياته من الأساس بشهرته الوهمية هذه ؟! و أفضل توصيف للشهرة بأنها كأس من النبيذ متى شربه الإنسان سيسكر لا محالة ، و هذه **كأس على جميع المشاهير** ، و السؤال الأهم هو كم ستستمر فترة السكر هذه قبل أن يصحو المشهور على حقيقة أنه إنسان عادي كغيره لكن يعرفه بشر أكثر لا أكثر !!؟

❁ **الماضي الأسود** : للطائرات صندوق أسود يتم البحث عنه في حوادث التحطم لمعرفة سبب الكارثة باسترجاع آخر ذكريات الراكبين على متنها .. و **للمشهور بدوره صندوق أسود خاص به و هو ماضيه** ، لكن في حالة الشهرة يبدأ الإعلام و الصحافة بنبش هذا الماضي لاستخراج الصندوق الأسود من فضائح المشاهير قبل الشهرة أو سلبياتهم أو كلامهم غير المسؤول في ماضيهم و غيره .. لذا فالمشاهير سيدفعون مباشرةً متى بلغوا الشهرة ضريبة هائلة و

هي فتح دفاتر الماضي و التنقيب فيها عن كل شيء أسود و معيب لفضحه على الملأ ، و ربما يتم استخدامه كورقة ضغط و ابتزاز عليهم لتحصيل مكاسب مادية أو سياسية أو دينية و غيرها منهم ..

و بعد كل ما ذكر ، إن كنت تحلم عزيزي القارئ بأن تصبح مشهوراً ذات يوم فتأكد أن خلف مزايا الشهرة الجميلة تقبع قائمة سوداء طويلة من العيوب القاتلة التي قد تحيل حياتك الهانئة اليوم إلى جحيم حقيقي بعد شهرتك ، فاحذر جيداً مما تتمناه ، و تذكر دائماً مقولة **فولتير** الشهيرة :

(**الشهرة حمل ثقيل**)

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**وهم الشهرة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا مستعد لفعل المستحيل كي أصبح مشهوراً ، فالشهرة جميلة للغاية ..

بل أن نقول :

= الشهرة سراب يراه فقط البشر غير المشهورين لكن متى ما تمكن أحد من بلوغه بأن يصبح مشهوراً فسيكتشف أنه غير موجود ، و بأنه مشهور كغيره من ملايين المشاهير حول العالم ، و لا تغيير للشهرة على حياته سوى أنه بات معروفاً من قبل عدد أكبر من البشر لا غير ، و ربما كانت للشهرة بعض المزايا لكنها تحمل في طياتها قائمة طويلة من السلبيات التي تعكر صفو الحياة و ربما تودي في النهاية بالحياة نفسها ..

تميل الحيوانات المتوحشة المفترسة التي تسكن ظلمات أعماق المحيطات إلى إغراء فرائسها بتعليق ضوء أمام فمها فتنجذب إليه الأسماك الصغيرة بإرادتها ظناً منها بأنه نور ساحر في عتمة الأعماق و ما إن تقترب منه حتى تفتح الأسماك المتوحشة فمها و تبتلعها ، و هذا هو حال أضواء الشهرة يا صديقي ، تغريك و تجذبك إليها و ما إن تطأ قدماك عالمها حتى تتلقفك متاهتها لتضيع

في ظلمات سلبياتها .. و الحقيقة المرّة المغيبة أنّ عالم الشهرة يقبع فقط في أعماق الحياة المظلمة حيث تحيط بك الوحوش من كل حدبٍ و صوب ، فإن أمكن لك أن تتجنبه فافعل ..

مغالطة الجزئيات

الحاكمة

(و تحسبونه هيناً)

في عام **1912** وقف الجميع يتأمل بذهول السفينة العملاقة بحجمها الهائل و فخامتها المدهشة ، حيث أشرف على بنائها خيرة المهندسين ، فضلاً عن ذلك توفرت فيها معايير سلامة عالية لدرجة لقبتها معها الصحافة الإنجليزية (**السفينة التي يستحيل إغراقها**) ، لكن خلال رحلتها الأولى ما بين بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، وبسبب عدد من الأخطاء حدث ما لم يكن في الحسبان لتغرق السفينة التي يستحيل إغراقها في عرض المحيط الأطلسي متسببةً في واحدة من أسوأ الكوارث البحرية على مر التاريخ البشري ..

لكن لماذا غرقت السفينة التي لا تغرق ؟

قبيل انطلاقها من **ساوثهامبتون** باتجاه **نيويورك** أقدم المشرفون على الرحلة على حركة مفاجئة بتغيير الضابط الثاني **دافيد بلير** بزميله **تشارلز لايتولر** و الذي تميز بخبرته في مجال الرحلات البعيدة عبر المحيط الأطلسي .. أثار قرار الاستبعاد من الرحلة الأولى للسفينة غضب دافيد بلير، الذي لم يتردد في مغادرة المكان مرتكبا خطأ كارثياً ألقى بظلاله على مستقبل السفينة التي يستحيل إغراقها..

أثناء مغادرته المكان بشكل سريع، نسي دافيد بلير (و ربما تناسى عمداً من باب الانتقام بسبب استبداله بشخص آخر) أن يسلّم مفتاح خزانة المناظير إلى

زميله تشارلز لايتولر ، لتنطلق السفينة على إثر ذلك نحو نيويورك في ظروف سيئة حيث حرم المراقبون على متنها من المناظير..

بعد عدة أيام من إبحارها ، تلقت السفينة تحذيرات عديدة حول وجود أعداد هائلة من الكتل الجليدية بالجزء الشمالي للمحيط الأطلسي ، فقبيل ساعات من الكارثة راسلت **الباخرة ميسابا** السفينة المبحرة محذرةً إياها من مغبة الإبحار ليلاً بسبب ضعف الرؤية.. لكن المسؤولين عن قسم الاتصالات اللاسلكية بالسفينة تجاهلوا هذه التحذيرات..

قرابة منتصف الليل من نفس اليوم، لاحظ المراقب على متن السفينة **فريدريك فليت** وجود جبل جليدي على مقربة من السفينة ليقوم على الفور بقرع جرس التحذير.. على إثر ذلك، حاول المسؤولون عن السفينة تغيير مسارهم لكن ذلك كان متأخراً جداً ، حيث كانت السفينة

على مسافة جد قصيرة من الجبل الجليدي لترتطم به لاحقاً متسببةً في كارثة بحرية أودت بحياة نحو **1500** راكب و غرق السفينة التي لا تغرق ..

بناءً على التحقيقات التي أجراها المسؤولون الأميركيون حول حادثة غرق السفينة ، تبين أنه كان من الوارد جداً تجنب وقوع الكارثة في حال توفر المناظير لدى المراقبين ، فبفضل ذلك كان يمكن للمراقبين أن يرصدوا الكتلة الجليدية من على بعد مسافة هامة، ما سيسمح للسفينة بتغيير مسارها في الوقت المناسب .. وقد أكد المراقب فريدريك فليت، الذي نجا من الكارثة، أنه كان قادراً على ملاحظة الجبل الجليدي من بعد مسافة هامة في حال توفر منظار لديه ..

هذه الحادثة هي حادثة غرق السفينة الشهيرة **تايتانيك** باصطدامها بجبل الجليد و غرق قسم كبير من ركابها و التي خلّدها فلم التايتانيك السينمائي الشهير ...

و كما رأينا ، كارثة من أكبر كوارث وسائط النقل في التاريخ حدثت بسبب إهمال بسيط بتسليم مفاتيح جهلاً أو عمداً ، فالجزئيات في حياتنا تحكم المشهد الأكبر ، و فساد هذه الجزئيات ينتهي بكوارث ضخمة سيخلدها التاريخ بلا شكّ ..

*****

أثر الفراشة ...

مصطلح أوجده عالم الأرصاد الجوية الأمريكي **إدوارد لورينتز** أول مرة في عام **1963**، ثم انتشر حول العالم

باسمه كأثر الفراشة بالضبط ليشكل إعصاراً فكرياً لاحقاً ، و أجمل ما في هذا المصطلح أنّ شيوعه هذا لا ينقص من صحته و عظمته و خطورته .. بل هو كالنبيذ كلما مر عليه الزمن يتعتّق أكثر و يصبح أكثر لذّة بتفسيره للظواهر الجديدة في الحياة تباعاً .. و هذا المصطلح يقوم على مبدأ بسيط :

(أشياء صغيرة للغاية في الحياة تتحكم بظواهر كبرى تغير العالم ، تماماً كرفرفة جناحي فراشة في بقعة من العالم قد تسبب اهتزازات تتلاعب بالجوّ و المناخ بحيث تؤدي إلى إعصار في بقعة أخرى)

كثيرٌ من الناس يشكك بهذا المبدأ و يعتبره محض مبالغة لا أكثر ، فيؤمنون بأن الأمور العظيمة المؤثرة في الحياة تسببها أحداث عظيمة بدورها ، و أنه لا يمكن لأمور بسيطة أن تحدث كوارث على أرض الواقع بشكل بديهي لأن لكل فعل رد فعل يساويه بالمقدار

فكيف يمكن لرفرفة بسيطة من جناحي فراشة أن يسبب إعصاراً مثلاً ؟ فهل هذا الكلام منطقي و سليم بالكامل أم أنه مجرد مغالطة جديدة و أثر الفراشة واقع و حقيقة في الحياة يؤكد أن الجزئيات أحياناً تتحكم بالمشهد الأكبر؟! هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية للوصول إلى نتيجة مرضية في هذا الصدد ، و سننجز غايتنا بتحليل مغالطتنا من **5** زوايا غاية في الأهمية :

① **و تحسبونه هيناً ..**

② **تأثير الدومينو ..**

③ **كيف تحكم الجزئيات الحياة ؟ ..**

④ **أمثلة عن الوجه السلبي لأثر الفراشة..**

⑤ **أمثلة عن الوجه الإيجابي لأثر الفراشة..**

فهيا بنا عزيزي نقارب هذه الزوايا بتفاصيلها الجزئية التي ربما تسبب إن أغفلناها أو تجاهلناها أو شوهناها ، كوارث ثقافية كبيرة تزيف حقائق الحياة العظمى ..

① و تحسبونه هيناً :

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و تحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم)

و هذه الآية تنطوي على فلسفة أثر الفراشة بالضبط ، حيث يؤكد البارئ بأن بعض الأمور البسيطة (من وجهة نظر الناس الضيقة) هي أمور عظيمة و خطيرة للغاية لأن آثارها اللاحقة مرعبة و تسبب كوارث .. تماماً كحادثة غرق سفينة التايتانيك ، فنسيان مفتاح بسيط جهلاً أم عمداً نجم عنه غرق أكبر سفينة في عصرها و غرق المئات على سطحها ..

و كثيراً ما يعتنق البشر مبادئ أو يقولون كلاماً أو يفعلون أموراً باستخفاف و يعتبرونها تافهة بلا تأثير ، لكنها بالنسبة للبارئ ذات معنى عميق و كبير مع نتائج كارثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، و أبسط مثال على ذلك هو قيام بعض الناس بالتنمر على الآخرين و الترويج **لإشاعات سلبية و مهينة** تشوه صورتهم في المجتمع من باب **التسلية** أو **المنفعة** أو **الاستقواء بعرض قوتهم** ، مستخفين ربما بهؤلاء الناس بسبب غياب الثروة أو الجاه أو السلطة أو وسائل الدعاية التي تدافع عنهم ، و هذا الأمر البسيط بالنسبة لهؤلاء هو أمر جلل بالنسبة للبارئ و يتدخل بنفسه كي يدافع عن هؤلاء المستضعفين (و ليس الضعفاء) و يأخذ حقهم بنفسه لتصويب ميزان العدل في الحياة ، لأن تغاضيه عن هذه الأمور البسيطة سيؤدي إلى تفاقم التزوير و الظلم بتأثير الفراشة ..

② تأثير الدومينو :

هذه الفلسفة تدعم فلسفة أثر الفراشة و توضحها أكثر، فكما قلنا بأنه لكل فعل رد فعل **يساويه بالمقدار** ، إذاً كيف يمكن لرفرفة جناحي فراشة أن يسبب إعصاراً ضخماً ؟! و الحقيقة أن هذا يتم عبر عملية التضخيم المتتابعة حيث ينجم عن الفعل سلسلة من ردود الأفعال المتصاعدة تدريجياً ، تماماً كحال أحجار الدومينو المصطفة خلف بعضها و التي يزداد حجمها تدريجياً ، فإن أنت أسقطت أول حجر صغير منها (**الفراشة**) أدى إلى إسقاط الحجر الأكبر الذي يليه و هكذا .. حتى يسقط في النهاية الحجر الأخير الأضخم (**الإعصار**)

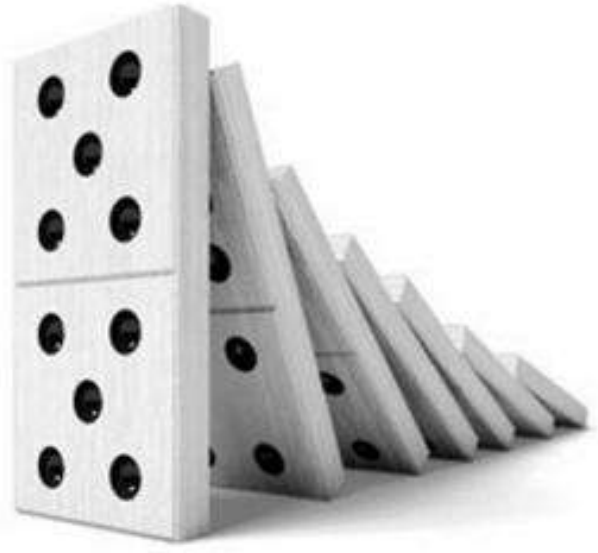

و في جسد الإنسان مثال بسيط لكن مناسب للغاية يوضح هذه الفكرة و هي العظيمات السمعية الثلاثة (**المطرقة و السندان و الركابة**) الموجودة في الأذن

الوسطى و تصل **غشاء الطبل** بالأذن الداخلية (**القوقعة**) و وظيفة هذه العظيمات هي تضخيم الصوت الوارد إلى غشاء الطبل عبر رفع الاهتزازات بالتدريج حتى يصل إلى مرحلة يسمع فيها بشكل مناسب في الدماغ ..

③ كيف تحكم الجزئيات الحياة :

الجزئيات الحاكمة شائعة للغاية في العالم من حولنا و تحكم تفاصيل حياتنا اليومية، نذكر منها هذه الأمثلة الثلاثة من باب الإيضاح :

۞ تفاصيل بسيطة تكتب الحياة أو الموت :

فلعل تفصيل صغير لا تكترث له سينقذك من الموت ، أو على العكس ربما أدى تفصيل صغير آخر إلى فقدان حياتك ..

و في تجربتي الشخصية اختبرت هذا البند بشكل عملي و واضح للغاية خلال عملي كطبيب في أحد مشافي مدينتي الأم (اللاذقية) ، و أرى أنّ من المناسب ذكرها هنا لأنها ملائمة تماماً لإيضاح هذه النقطة :

◉ بقعة شاي أنقذتني من الموت :

في فترة من حياتي عملت كطبيب في أحد المشافي الفرعية في مدينتي ، و كانت مسؤولياتي في ذلك المشفى مرعبة و غير منطقية أو عادلة على الإطلاق كحال بقية زملائي ، فكان يتوجب عليّ أن أدير شؤون الإسعاف و العناية الإسعافية و **3** طوابق للأمراض الباطنة و العناية الباطنية بدورها .. بغياب أي مقيم أمراض باطنة آخر يعينني و بغياب الأخصائيين أيضاً ، رغم أنه لم ينقضِ على اختصاصي بالأمراض الباطنة سوى **6** أشهر فقط ، و هذه مقامرة حقيقية بأرواح البشر ، فلو افترضنا مثلاً وصول حالة إنعاش إلى العناية الإسعافية و حدوث حالة إنعاش أخرى في العناية الباطنية ، فعليّ للأسف أن أفاضل بين الحالتين و اختيار إحداها لمحاولة إنقاذها !!

أذكر تماماً أنه في فجر أحد الأيام و بينما كنت أغطي إسعاف المشفى ارتفع في المشفى نداء طوارئ من العناية الباطنية بسبب توقف قلب مريض هناك .. كنت عندئذٍ لا أرتدي معطف الأطباء الأبيض بسبب تلوثه

ببقع شاي مساءً عندما كنت في العشاء.. وصلت إلى العناية الباطنية و كان هنالك مريض بعمر التسعين يعاني من مختلف الأمراض المستعصية و قد توقف قلبه ، حاولت إنعاشه بكل ما أملك من إمكانيات و لنصف ساعة متواصلة دون جدوى ، فقلبه لا يستجيب ، أعلنت وفاته و كتبت تقريري في إضبارته الصحية ثم خرجت من العناية عائداً لأداء واجباتي في قسم الإسعاف ، و في دهليز العناية التقيت بشابين يحملان فنجاني قهوة و متجهين إلى العناية بعكس طريقي ، لم أتعرف عليهما و لم يتعرفا هما عليّ كطبيب بدورهما بسبب عدم ارتدائي لمعطفي .. مررت بطريقي إلى غرفة إقامة الأطباء القريبة كي أحضر معطفي البديل و هنا رنّ جرس الهاتف ، و كانت على الطرف الآخر ممرضة العناية الباطنية و صوتها يرتجف من الخوف ..

- أيها الطبيب أين أنت ؟
- في غرفة الإقامة ..
- ابقَ مكانك و لا تغادرها ..
- لماذا ؟!
- لقد وصل ولدا المريض الذي توفي بعد أن أحضرا القهوة من كافتيريا المشفى ، و عندما أخبرتهما بموته أخرجا مسدسين و لقماهما و سألا عن الطبيب بغية الانتقام منه و قتله .. ابق مكانك فحياتك في خطر !! ..

تماماً عزيزي القارئ كما تخيلت ، الشابان اللذان التقيت بهما في دهليز العناية هما ولدا الرجل المتوفي ، و لو كنت أرتدي معطفي الذي انسكب عليه الشاي لتعرفا علي و سألاني عن والدهما فأخبرتهما أنه توفي فأطلقا الرصاص عليّ برعونة و خسرت حياتي بغياب الرقابة الأمنية عن المشفى و السماح لأي أحد أرعن بإدخال أي سلاح يريد إلى (المشفى) .. فبقعة شاي بسيطة أنقذت حياتي من ردة فعل همجية على وفاة والدهما بانتهاء حياته كنتيجة طبيعية لعمره و أمراضه و فشل إنعاشه !!

◉ موعد عاجل يسبق السيارة المفخخة بدقائق:

هذه القصة تتناول الأعداء الخارجيين للوطن على خلاف القصة السابقة التي تتناول أعداءه الداخليين من رعناء همج بلا رقيب .. في أحد الأيام و في ذات

المشفى ، كنت أجهز نفسي للمغادرة بعد انتهاء دوامي و تسليم مرضاي للطبيب الجديد ، اتصل بي طبيب زميلي كان يقلني معه بسيارته الخاصة و أخبرني أن أتعجل لأنه على موعد هام ، فأسرعت بالفعل في حزم أشيائي الشخصية و غادرنا المشفى بسيارة صديقي التي كانت مركونة في المرآب الممتلئ بالكامل بسيارات الموظفين ، غادرنا المشفى و على بعد أمتار من بوابته تجاوزتنا سيارة مسرعة تشق طريقها باتجاه المشفى فتوقعناها تقل أحد المرضى بحالة إسعافية كالعادة ، تابعنا طريقنا و بعد دقائق سمعنا صوت دوي انفجار هائل من المشفى ليتبين لنا لاحقاً أن السيارة التي تجاوزتنا كانت سيارة مفخخة و تم ركنها في المرآب مكان سيارة صديقي بالضبط ، أدى ذلك الحادث إلى تهشيم الواجهة الأمامية للمشفى مع عدد من الضحايا بين قتيل و جريح ، و لولا موعد صديقي المستعجل لكنا من بين الضحايا بلا شك!

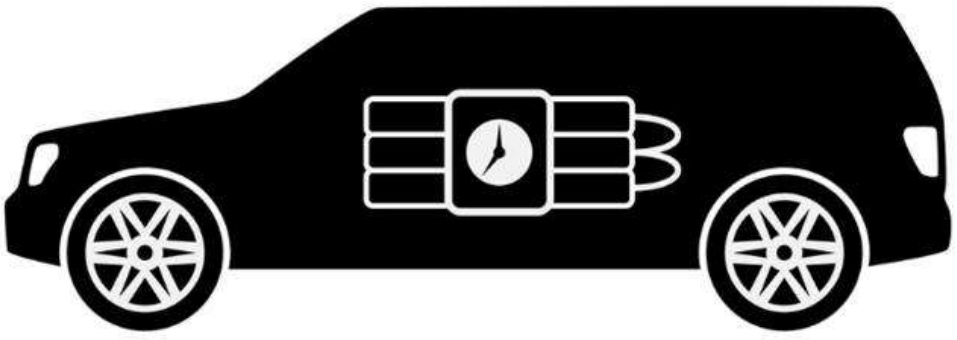

و كما ترى عزيزي القارئ ، في كلتي الحالتين جزئيات صغيرة غيّرت مصير إنسان بين الموت و الحياة ..

❁ **أعظم الحرائق** : فعقب سيجارة كفيل بإحراق غابات واسعة .. و في قصة حقيقية حدثت عام **2003** ، فقد ضاع صياد شاب من **كاليفورنيا** في غابات **مقاطعة سان دييغو** ، فأشعل ناراً في المعسكر طلباً للمساعدة .. لكنه سرعان ما فقد السيطرة على الحريق ليتحول إلى واحد من أكثر الحرائق تدميراً في تاريخ كاليفورنيا..

إذ تسبب بخسارة **1.2** مليار دولار و تدمير أكثر من **100** ألف هكتار و **2820** مبنى وتسبب في مقتل **15** شخصاً بمن فيهم رجل إطفاء.. !!

❁ **التوازن البيئي** :

فانقراض نوع من الكائنات الحية قد يؤدي إلى سلسلة من الاختلالات في نظام التوازن البيئي ينتهي بكوارث بيئية .. و خير مثال على ذلك هو انتشار **قردة البابون** بقوة في أفريقيا بسبب تراجع عدد **الأسود** فيها ،

فأصبحت تلك القردة خطراً داهماً على المحاصيل الزراعية و رعي الماشية أكثر من الأفيال بحد ذاتها ..

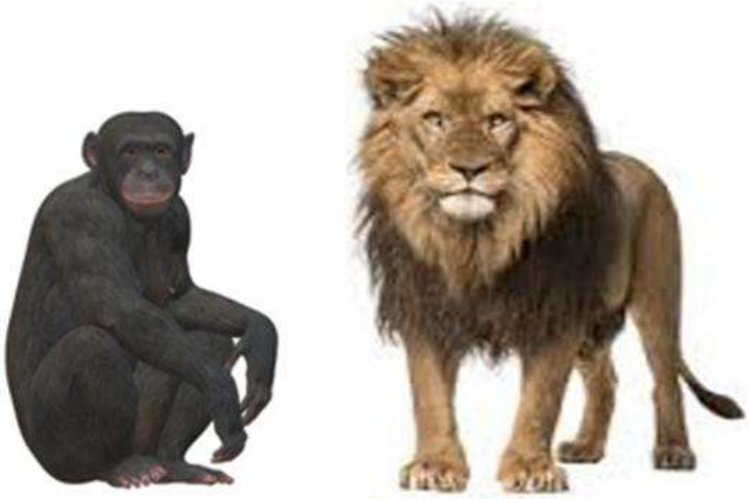

❁ كلمة واحدة تشعل عداوات و ربما حروب :

و لإيضاح هذه النقطة نورد هذه القصة الحقيقية من أرشيف التاريخ ، ففي أحد أيام شهر يوليو من عام **1945** ، و خلال اجتماع دول الحلفاء تم الإعلان عن بيان ينص على استسلام اليابان غير المشروط في الحرب العالمية الثانية ، وينص أيضاً على أنّ أي رد فعل سلبي من اليابان سوف يجلب الدمار لها، ثم تُرجم هذا البيان إلى اللغة اليابانية، وانتظر الحلفاء رد رئيس الوزراء الياباني **كانتارو سوزوكي** .. حين سأل الصحفيون رئيس الوزراء عن جوابه على قرار الاستسلام غير المشروط أجاب بكلمة واحدة فقط : (**لا تعليق**) و استخدم حينها المصطلح الياباني (**موكوساتسو**) ، و كانت هذه الكلمة سبباً في الهجوم

النووي الأمريكي على هيروشيما و ناكازاغي بعد أيام ، فتلك الكلمة لها مقابلات عدة في الإنجليزية منها (**الرفض أو التجاهل**) ، إلا أنّ وكالات الأنباء اليابانية اختارت المعني السلبي للكلمة و هو الرفض و التجاهل ، وترجمها البعض بأنه كلام (**لا يستحق التعليق**) ، بينما المقابل الأدق للكلمة هو (**لا تعليق**) .. فقد كانت نية الحكومة اليابانية من هذا الردّ هو كسب بعض الوقت تجنباً لانقلاب الجيش عليها ، و قد تمّ بالفعل إحباط عملية انقلاب ليلة رد الحكومة على الإنذار الأمريكي .. فتخيل عزيزي القارئ ترجمة خاطئة لكلمة واحدة كانت نتيجتها قنبلتين ذريتين و عشرات آلاف الضحايا و مدن سويت بالأرض !!

④ أمثلة عن الوجه السلبي لأثر الفراشة:

❁ كارثة تشيرنوبل :

في عام **1986** انفجر المفاعل النووي رقم **4** في **محطة تشيرنوبل الأوكرانية** التبعة للاتحاد السوفييتي وقتها بسبب استمرار المهندسين بإجراء تجارب في المفاعل رغم الحظر الذي فرضته الهيئة المكلفة بالأمن النووي.. وأثناء التجارب تسبب **خطأ حسابي بسيط** في حدوث انفجار كبير أعقبه حريق ضخم ثم انفجار المفاعل ، لتنتشر المواد المشعة عبر الغلاف الجوي وتؤثر بشكل خطير على صحة الملايين من الناس .. و قد قدّرت الدراسات أنّ حوالي **985** ألف حالة وفاة تُعزى إلى انفجار هذا المفاعل .. لذا تم إغلاق المفاعل نهائياً عام **2002** ..

❁ ترجمة خاطئة كانت ستشعل حرباً نووية :

ألقى رئيس الوزراء السوفيتي **نيكيتا خروتشوف** خطاباً في أوج الحرب الباردة قائلاً فيه عبارة ترجمت من اللغة الروسية إلى اللغة الإنجليزية بطريقة خاطئة بكلمة (**سندفنكم**) ، اعتبرت هذه الجملة تهديداً مخيفاً بدفن الولايات المتحدة الأمريكية بهجوم نووي، وتصاعدت حدة التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بسببها و أوشكت على اندلاع حرب نووية بينهما .. ولكن كل ما في الأمر هو أن الترجمة كانت حرفية بعض الشيء، فالمقصود بالعبارة الروسية كان (**سنعيش طويلاً أو سندوم لكم**) .. و هي ليست عبارة ودية تماماً، ولكنها على الأقل لا تشكل تهديداً صريحاً!! و للأسف لم يدم الاتحاد السوفييتي طويلاً بعدها ليخسر العالم قطباً هاماً في التوازن الدولي العالمي ، لكن لحسن الحظّ تم تلافي سوء الفهم و تجنب العالم حرباً نووية طاحنة ..

❁ نظرة إلى الساعة كفيلة بخسارة الانتخابات :

في عام **1992**، وخلال مناظرة بين **جورج بوش الأب** و **بيل كلينتون**، نظر بوش إلى ساعته حين سئل عن سبب تراجع الاقتصاد الأمريكي ، لتشكل هذه اللقطة لحظة فاصلة حاسمة لا تنسى في معركته الانتخابية أدت إلى خسارته أمام كلينتون لاحقاً .. لأن نظرته تلك إلى الساعة كانت إيحاءً للناخبين بأنه لا يكترث لموضوع الاقتصاد الوطني ، مما ساهم في تعزيز الرواية القائلة إن بوش كان بعيداً عن حياة الناخبين اليومية..!!

❁ خطأ في سعر بيع سهم يكلف شركة خسارة 100 مليون دولار!:

أحد أغرب الأخطاء في عالم البورصة والأوراق المالية

ارتكبه موظف يعمل في شركة (**UBS**) اليابانية عام **2001** .. فقد ارتكب موظف في الشركة خطأ أثناء تقديم أمر بيع في بورصة طوكيو وباع (**610**) آلاف سهم بسعر **6** ينات عندما كان من المفترض أن يبيع **6** أسهم فقط بسعر **610** آلاف ين.. نتج عن ذلك خسارة قدرها **100** مليون دولار لشركته، ولم تتمكن بورصة طوكيو من عكس الأمر مما تسبب بخسارة فادحة لها واستقالة الموظف الذي تسبب بالكارثة على الفور..

❁ حرب الاتصال :

دارت هذه الحرب بين الولايات المتحدة والمملكة البريطانية عام **1812**، إلا أن سبب قيام الحرب نفسها كان غريباً للغاية ، فرغم وجود بوادر لاندلاع صراع مسلح بين الطرفين ، إلا أنه قبل بداية الحرب بيومين أعلنت الحكومة البريطانية أنها بصدد إلغاء القوانين

التي كانت سبباً في اندلاع القتال لكن عدم وجود اتصال برقيّ بين أمريكا و أوروبا لم يسمح بوصول هذه المعلومات المهمة إلى واشنطن مما تسبب في اندلاع الحرب التي كان يمكن تجنبها لو كان الاتصال متوفراً، استمرت الحرب **3** أعوام ، و من أهم نتائجها ازدهار الصناعة الأمريكية، ودعم الروح القومية الداخلية..

❁ النبي موسى ذو القرنين :

درس **القدّيس جيروم** (القدّيس شفيع المترجمين) اللغة العبرية ليتمكن من ترجمة العهد القديم من الأصل إلى اللغة اللاتينية بدلاً من نسخة القرن الثالث اليونانية التي استخدمها الجميع .. تضمنت النسخة اللاتينية الناتجة و التي أصبحت الأساس لمئات الترجمات اللاحقة على خطأ مشهور.. فعندما نزل موسى من جبل سيناء كان ينبعث من رأسه (**بريق**) أو كما يقال باللغة العبرية

(**كاران**) .. و لكن لأنّ الكلمات في اللغة العبرية تكتب بدون حروف العلّة، لذا أخطأ القدّيس جيروم في قراءة كلمة كاران و قرأها (**كرن**) والتي تعني (**مقرّن**) .. و بسبب هذا الخطأ توالت قرون من اللوحات و المنحوتات للنبي موسى بقرنين و للصورة النمطية المهينة لليهودي المقرّن .. !!

❁ حرب بسبب شعار :

دارت حرب الدببة الشهيرة في سويسرا عام **1579** بين إقليمين في البلاد هما **إقليم ابنزيل** و **إقليم سانغال** اللذين كانا يتشاطران صورة الدبّ كشعار لهما..

وفي ذلك العام أقام رئيس إقليم سانغال احتفالاً، وتهكَّم فيه على دب إقليم ابنزيل و وصفه بالأنثى، بينما افتخر بدب السانغال مدعياً أنه ذكر.. مما أشعل لاحقاً حرباً

بين الإقليمين استمرت لسنتين و ذهب فيها عشرات الضحايا و القتلى ، حتى انتهت باتفاقية بين الإقليمين أنّ كلي الدبين ذكر..!!

❁ طائرات تتحطم بسبب نافذة مربعة :

في عامي **1953** و **1954**، تحطمت ثلاث طائرات تابعة **لشركة دي هافيلاند** في الجو دون أن تعرف الشركة السبب الكامن خلف هذه الحوادث المريعة ، لكن تبين لاحقاً بعد دراسات مكثفة بأنها ناجمة عن ضغوط كبيرة على زوايا النوافذ المربعة للطائرات في تلك الآونة .. و منذ ذلك الحين تم تصميم النوافذ بشكل دائري لتقليل مستويات الضغط بين داخل وخارج الطائرة ، حيث ساعد هذا الشكل على تدفق الضغط الهوائي بشكل متساوٍ حول النافذة المستديرة بدلاً من أن يتراكم عند زوايا مربع واحد .. فتخيل عزيزي القارئ أن **3** طائرات تحطمت بسبب تصميم خاطئ في شكل

نافذة صغيرة لا تقارن بحجم الطائرة الضخم !!

⑤ أمثلة عن الوجه الإيجابي لأثر الفراشة:

❁ وجهة خاطئة اكتشفت العالم الجديد :

بسبب اعتقادات جغرافية خاطئة انتهى المطاف ببعثة كريستوفر كولمبوس التي كانت تقصد الهند إلى اكتشاف العالم الجديد (الأمريكيتين) ..

❁ قطرة صغيرة غيرت العالم و أنتجت أهم جائزة:

سقوط قطرة من مادة **النتروغليسرين** على نشارة الخشب كانت شرارة اكتشاف **الديناميت** من قبل العالم

ألفريد نوبل .. الديناميت الذي ساعد الإنسان على حفر المناجم والأنفاق ، قبل أن يتحول لاحقاً إلى أداة حرب و دمار، و تنبثق عنه فيما بعد فكرة **جائزة بوبل** التي كانت تكفيراً لاكتشاف استخدم خارج هدفه ..

❁ الإهمال عالج ملايين البشر :

البنسلين هو أول مضاد حيوي عرفته البشرية.. و قد اكتشفه العالم الأسكتلندي **ألكسندر فلمنج** نتيجة نسيانه لأطباق البكتريا المخبرية مما تسبب بنمو العفن عليها و الذي ينتج مادة البنسلين التي قتلت البكتريا ، و بذلك أبصر عالم الصادات الحيوية النور ..

❁ صابونة تغير وجه الفيزياء :

أثناء استحمام العالم الإغريقي **أرخميديس** لاحظ أن قطعة الصابون التي يستخدمها تعود للطفو كلما دفعها عميقاً في المياه مما أنار المصباح فوق رأسه بفكرة نظرية أرخميديس الفيزيائية للطفو ، فخرج يركض عارياً من حوض الاستحمام و هو يصيح **أوريكا أوريكا** (أي وجدتها باللغة الإغريقية) ..

❁ الأشعة السينية X :

في عام **1895** حينما كان الفيزيائي الألماني **فيلهلم كونراد رونتجن** يُجرى تجاربه على الأشعة المهبطية ، و بينما كان أنبوب الأشعة مُغطًى بورق قاتم، فوجئ بوجود تغييرات على الألواح الفلورية، وفَسر ذلك بأن ثمة أشعة غير مرئية قد اخترقت الأوراق مُسببة ذاك الأثر.. و فيما بعد اكتشف رونتجن قدرة تلك الأشعة

على اختراق الأنسجة، و خلال سنوات قليلة وصل هذا الاكتشاف إلى مشارق الأرض و مغاربها، و استُخدم في أوروبا و غيرها للكشف عن كسور العظام و حصوات الكلى، و حتى في تحديد موضع استقرار طلقات الرصاص في أجساد المصابين.. و بفضل هذا الاكتشاف استحق مُكتشفه جائزة نوبل عام **1901**، ليُصبح أول عالم يحصل على جائزة نوبل في الفيزياء.

و كما ترى عزيزي القارئ هنالك جزئيات صغيرة في حياتنا تتحكم بظواهر أكبر بكثير عبر أثر الفراشة .. تصميم خاطئ صغير ، كلمة مترجمة على نحو خاطئ ، نسيان شيء صغير ، خطأ حسابي بسيط ، حركة عفوية غير مناسبة و غيرها تؤدي بالمحصلة إلى كوارث أو حروب أو خسائر باهظة ، و بالمقابل سهوة بسيطة أو صدفة غريبة أو وجهة خاطئة قد تؤدي إلى أعظم اكتشاف يغير وجه العالم !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الجزئيات الحاكمة**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= إنه شيء تافه صغير ، ما عساه يصنع لاحقاً ؟!

بل أن نقول :

= و تحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم ، فربما أدى أمر بسيط في نظرك عبر أثر الفراشة و تأثير الدومينو إلى كوارث سلبية لاحقة أو إنجازات إيجابية عظيمة ..

ببيت شعر وحيد اختصر **أبو الطيب المتنبي** مغالطتنا كلها عندما أنشد :

لا تحقّرنّ صغيراً في مخاصمةٍ

إنّ البعوضة تدمي مقلة الأسد

فلا تستخف بالأمور الصغيرة التي تعتبرها تافهة من وجهة نظرك الضيقة ، فلربما نجم عن جزئيات صغيرة في الحياة كوارث حقيقية أو إنجازات عظيمة كما أوضحنا في أمثلتنا السابقة من مغالطتنا !! و تذكر دائماً أن الله كثيراً ما يضع سرّه في أضعف خلقه فلا تستخفّ بأي كائن أو شيء أو حدث و تحسبه سخيفاً من وجهة نظرك الناقصة و الضيقة و هو عند الله عظيم ..

د

مغالطة الإبحار نحو

المثلّث

(لاعب الشطرنج)

= انظر لهذه الأبراج كمه هي شاهقة .. تصميم مذهل!!

= منظرها مهيب بالفعل ، لكنّ تصميمها هذا ينطوي على كارثة فهو أشبه بقنبلة موقوتة ..

= لم أفهم !

= هذه الأبراج تحتوي أكثر من **30** دور سكوني ، و لا يوجد كهرباء دائمة في المنطقة فكيف سيصل سكان الطوابق العلوية إلى شققهم أو ينزلوا منها ؟! دون التطرق إلى احتمال نشوب حريق لسبب ما فيها أو وقوع زلزال مثلاً ، ففرصة نجاتهم هنا معدومة ..

= محقّ .. كيف غابت هذه الحقائق عن عقول المصممين ؟!

= لأننا في زمن تجاري بلا ضمير و لا يرحم يا صديقي ، فالغاية الأهم هي تحصيل المكاسب و الأرباح و ليس فائدة الإنسان و مصلحته ، و هذه مصيبة كبرى أتمنى ألا تكون هي السبب الكامن خلف هذه التصاميم غير المناسبة و أن يكون السبب أهون من ذلك ..

= أهون من ذلك من أي قبيل ؟

= من قبيل أن يكون المصممون فعلوا ذلك عن جهل ، فلم يحسبوا حساب الغد أو الاحتمالات السيئة التي قد تحدث ..

= و هذه كارثة بالحالتين بالفعل كما قلت .. و ينطبق عليها بيت الشعر الأيقوني :

إن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ

و إن كنت تدري فالمصيبة أعظم

= إن عدم التفكير بعواقب الأفعال أو عيش اليوم و تجاهل الغد خطر محدق بالبشر على مستوى الأفراد و الشعوب عامة .. و خير مثال على ذلك قصة **مجزرة العصافير في الصين** عام **1958** ..

= تبدو قصة مشوقة .. زدني بمعلومات أكثر عنها يا صديقي ..

= في ذلك العام شنّ زعيم الصين الشيوعي **ماو تسي تونغ** الحرب على العصافير لأنها تستهلك جزءاً من المحاصيل الزراعية من وجهة نظره و قال عبارته الشهيرة :(**الطيور هي حيوانات داعمة للرأسمالية**) ، فأمر بقتلها كمحاولة لزيادة إنتاج الحبوب .. و بالفعل شنت **حكومة ماو** حملة للقضاء عليها بكافة الطرق الممكنة من قيام الصيادين المحترفين و القوميين العاديين بإخافة العصافير عبر إثارة الضجة الدائمة كطرق الأواني لمنعها من الهبوط إلى الأرض و الأشجار ، مما أدى إلى مقتل العديد منها بسبب الإرهاق من الطيران المستمر، إلى تدمير الناس لأعشاشها و تحطيم بيوضها ..

= و بعد ؟

= لم يدرك ماو أّن عواقب قراره هذا كارثية ، رغم أنها بديهية و مؤكدة الحدوث ، فالعصافير كانت تقتل الحشرات التي تؤذي المحاصيل بشكل أكبر و أوسع بكثير من تأثير الطيور ، لذا فمقتل العصافير تسبب في أضرار أكبر بكثير بالزراعة نجمت عنه **المجاعة الصينية الكبرى** بين عامي **1958** و **1961** و التي قتلت ما يقارب **45** مليون مواطن صيني أي ما يفوق عدد ضحايا الحروب العالمية !! ..

= يا لها من قصة غريبة مفعمة بالعبر ..

= و خلاصتها : (**فكر أبعد من أنفك يا صديقي !!**)

*****

(فكّر أبعد من أنفك)

مقولة شهيرة في حياتنا اليومية تحثّنا على **التفكير البعيد و دراسة العواقب و أخذ الحيطة من تقلبات الزمن** ، لا أن يعيش الإنسان في يومه و يستهلك طاقاته و موارده دون أخذ عواقب أفعاله في الغد بعين الاعتبار تحت شعار :

(عش اليوم حتى ذروته و دع الغد للغد)

فهل هذا الشعار صحيح و منطقي أم أنه مغالطة جديدة

تنضم إلى طاقم سفينتنا كبحّار في قمتها يراقب الأفق بمنظاره فيرصد ما هو أبعد من مجال نظرنا و يحذرنا من أي عقبات في طريقنا من صخور أو جبال جليدية أو دوامات بحرية أو عواصف هوجاء فنغير اتجاهنا تبعاً لها ، حتى يلمح جزيرة الحقيقة المنشودة ..

في الحقيقة هذا الشعار خادع للغاية كونه بوجهين ، وجه صحيح و منطقي و وجه آخر خاطئ بالمطلق و يورث الندم و المصائب ..

كيف ذلك ؟

تعال عزيزي القارئ لنفسر هذا الجواب أكثر خلال الصفحات التالية عبر مقاربة مغالطتنا الجديدة (**الإبحار نحو الشلال**) من **3** زوايا هامة للغاية :

① **الحاضر في مواجهة المستقبل ..**

② قرارات قصيرة النظر للأفراد ..

③ قرارات قصيرة النظر لدول العالم ..

④ إبحار البشرية برمتها نحو الشلال ..

فهيا بنا نفكر قليلاً بعيداً عن مدى رؤيتنا في محاولة منا لتجنب الشلال المرتفع الذي لا نراه لكنه ينتظرنا بكل تأكيد في نهاية الطريق ..

① الحاضر في مواجهة المستقبل :

هنالك فلسفتان للتعامل مع حاضرنا ، قد تبدوان متناقضتين للوهلة الأولى ، لكنهما ليستا كذلك ، وهما :

◉ **فلسفة عيش الحاضر دون التفكير بالمستقبل :**

و هذه الفلسفة صحيحة من حيث أننا يجب ألا نعيش حاضرنا بخوف دائم من مصائب الغد يشلّ حركتنا و

يحيل حاضرنا إلى جحيم حقيقي من الترقب و القلق ، و الترياق الوحيد السحري لهذه الحالة هو الإيمان التام و المطلق بالله و ثقتنا بأنه سيختار لنا الأفضل على الدوام و بأن أي شرّ يصيبنا يحمل في طياته حكمة و غاية نبيلة من ورائه ، كما قال السيد المسيح :

(ربنا أعطنا خبزنا كفاف يومنا)

أي دع الخوف من الفقر و تقلبات الزمان المفاجئة في الغد التي لا يد لك فيها ، و اعتمد على الله يوماً بيوم و سلّمه مقاليد أمرك ..

◉ **فلسفة التفكير بعواقب أفعالنا في المستقبل :**

و هذه الفلسفة تقول أنّ علينا أن نفكر دائماً بعواقب أفعالنا ، أي أن نتجنب ببساطة مصائب الغد المنبثقة عن أفعالنا الذاتية و ليس عن القدر بشكل مفاجئ .. كما يقول المثل الشعبي :

(خبئ قرشك الأبيض ليومك الأسود)

فهنا مثلاً على الإنسان ألا ينفق كل ما يملك في حاضره بل أن يحتفظ بحصّة منه لمواجهة الأيام الصعبة و تقلبات الزمان .. كذلك الأمر فكل كلمة نتفوه بها أو فعل نقوم به سيكون له عواقب في المستقبل ، لذا علينا اختيار كلماتنا و أفعالنا بحكمة و حذر كي تكون عواقبها خيراً ، تماماً كالفلاح الذي يبذر أرضه ، فمن يزرع القمح سيحصد بيادره و من يزرع الشوك سيحصد الندامة بلا شك !!

② قرارات قصيرة النظر للأفراد :

الحياة تعجّ بأمثلة كثيرة عن أفعال يقوم بها البشر كأفراد في الحاضر دون احتراس فتكون عواقبها وخيمة في

المستقبل ، نذكر منها من باب التوضيح :

❁ إنفاق و استهلاك الموارد كلها آنياً و عدم ترك مخزون احتياطي لمواجهة نكبات الغد ..

❁ العادات الصحية السيئة التي ستدمر صحة الفرد عاجلاً أم آجلاً دون وضع حد منطقي لها في الوقت المناسب ..

❁ السماح للعلاقات السامّة بدخول محيطنا و التحكم بحيواتنا ، فالنتيجة ستكون إنهاكاً نفسياً و استنزافاً عاطفياً في الغد ..

❁ التلميذ الذي لا يستعد للامتحان جيداً خلال العام سيسقط لا محالة في الآخر ..

❁ عدم اهتمام الابوين بتربية الأولاد في طفولتهم سينجم عنه في الأغلب مجرمين جدد يتفشون في المجتمع ..

❁ الإنسان الذي لا يتجهز لآخرته في الكون الأكبر **بالفكر و القول و العمل الصالح** سيضع نفسه في موقف عصيب يوم حشر البشر بين أيدي الله قد يحرمه من جنانه أو يعيده إلى الحياة في دورة جديدة من التقمص في أحسن الأحوال ..

و في جميع هذه الحالات ما يقوم به الإنسان هو انتحار حقيقي لكن بطريقة غير مباشرة ، و هي على خلاف

طريقة هاراكيري اليابانية عند مقاتلي **الساموراي** ، ليست انتحاراً بدافع الشرف أو عدم الوقوع بيد الأعداء، بل انتحار عبثي بدافع اللامبالاة بالعواقب المستقبلية **!!**

و هنالك قصتان إحداهما حقيقية و الأخرى خيالية من روايات الأطفال توضحان قصور نظر الأفراد ، أما القصة الحقيقية فتتحدث عن إنشاء شركة بريطانية لبناء بتصميم منحني غريب في **حيّ المال في لندن** و أطلقوا عليه **بناء ووكي توكي** لأنه يشبه بشكله هذا الجهاز اللاسلكي للاتصالات ، لكن هذا الشكل المنحني تسبب بعكس أشعة الشمس بطريقة معينة كالعدسة تسببت في تجمعها في محرق واحد و إحراق سيارات و أذية أشخاص مما دفع الشركة إلى تصحيح هذا الخطأ

الكارثي في التصميم الذي لم يفكر مهندسوه بعيداً و يستقرئوا نتائجه الكارثية مما كلف الشركة مبالغ طائلة ناهيك عن الأضرار بالممتلكات العامة !!

أما القصة الخيالية الأخرى فتأتينا من التراث العالمي ، و هي قصة **الخنازير الثلاثة و الذئب** ، حيث يقوم الثلاثة ببناء منازل تحميهم من افتراس الذئب لهم ، لكن اثنين منهم يفضلان السهولة على المتانة و الجودة فيبنيان منزلين من القش و الخشب بتفكير قصير النظر ، أما الثالث فيفكر أبعد من أنفه و يقضي وقتاً أطول و يبذل جهداً أكبر لبناء بيت من الطوب فتكون النتيجة نجاته لوحده من براثن الذئب الذي يدمر منزلي الخشب و القش بمنتهى السهولة ، و هكذا هي الحياة كذئب غدّار يتربص بك ليفترسك فعليك التجهز له على نحوٍ مناسب كي تحصّن نفسك من تقلباتها !! ربما كانت هذه القصة البسيطة في ظاهرها من قصص الأطفال ، لكن للأسف

نجد العالم برمته لا يلتزم بعبرتها كما سنرى بعد قليل

③ قرارات قصيرة النظر لدول العالم :

صفحات التاريخ البشري تعجّ بالقرارات غير الحكيمة التي لم تفكر لبعيد فكانت نتائجها باهظة الثمن على بعض الدول ، نذكر منها :

❁ بيع روسيا القيصرية لولاية ألاسكا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1867 :

و ذلك عقب دراسة روسية سطحية لثروات ألاسكا و فائدتها لروسيا و التي انتهت بنتيجة مفادها أنها أرض بلا قيمة ، فبيعت بثمن بخس للغاية لأمريكا التي

اكتشفت لاحقاً أنها أرض تعجّ بالخيرات من نفط و ذهب و ثروات حيوانية و سمكية و نباتية ، كما خسرت

روسيا بقعة جغرافية محورية كانت كفيلة بتغيير وجه الحرب الباردة مع أمريكا اليوم !!

❁ غزو اليابان لميناء بيرل هاربر في جزيرة هاواي الأمريكية عام 1941:

خلال الحرب العالمية الثانية قامت اليابان بغزو أمريكا **بطائرات الكاميكازي** الانتحارية أو ما يعرف **برياح الإله** ، رغم معرفة العالم وقتها بأن أمريكا تعمل على تطوير سلاح نووي فتاك تحت اسم **مشروع مانهاتن**

الذي بدأ عام **1939** ، و هذا ما أدى لاحقاً بالفعل إلى كارثتي هيروشيما و ناغازاكي و تدميرهما بقنبلتين ذريتين عام **1945** ..

❁ الكساد العظيم في أمريكا و العالم عام 1929:

و الذي نجم عن عدم قيام الحكومة الأمريكية بضخ السيولة في النظام المصرفي لمنعه من الانهيار عقب الانكماش الاقتصادي الكبير الذي حدث ..

و بالمجمل كل هذه الكوارث كلها كان سببها قصور في النظر و استقراء المستقبل ..

④ إبحار البشرية برمتها نحو الشلال :

على نحوٍ غريب لا يتناسب مع درجة تطور البشرية نجد العالم برمته يقوم بأفعال خطيرة و غير مسؤولة في الحاضر رغم عواقبها الكارثية و الحتمية و الواضحة للعيان في المستقبل دون حذر أو حيطة أو محاولة لتدارك هذه النتائج الخطيرة ، و لعلّ أهمها :

❁ ثقب الأوزون :

تحيط طبقة الأوزون **O3** بالأرض كدرع يحميها و يقوم بامتصاص الأشعة فوق البنفسجية من الشمس، بالإضافة إلى امتصاصها الأشعة الشمسية الضارة الأخرى التي تسبب الأمراض و التأثيرات السلبية على الإنسان والطبيعة ، من قبيل زيادة خطر الإصابة بسرطان الجلد و تعتيم عدسة العين و إضعاف الجهاز المناعي ، و أيضاً التأثير على حياة الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة و نظام الحياة المائية مما يتسبب بانخفاض عدد الأسماك ، بالإضافة إلى منع الدورة التناسلية للعوالق النباتية مما يؤثر على أعداد الحيوانات الأكبر إن اختفت تلك العوالق ، إضافةً إلى التأثير على نمو النباتات الطبيعية..

و في الحقيقة ثقب الأوزون ليس عبارة عن حفرة أو ثقب حقيقي تدخل منه الأشعة الضارة ، بل هو عبارة عن طبقة رقيقة اكتشفت في سبعينيات القرن **20** و حدثت بسبب الأضرار الكيميائية التي قام بها البشر عبر انتشار المصانع و المركبات الواسع مع الغازات الضارة المنبعثة عنها التي تتفاعل مع طبقة الأوزون و تسبب هشاشتها فوق القطب الجنوبي ..

و قد وصلت مساحة ثقب الأوزون إلى ذروتها عام **2015** فبلغت **4** أضعاف مساحة استراليا ، لكنها بدأت بالانكماش لاحقاً بفضل المعاهدات الدولية للحدّ من انبعاث الغازات الضارة ..

أما خطورة ثقب الأوزون بعيداً عن الإضرار بصحة الإنسان و التوازن البيئي فتتجسد بالاحتباس الحراري للأرض و ذوبان الجبال الجليدية في القطب الجنوبي الذي سيرفع منسوب مياه البحار و المحيطات لينتهي المطاف بغرق مناطق شاسعة من الأرض بما فيها دول

بأكملها !! و الحقيقة أن جهود الدول لتجنب هذا المصير الحتمي الكارثي لم ترتقِ بعد إلى المستويات الكافية المأمولة ، و الأرض تمشي بإرادتها نحو الشلال دون اكتراث !! فهل نحن على موعد مع الجزء الثاني من مسلسل طوفان النبي نوح و لنفس الأسباب و بنفس النتائج ؟!

❁ سباق التسلح :

فهنالك هوس دولي بالتسلح بترسانة من أخطر الأسلحة و أكثرها فتكاً بالبشر كالنووية و البيولوجية و المتلاعبة بالمناخ و المحدثة لكوارث طبيعية و غيرها ..

و لا يحتاج الأمر سوى وصول ديكتاتور بعقلية إجرامية شاذة إلى حكم دولة عظمى كي يستخدم هذه الترسانة ضد خصومه الذين سيردّون عليه بلا شك ليذهب البشر ضحايا بين مطرقة هذا و سندان ذاك لتصبح معركة

هرمجدون حقيقة واقعية لا مجرّد خرافة ، و للأسف لا يوجد أي فعل احترازي من قبل العالم للحدّ من هذه الظاهرة الكارثية ..

❁ التزايد السكاني :

فالتعداد السكاني حول العالم يزداد بمتوالية هندسية ، في حين نجد الدول لا تقوم بأي إجراء وقائي مقابل سواء من حيث السيطرة عليه بتحديد النسل المعقول أو على الأقل تأمين بيئة مناسبة لاستقبال الوافدين الجدد ، كبناء مدن جديدة في المناطق الجغرافية الفارغة .. و هذا التزايد الخطير سيصل بالنهاية بالبشرية إلى المجاعات و الحروب لا محالة إن لم يوضع حدّ له بتنظيمه ..

❁ قطع الغابات :

حيث تقوم دول بالعالم خاصة الدول الاستوائية كالبرازيل مثلاً بقطع مساحات شاسعة من غاباتها دون

تفكير بعواقب ذلك على التوازن البيئي أو نسبة الأوكسجين في الجو ، و في عام **2022** زادت نسبة خسائر الأشجار بأكثر من **14%**.. وهو رقم مرعب بكل ما تعنيه الكلمة ، و يقدر العلماء أن أكثر من **8300** نوع نباتي مهدد بالانقراض .. على المقلب الآخر نجد دولاً تقدم حلولاً خلاقة لهذه الظاهرة (على العالم كله الاقتداء بها) كحال اليابان مثلاً مع انتشار **تقنية داي سوغي** التي تعود جذورها إلى القرن **14** و يتم تجديدها اليوم و ذلك بزرع أشجار فوق غصون الأشجار القديمة حرفياً على نحو غريب و مبهر بلا شكّ ، مما يعوض بقوة نسبة الأشجار المقطوعة ، و اليابان اليوم لديها احتياطي أشجار يكفيها لعقود قادمة بفضل هذه التقنية الفريدة !!

❁ الصيد الجائر :

فصيد الحيوانات حول العالم يتم بلا حسيب أو رقيب

مما أدى إلى تراجع أعدادها بشدة حيث قدر العلماء أن أعداد الحياة البرية في العالم انخفضت بنسبة **69** %

منذ عام **1970** ..

ناهيك عن اضطراب التوازن البيئي مع عواقبه الخطيرة ، و وصل الأمر إلى درجة انقراض أنواع من الحيوانات **كالحمام المهاجر و ماعز البرانس و طائر الدودو و نمر تسمانيا و دلفين البايجي و الكواجا و سلحفاة بينتا العملاقة** و غيرها ، بالإضافة إلى وصول بعضها إلى درجة التهديد بالانقراض ،حيث هنالك أكثر من **41** ألف نوع من الحيوانات مهددة بالانقراض وفق **الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة** كحال **وحيد القرن الجاوي و نمر آمور و الغوريلا الجبلية و فيل الغابات الإفريقي و إنسان الغاب السومطري و السلاحف صقرية المنقار**

و غيرها !!

❁ التلوّث :

فقد بلغ التلوث بأنواعه المختلفة من نفايات و غازات وضجيج و إشعاع و تربة و غيرها مستويات قياسية باتت تهدد صحة الإنسان و الطبيعة بل الكوكب برمته ، و خير مثال على ذلك **جزر النفايات المنتشرة** في محيطات العالم و المؤلفة من نفايات بلاستيكية مجتمعة على مساحات بحجم دول كاملة و تضر بالكائنات البحرية على نحو مرعب ..

و نجد أيضاً دفن النفايات الإشعاعية في دول العالم الثالث .. و لا ننسّ بالطبع التلوث الجوي بالغازات المنبعثة عن المصانع و المركبات و غيرها ..

❁ أزمة الطاقة :

فالبترول يعتبر العمود الفقري للطاقة حتى يومنا الحاضر ، لكن البترول نبع سينضب بالنهاية ، فتبعاً لمعدلات الإنتاج الحالية، سينفد النفط خلال **53** عاماً ، والغاز الطبيعي في غضون **54** عاماً ، والفحم خلال **110** عاماً .. ، فما هو البديل ؟

بعض الدول المتطورة في العالم بدأت بالاستعانة بطاقات بديلة كالشمسية و الرياحية و النووية و غيرها ، لكن ما مصير بلدان العالم الثالث عندما ينضب مصدر الطاقة الحالي ؟ .. أزمة طاقة مرعبة بعواقب كارثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، و ماذا يفعل العالم في هذا الصدد ؟ يكتفي بدور المتفرج لمشهد سفينة الأرض تبحر باتجاه الشلال !!

❁ الهواتف الملعونة :

فالهاتف سلاح ذو حدين ، إن أسيء استخدامه كما

يحدث حالياً من قبل أغلب البشر سيؤدي إلى أضرار كارثية نذكر منها :

◉ **أضرار صحية** : كالتأثير المسرطن لها و ضرر العيون و أذيات العمود الفقري و قلة النشاط البدني بسبب الجلوس لساعات طوال أمامه و قلة النوم أو النوم غير الصحي و التأثيرات النفسية السلبية الهائلة و غيرها ..

◉ **أضرار اجتماعية** : فالناس بسبب الهواتف و الانترنت أصبحت تميل إلى العزلة الاجتماعية و قلة الاختلاط بالآخرين مما تسبب بقطع الأرحام و العزوف عن النشاطات الاجتماعية كالنزهات و الهوايات و غيرها ، كما فاقم هذا من انتشار ظاهرة الرهاب الاجتماعي بين الناس إضافةً إلى ظواهر جديدة **كظاهرة هيكيكوموري** اليابانية و التي تعني حرفياً الانسحاب الاجتماعي أو العزلة بالنسبة للمراهقين أو حتى للبالغين و الميل للبقاء في منازلهم لشهور طوال دون الذهاب إلى المدرسة أو الجامعة أو العمل أو حتى الذهاب إلى البقالة .. إضافةً إلى مصطلح **جيل رقائق الثلج** الذي يصف جيل الألفية الجديدة المدمن على التكنولوجيا و الهواتف و الذي يفتقد مفهوم الاعتماد على الذات و يعاني من حساسية مفرطة و نرجسية كبيرة ، و هذا الجيل هو عماد المستقبل ، فأي مستقبل ينتظر الأرض

على هذا المنوال ؟!

◉ **التأثير المرعب على الأطفال و المراهقين** : عبر الولوج إلى المواقع الإباحية أو الإنترنت المظلم أو إدمان ألعاب مشبوهة قد تنتهي بانتحارهم كحال **لعبة مريم و الحوت الأزرق** .. و بالطبع لا ننسى تراجع التحصيل الدراسي و الثقافي لدى هؤلاء ..

◉ تفاقم نسبة **حوادث السير** بسبب استخدام الهواتف أثناء القيادة ..

◉ **الجرائم الالكترونية** بأنواعها ..

و ما الذي يفعله العالم أمام هذه القنبلة الموقوتة داخل بيوتنا ؟ لا يكتفي يدور المتفرج هذه المرّة بل يروّج لها عمداً أو جهلاً و بئس الخيارين !!

❁ العوامل المسرطنة :

فكل شيء من حولنا حرفياً بات حصان طروادة يدخل السرطان من خلاله إلى أجسادنا من الهواتف إلى النظام الغذائي غير الصحي إلى التلوث الإشعاعي و الغازات المنبعثة و غيرها .. و أكاد أجزم أنه في غضون العقود القادمة ستتضاعف نسبة الإصابة بالسرطانات على نحوٍ مهول .. و للأسف نحن نبحر باتجاه الشلال مجدداً دون أي فعل رادع يغير وجهتنا ..

و كما ترى عزيزي القارئ الكوكب برمته يسير نحو الهاوية و هو يبتسم بلا مبالاة ، بل في الحقيقة أصبحت الشلالات تحيط بالأرض من كل الجهات مع زقاق

ضيق للهروب منه و تجنب المصير الكارثي للكوكب ، فهل سيسلكه البشر أم سيحولونه إلى شلال جديد بدوره ليصبح مصيرنا محتوماً مهما فعلنا !؟

ما يحسم **دور الشطرنج** بين اللاعبين هو عدد الخطوات التالية التي يحسبها اللاعب في نقلاته .. فمن يفكر أبعد من أنفه أكثر سيفوز في النهاية ، و للأسف العالم في معركته مع الحياة لا يزال لاعباً مبتدئاً في نواحٍ عدة و بالكاد يحسب الخطوة القادمة في نقلاته ، فكيف يتوقع البشر بهذه السياسة أن ينتصروا في النهاية ؟ تذكر عزيزي القارئ أن **من يزرع الريح سيحصد العاصفة** ، و أي عاصفة هوجاء تنتظر البشرية إن لم تسرع في ردم الثغرات التي تحدثنا عنها في مغالطتنا ؟!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الإبحار نحو الشلال**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= لا تشغل عقولنا بالمستقبل .. دعنا نعيش حاضرنا ، و عندما نبلغ الغد لكل حادث حديث ..

بل أن نقول :

= كل شيء من حولنا هذه الأيام عبارة عن قنبلة موقوتة ستنفجر بالبشرية في أي لحظة مستقبلاً .. و على العالم أن يتضافر بجهوده لردم هذه العيوب بأسرع وقت كوننا نعيش معاً على متن قارب واحد و أي ثقب فيه سيؤدي إلى غرق القارب بمن عليه و لن يستثني أحداً منا ..
وكما يقول المصريون في تراثهم الشعبي :

(من يقدّم السبت يجد الأحد أمامه)

يقال أن **الطبيب الماهر يعالج المرض لا العرض** .. و ما يفعله العالم اليوم هو علاج الأعراض الناجمة عن

الكوارث التي ذكرناها خلال الصفحات السابقة ، و بذلك فنحن نسكّن الآلام لا أكثر .. لكنّ المرض لا يزال متفشياً في جسد الكوكب ، و علاجه الجذري يتطلب من البشرية خطوات جذرية حازمة و حاسمة قبل أن يتفاقم المرض بشكل بديهي و يودي بحياة الكوكب برمته .. لا أن نتجاهل واقعنا و لسان حال كل منا : (اللهم أسألك نفسي و حسب) .. فهل سنتمكن من تلافي هذا المصير المظلم في الوقت المناسب أم أننا نعيش اللحظات الأخيرة قبل وقوع الكارثة ؟!

على رقعة الشطرنج قد تجد فيلاً و ربما حصاناً ، لكن أحياناً قد تجد ثوراً أيضاً ، وكلي رجاء ألا تكون آخر كلماتنا في دور الشطرنج مع الحياة و هي تقول لنا (**كش مات**):

(**قتلت يوم قتل الثور الأبيض**)

لأننا لم نفكر بعيداً فأبحرنا نحو الشلال بإرادتنا بإهمالنا للكوكب الذي يحتضننا جميعاً ..

مغالطة التواتر المقدّس

(قصص الأجداد)

= كيف قضيت أمسيتك البارحة يا صديقي ؟

= في المنزل ، احتسيت كأساً من المتة و شاهدت برنامجاً و ثائقياً عن الأمريكيتين و تاريخ سكانها الأصليين ..

= اكتشاف كولومبوس لها ثم إبادة الهنود الحمر فيها ؟

= هذا ما هو شائع بين الناس ، لكن تبعاً لما شاهدته بالأمس ، فهذه الجملة مفعمة بالأخطاء التاريخية يا صديقي ..

= لم أفهم ؟!

= **أولاً** : كولومبوس لم يكن أول من اكتشف أمريكا

الشمالية ، و لا غيره من الأوروبيين اكتشفوا أمريكا الجنوبية ؟

= من إذاً ؟!

= سبق **الفايكينغ** كولومبوس إلى اكتشاف أمريكا الشمالية بقرون طويلة ، كما سبق **الفينيقيون** الأوروبيين إلى اكتشاف أمريكا الجنوبية بقرون أيضاً بحسب الاكتشافات الأثرية فيهما و في أوروبا..

= مدهش !!

= بلى ، **ثانياً** : كولومبوس عندما وصل إلى أمريكا الشمالية لم يكن يدرك أنها قارة جديدة ، بل حسب نفسه وصل إلى الهند التي كانت وجهته بالفعل .. أما من اكتشف أنها قارة جديدة فهو **أميريكو فسبوتشي** بعد كولومبوس بسنوات و تم تسمية الأمريكيتين على اسمه.

= مدهش أكثر !!

= و **ثالثاً** و الأهم : الهنود الحمر ليسوا هنوداً بالأساس ، بل أطلق عليهم كولومبوس هذه التسمية لأنه ظنّ نفسه وصل إلى الهند كما أخبرتك .. لكن وفق دراسات تاريخية هامة ، فإن أسلاف الهنود الحمر قدموا إلى الأمريكيتين من منطقة **جبال الألتاي** (التي تشكل نقطة التقاء الحدود المغولية و الصينية و الكازاخستانية و الروسية اليوم) و ذلك قبل **15** ألف عام عبر **مضيق**

بيرينغ ..

= كانت جملتي مفعمة بالأخطاء بالفعل !! يبدو أن كثيراً من الحقائق التي نعتبرها مسلّمات في حياتنا مجرد أكذوبة ..

= تماماً فهي بلا دليل ككذبة إبريل استمرت لآلاف السنين و اكتسبت الشرعية بالتواتر عبر الأجيال الذي يمنح الفكرة شرعية زائفة لا بالبراهين و الأرقام ..

= ذكرتني بمقولة سقراط الحكيم الشهيرة :

(شكّ بكل شيء من حولك ، و لا تقبل أي شيء مباشرة كمسلّمات بلا دليل)

*****

نعم عزيزي القارئ كولمبوس لم يكتشف أمريكا لأول مرة بل سبقه إليها الفايكينغ بقرون و الهنود الحمر ليسوا هنوداً بالأساس بل أطلق عليهم كولومبوس ذلك عن جهل و استمر البشر باستخدام هذا المصطلح الخاطئ لأجيال عبر التواتر ، حالها حال معلومات كثيرة خاطئة يعتمدها أغلب البشر كمسلمّات لا تقبل الشك دون تمحيص و تدقيق من خلفها لكشف مدى صحتها ، و هذا بالضبط هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**التواتر المقدّس**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل انتقال معلومة ما بالتواتر عبر أجيال كثيرة يمنحها الشرعية أو يجعلها صحيحة ؟)

إنّ الجواب المبدئي الوجيز و الهام للغاية هو :

(إطلاقاً ، التواتر و لو لآلاف السنين لا يمنح معلومة خاطئة الشرعية أو الصحة و أبسط دليل هو لقب الهنود الحمر الخاطئ كما أسلفنا و الذي لا يزال يستعمل حتى يومنا هذا ، و الكلمة الفصل في تمييز الصحيح من الخاطئ في كل شيء في هذه الحياة هو للعلم لا غير)

و سنقوم بتحليل هذا الجواب على نحوٍ أعمق و أدقّ عبر **5** محاور رئيسية لنصل إلى نتيجة مرضية في هذا الصدد كما آمل :

- **مفهوم التواتر المقدس ..**
- **خطورة التواتر المقدس على البشرية ..**
- **التواتر المقدس من وجهة نظر الدين ..**
- **التواتر المقدس من وجهة نظر العلم ..**
- **مجموعة أمثلة عن مسلّمات خاطئة عند كثيرين ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نقارب كل بند منها بالترتيب في معركة حقيقية ضروس بين التواتر و العلم لنرى من سينتصر بينهما في نهايتها ..

① مفهوم التواتر المقدس :

التواتر مفهوم بسيط قائم على المبدأ التالي :

(جدي قال كذا و ابي قال نفس الكذا ، إذاً هذا الكذا صحيح بلا شك)

أي أنّ انتقال نفس المعلومة من جيل لآخر يمنحها صفة الشرعية و الصواب .. دون وضعها تحت مجهر العلم و تحليلها بالعقل و المنطق..

② خطورة التواتر المقدس على البشرية :

إنّ تقديس التواتر و تغليبه على العقل و المنطق و كلام العلم كارثة مهولة للغاية و خطر على الفرد و المجتمع بل على البشرية برمتها ، و سأضرب مثالاً بسيطاً شائعاً لأوضح درجة هذه الخطورة ، و هو **الأحاديث المنسوبة إلى نبي الرحمة محمد** و التي يعتبرها كثير من المسلمين مسلّمات لا يجوز مناقشتها أو الطعن بها ، رغم أن تدوين هذه الأحاديث جرى في **القرن الثالث بعد وفاة الرسول** و اعتمد فقط على روايات تناقلتها

الأجيال بالتواتر **فحذف منها ما حذف و أضيف إليها ما أضيف و تم فهم الكثير منها بشكل خاطئ و الأخطر تلاعبت بها أصابع مستفيدة عبر الزمن لتكريس المصالح الشخصية** ..

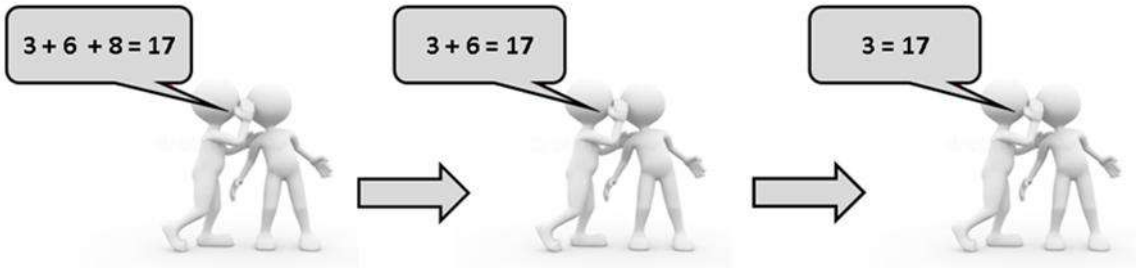

لتكون النتيجة انقسام الحديث الشريف إلى قسمين :

❁ **الحديث المنطقي** : و يشمل الدعوة إلى بناء الإنسان السوي و المجتمع المثالي في مختلف نواحي الحياة ..

❁ **الحديث غير المنطقي** : و يشمل مجموعة أحاديث كارثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى تشوه عقل الإنسان حرفياً و تدمر الأوطان و تهدد البشرية ، و سأكتفي بذكر مثالين عن هذه الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر :

- **الأحاديث الجنسية** : و هي كثيرة تظهر بلا حياء نبي الرحمة كإنسان مهووس بالجنس و تمجّد الجنس في الحياة على حساب النواحي النبيلة و السامية الأخرى على خلاف شخصية الرسول المعروفة كما ينبغي أن

تكون و كما تظهره الأحاديث المنطقية و يؤكده كلام القرآن .. و احتراماً لشخص الرسول و لحياء القرّاء لن أورد أمثلة عن هذه الأحاديث ، ويمكن لمن يرغب أن يبحث عنها على الإنترنت فهي موجودة و كثيرة .. و كما نجد فإن هذه الأحاديث تسيء لنبي الرحمة و للإسلام ككل ، كما تشوّه عقول الشباب المسلمين و تجعل جلّ تفكيرهم مقتصراً على الجنس و تغليبه على القيم الأخلاقية و الإنسانية النبيلة مما يدمر الفرد تماماً ثم المجتمع ككل بالمحصّلة ..

- **الأحاديث العسكرية** : و هي كثيرة بدورها و تتمحور حول فكرة قتال المسلمين للبشرية كلها حتى تعلن إسلامها على مبدأ (أسلم تسلم) و التي تتعارض بشكل خطير و فاضح مع النص القرآني في آيات كثيرة من قبيل :

(لا إكراه في الدين)

(و جادلهم بالتي هي أحسن)

(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

(من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر)

و هذه الآيات الأربعة لوحدها كفيلة بهدم هذا المبدأ

البغيض الذي يمنح أي دولة مسلمة شرعية غزو دولة غير مسلمة و احتلالها و فرض عقيدتها عليها .. و كما نجد فهذه الأحاديث تمثل تهديداً و خطراً على البشرية جمعاء ..

و كنتيجة لكل ما سبق نجد أن منح التواتر قداسة و شرعية و تغليبه على المنطق و العقل و العلم كارثة مهولة لا يمكن تجاهلها تعصف بحياة الفرد ثم المجتمع ثم البشرية ككل ..!!!

③ التواتر المقدس من وجهة نظر الدين :

لقد نهانا البارئ بقوة و حزم عن تقديس التواتر و تغليبه على العقل و المنطق و العلم بأسلوب مزدوج :

❁ **ذم التواتر** : فنجد القرآن الكريم مثلاً يعجّ بمصطلح (هذا ما وجدنا عليه آباءنا) و بطريقة سلبية دائماً يؤكد من خلالها الله بأن الاعتماد على كلام الأجداد لوحده كأداة لتحديد الصواب باطل و غير شرعي .. و ما التواتر سوى تعبير آخر لمفهوم ما وجدنا عليه آباءنا !!

❁ **مدح العلم** : و أكتفي بمثالين بسيطين للغاية و قريبين لقلبي و عقلي عن هذه الفكرة :

= الكلمة التي بدأت بها بعثة النبي و رسالته كلها هي كلمة (اقرأ) ، و لم تكن (اسمع) ، فالحق بين الحق و

الباطل أربعة أصابع ما بين (رأيت و سمعت) و في هذه دعوة صريحة من البارئ للبشر للقراءة و المعرفة و تقديس العقل و استخدام المنطق في تمييز الصواب من الخطأ في الحياة ..

= قول نبي الرحمة محمد : (العلماء ورثة الأنبياء) ، فلم يقل الحكام و لا رجال الدين و لا التجار و لا غيرهم ، و في ذلك أكبر عظة لأولي الألباب عن تفضيل العلم على كل شيء آخر و الإيمان بالعقل كنبي صالح لكل زمان و مكان !!

④ التواتر المقدس من وجهة نظر العلم:

كلام التواتر أمام كلام العلم كالقشة في مهبّ الريح أو كقصر من الرمال في مواجهة أمواج عاتية ، فهو هشّ للغاية مهما كثر أتباعه و أنصاره .. و أبسط مثال على ذلك هو إيمان ملايين من الإغريق القدماء بأنّ الصواعق هي سلاح الإله زيوس في صراعه مع بقية الآلهة و تسليط غضبه على البشر ، لكن ببساطة أتى العلم لاحقاً ليثبت أن الصواعق هي مجرد تفريغ شحنات كهربائية من الغيوم المشحونة ، لتنهار عقيدة ملايين من البشر لقرون طويلة في غمضة عين أمام كلام المنطق العقلي كإله جبّار لا يهزم .. و الموضوع برمته شبيه بصراع النبي موسى مع سحرة الفرعون ، حيث ألقى

موسى عصا العلم من يده لتستحيل أفعى حقيقية ابتلعت في لحظات أفاعي التواتر الزائفة التي ألقاها السحرة..

⑤ مجموعة أمثلة عن مسلّمات خاطئة عند كثيرين : و سنقسمها إلى مجموعات حسب نوعها :

❁ نظريات علمية خاطئة شائعة :

- **نظرية الأرض المسطحة** : فالقدماء آمنوا بهذه النظرية بحكم رؤيتهم للأفق المنبسط أمامهم لا أكثر ، لكن القوانين العلمية رفقة الصور الملتقطة من الفضاء الخارجي أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأرض بيضوية قليلاً لا مسطحة ..

و الغريب في الموضوع أنّ هنالك بشراً كثيرين لا يزالون حتى يومنا الحاضر مقتنعين بأنّ الأرض مسطحة .. و هذا مثال صارخ عن تغييب التواتر المقدس للعقل و المنطق و تفضيل ما وجدنا عليه آباءنا

كمسلّمات على الأرقام و الأدلة و البراهين !! مما يجعل نظرية الأرض المسطحة خير بداية لأمثلتنا و توضيح جوهر مغالطتنا ..

- **نظرية التطور** : فالشائع عند البشر أنّ العالم تشارلز داروين الذي وضع هذه النظرية كان إنساناً ملحداً ، و حاول من خلالها إثبات أنّ الإنسان تطور من القردة .. رغم أن ذلك غير صحيح على الإطلاق ، فداروين كان مؤمناً بوجود خالق للكون ، و تحدث فقط عن تطور الخلق بعد خلقه لا تفسير طريقة نشوئه من جهة ، و من جهة ثانية فداروين لم يقل أن أصل البشر قردة ، بل قال أن لهما أصل مشترك و هو أقرب للإنسان منه للقردة ..

- **بنية الذرة** : إن الصورة النمطية للذرة عند أغلب الناس تتبع **نموذج بور** الشهير الذي يشبّه الذرة بالمجموعة الشمسية ، من الكترونات سلبية تدور حول النواة الموجبة كما تدور الكواكب حول الشمس ، لكنّ

هذا التشبيه رغم صحته جزئياً ينطوي على معلومات خاطئة بالجملة كما أثبت العلم لاحقاً ، فنموذج بور يقوم على المبادئ التالية :

- **تتحرك الإلكترونات حول النواة في مدارات دائرية مستوية :** و قد أثبت العلم أن **الغمامة الالكترونية** عشوائية الحركة و لا تتخذ مستويات معينة أو مدارات ثابتة على الإطلاق.
- **تعد الإلكترونات جسيمات فقط و ليست موجات :** و قد ثبت أيضاً عبر **تجربة الشق المزدوج ليونغ** أن الإلكترون جسيم و موجة في آن معاً..
- **من الممكن تحديد موضع الإلكترون و كمية حركته معاً بدقة في الوقت نفسه :** وقد ثبت حسب **مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج** أن ذلك مستحيل كلياً دون الخوض في تفاصيل علمية معقدة أكثر ..

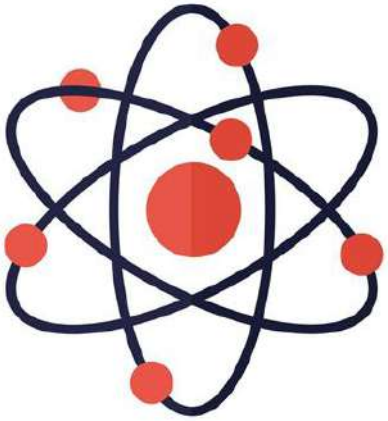

لذا فتخيلنا للذرة بأنها نواة موجبة و إلكترونات سالبة

صحيح ، أما كل ما عدا ذلك من تصور شائع عن الذرة فهو خاطئ كلياً بإثبات العلم الحديث ..

- **الفيزياء الكلاسيكية** : و التي يعدّ إسحق نيوتن عرّابها ، واجهت انهياراً كبيراً لكثير من مبادئها التي اعتبرت كمسلّمات لقرون بل لا يزال كثيرون من عامة الناس يؤمنون بها كحقائق لا تقبل الجدل حتى اليوم ، وذلك على يد الفيزياء الحديثة كميكانيكا الكم و الميكانيكا النسبية و غيرها .. دون الحديث عن فشل فيزياء نيوتن في تفسير ظواهر الأجسام الذرية و دون الذرية أو الأجسام العملاقة كالأجرام السماوية بدقة كافية و الاكتفاء بتفسير بعض ظواهر الأجسام المرصودة بالعين البشرية في حياتنا اليومية ..

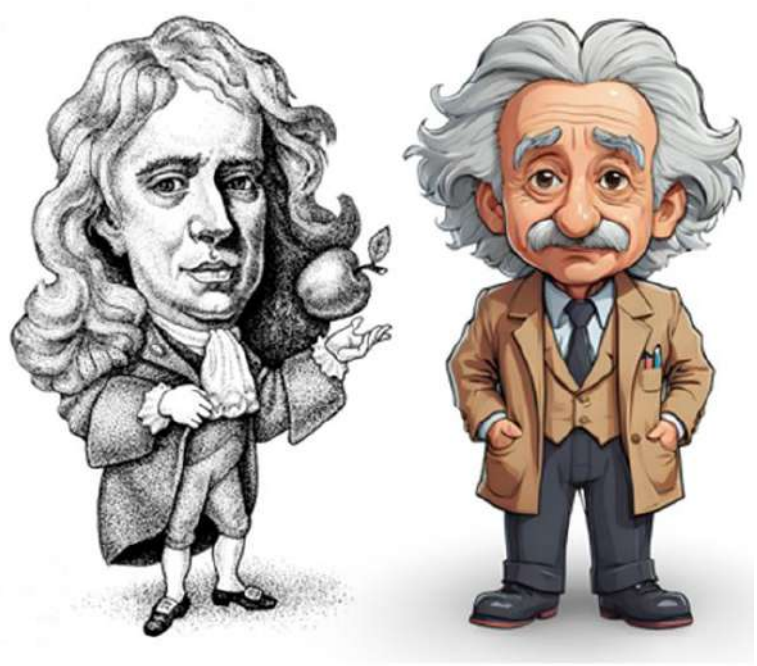

- **الذرة بمكوناتها (الكترونات و نواة) هي أصغر**

وحدات المادة : و هذه ربما من أكثر المعلومات الخاطئة شيوعاً بين الناس ، فيضرب بالذرة كمثل لصغر الأشياء ، لكنّ العلم الحديث أثبت وجود جسيمات دون ذرية كثيرة من قبيل **اللبتونات و الكواركات و البوزونات** و لا يزال العلم يكتشف الجديد و المزيد في هذا الصدد ..

❁ نظريات خاطئة عن كوكب الأرض :

- **النباتات لا تملك مشاعراً أو وعياً :** و هذه فكرة شائعة عند الناس و خاطئة كلياً ، فالنبات يسلك مسار الإنسان و الحيوان ذاته في الحياة فهو يولد من البذرة و يتغذى من التربة و ينجذب نحو الضوء و يتكاثر بدوره و أخيرا ييبس و يموت .. أما المشاعر كالفرح و الحزن فقد أثبت العلم أن النبات الذي يعامل بلطف و محبة و يعرض للموسيقا ينمو أكثر و أسرع من غيره ..

كذلك الأمر فالنباتات تتألم و تصرخ و حتى أن بعضها يبكي ، و قد نجح علماء لأول مرة في التاريخ بتسجيل أصوات النباتات عند تعرضها للإجهاد أو القطع أو غيرها من الظروف الصعبة، في مؤشر على أن النباتات لا تعاني بصمت، بل تصرخ أيضاً ، لكننا لا نسمعها لأنّ الموجات فوق الصوتية التي تصدرها النباتات يبلغ ترددها الموجي نحو **20** ألف إلى **100** ألف هرتز ، أما الإنسان فيمكنه سماع الأصوات التي ترددها بين **20** هرتز و **20** ألف هيرتز فقط ، مع ذلك فبعض الحيوانات مثل الخفافيش والفئران ربما تستطيع سماع صوت النباتات.. ليس ذلك فحسب بل إنّ النباتات الأخرى تسمع صراخ النباتات المتأذية و تفهم سبب الصراخ من طبيعة الترددات فترتكس للعامل المؤذي و تحمي نفسها منه.. حيث أثبتت التجارب و الملاحظات العلمية إنتاج النباتات التي تلقت إشارات من نباتات أخرى تضررت من هجوم الحشرات عليها بشكل بربري للمزيد من المواد الكيميائية الدفاعية لتساعدها في مقاومة ذلك الهجوم، أما تلك التي تلقت موجات من نباتات تعرضت للاختناق جفافاً مثلاً فقد أغلقت مسامها لمنع فقدان الماء أكثر .. مما يعني أن النباتات يمكنها سماع وفهم أصوات جيرانها من النباتات وإعداد نفسها لنفس الضغط الواقع عليها .. أكثر من ذلك لقد اكتشف العلماء أن هنالك أنواع عديدة من

النباتات تذرف الدموع حرفياً عندما تتألم كقطيرات الندى على خد الورود..

● القارة القطبية الجنوبية متجمدة منذ تكوّنت

الأرض : فقد أثبتت الدراسات العلمية أن هذه القارة كانت دافئة في أزمنة سابقة حيث عُثر على غابات مطيرة شاسعة تحت جليدها ، إضافةً إلى مستحاثات للديناصورات و الماموث فيها ، بل إن البعض يعتقد أنها كانت مهداً لحضارات بشرية قديمة في فترات من التاريخ .. و من الاكتشافات الغريبة التي تثير أسئلة كثيرة حول هذه النظرية هي خريطة (بيري ريّس) و هي خريطة قديمة اكتشفت سنة **1929** أثناء عملية ترميم **قصر طوب قابي بإسطنبول**، وتنسب إلى الأميرال العثماني بيري ريس والذي رسمها سنة **1513** على جلد غزال ..

وأظهر فيها بدقة الجهة الغربية من أفريقيا والجهة الشرقية من أمريكا الجنوبية و القارة القطبية الجنوبية بدون جليد على الإطلاق و كأنه يعرف انها لم تكن كذلك بطريقة ما نجهلها !! و أعتقد من وجهة نظر شخصية أن الاكتشافات الأثرية في هذه القارة خلال قادم السنوات سترفع الستار عن حقائق مذهلة عن تاريخ هذه القارة و عن نشوء الحياة و الإنسان على كوكب الأرض ..

● **مدة اليوم على كوكب الأرض ثابتة و هي 24 ساعة**: ففي الحقيقة كان اليوم على الأرض منذ ملايين السنين بضع ساعات لا أكثر ، و ستزداد عدد ساعاته خلال ملايين السنين القادمة بتغير سرعة دوران الأرض حول محورها ..

● **العلماء اكتشفوا أغلب أنواع الكائنات على سطح الأرض** : ففي الحقيقة الأغلبية الساحقة من هذه الأنواع لم يكتشف بعد بحسب الدراسات الحديثة ، فنحن نتحدث هنا عن حوالي **9** مليون نوع أو ربما أكثر !!

❁ **معلومات دينية خاطئة شائعة** :

● **تعدد الآلهة عند الحضارات القديمة** : فكثير من

البشر اليوم يؤمنون بأنّ الحضارة الإغريقية و الفرعونية كانت ذات آلهة كثيرة تحكم العالم ، لكنّ الحقيقة أنّ الإغريق آمنو بإله واحد خالق للكون و لجميع الآلهة و البشر الآخرين و أطلقوا عليه (إله القدر) ، كذلك الفراعنة آمنوا بوحدانية الإله الذي خلق كل شيء آخر في الكون.

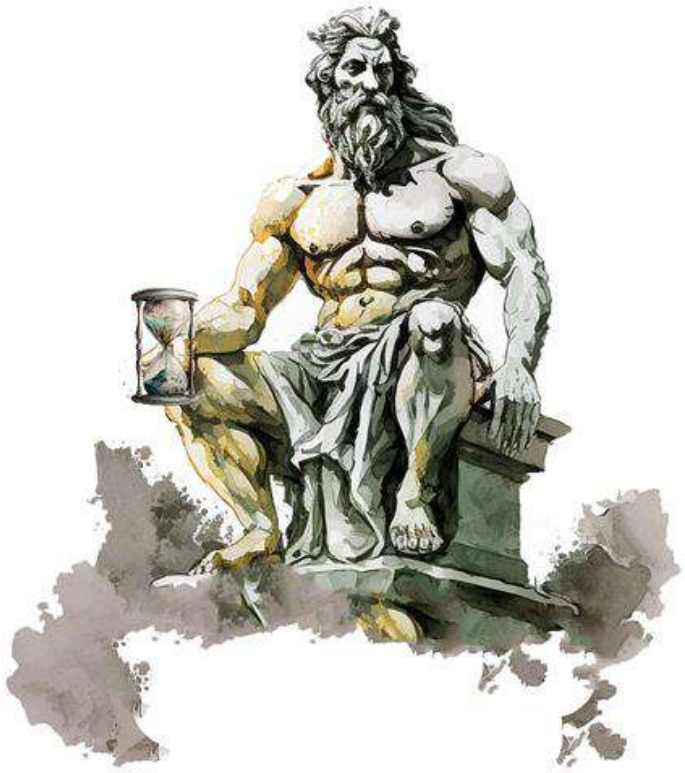

- **أي مصيبة تصيب الإنسان هي غضب من الله :**

و هذه من أكثر القناعات الخاطئة شيوعاً بين البشر ، فلا ننسَ بادئ ذي بدء بأنّ الأنبياء أنفسهم تعرضوا لمسبحة من المصائب و الصعاب في حياتهم .. و للمصائب في الحقيقة أسباب أخرى كثيرة غير غضب الله من قبيل :

- الابتلاء لتعليم الإنسان الصبر ..
- نجاة من مصائب أكبر قد تكون قاضية ..
- تطهير من ذنوب سابقة ..
- تطور طبيعي للأحداث في الحياة ..
- تعليم الإنسان قيمة نعم الله بالمقارنة مع الوجه الآخر المظلم للحياة ..

و غيرها كثير يختزله البعض بجهالة بغضب الله على البشر أو انتقامه منهم !!

- **الحياة تجربة وحيدة لن تتكرر :** فالإنسان الذي لا يسمو بروحه عالياً في حياته الأولى على الأرض سيعود إليها مجدداً في تجربة أخرى و فرصة ثانية و ربما على هيئة غير بشرية كما قال تعالى :

(نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون و لقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

، اما من يصفّي روحه من شوائب الحياة الدنيا فينتقل إلى جنان الله مرة واحدة و إلى الأبد ، كما قال البارئ :

(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)

❁ معلومات خاطئة عن البشر :

● البشر هم الجنس الواعي الوحيد في الكون :

و هذه قناعة أغلب البشر ، لكننا نجد العالم المعروف **إنريكو فيرمي** يسأل سؤاله الشهير (أين الجميع ؟) الذي قصد به غيرنا من الأحياء في الكون ، و هنالك براهين و أدلة دينية و علمية غزيرة بأنّ احتمال وجود جنس واعٍ حيّ غيرنا في الكون أكبر بكثير من احتمال عدم وجوده؟؟

❁ **الحواس الخمسة** : ففي الواقع لدينا ما لا يقل عن **9** حواس، بل يعتقد بعض العلماء أن لدينا حوالي **21** حاسة، فبغضّ النظر عن حواس **البصر** و **السمع** و **الشم** و **التذوق** و **اللمس**، هناك أيضا حواس **الحكة** و **الحرارة** و **الاهتزاز** و **العطش** و **الجوع** و غيرها ..

● الإسكيمو يعيشون في القطب الجنوبي :

رغم الصورة التي تتبادر إلى ذهن البشر عند ذكر اسم الإسكيمو (الإنويت) بأنهم بشر يعيشون في منازل مصنوعة من الجليد في القطب الجنوبي ، ففي الحقيقية هم شعب يسكن في شمال الكرة الأرضية فقط ، حيث يتوزعون على السواحل الشمالية من قارة أمريكا الشمالية في كل من ألاسكا و كندا و سواحل آسيا في شمال شرق سيبيريا و على جزيرة غرينلاد..

و اسم إنويت يعني (الناس) بينما إسكيمو تعني (الناس الذين يأكلون طعامهم نيئاً) ..

● الأشخاص المصابون بالفصام لديهم شخصيتان:

وهي فكرة خاطئة شائعة، فمرضى الفصام يكون لديهم اضطرابات في التفكير و الإدراك و العواطف و الكلام أو التعبير عن الذات، وهو ما يجعلهم يهلوسون أو يدخلون في دوّامات من الأوهام والأفكار المشوشة ولكن هذا لا يعني أنّ لديهم شخصيتين أبداً ..

● **الإنسان هو الجنس الأذكى بين المخلوقات جميعاً:**

فقد أثبت العلماء أن بعض الحيوانات **كالغربان و الدلافين و الأخطبوط** مثلاً تمتلك نسبة ذكاء أعلى من الإنسان بشكل نسبي بالطبع .. أي أنه لو قدر لبشريّ أن يمتلك أدمغتها لفعل المعجزات ..

❁ **أفكار خاطئة عن الفضاء و شائعة بين الناس** :

● **عطارد هو أكثر الكواكب حرارة بحكم أنه الأقرب من الشمس** : ففي الحقيقة كوكب الزهرة (فينوس) هو الكوكب الأسخن في المجموعة الشمسية و ليس عطارد كما أنه الكوكب الوحيد الذي يدور حول محوره مع عقارب الساعة على خلاف بقية الكواكب..

● **تنتج الفصول الأربعة عن اقتراب الأرض و ابتعادها عن الشمس** : فيحدث الصيف عند أقرب نقطة للأرض من الشمس و الشتاء عند أبعد نقطة منها ، و

في الحقيقة هذا غير صحيح ، فالفصول تنتج عن ميل محور الأرض لا غير ..

● **القمر قريب جداً من الأرض** : و في الحقيقة المسافة بين الأرض و القمر كبيرة للغاية بحيث يمكنك أن تصفّ كواكب مجموعتنا الشمسية كلها بجوار بعضها في هذه المسافة !!

● **الفيروسات المجهرية و الكون الفسيح** :

في الحقيقة مغالطة الحجم من المغالطات الشائعة للغاية بين البشر ، فقولنا عن شيء أنه صغير أو كبير هو بالاعتماد على جملة مقارنة ثابتة و هي (**الإنسان**) ، لكن في الحقيقة الكون برمته قد يكون مجرد (**كرة غولف**) بالنسبة لحجم العالم الآخر و بالنسبة لخالق الكون .. !!

شمس مجموعتنا الشمسة هي إحدى أكبر أجرام الكون : حيث رصد علماء الفلك نجوماً أكبر بكثير من شمسنا و بلغ حجم بعضها **320** ضعف حجم شمسنا ..

عدد النجوم في الكون : الجميع يعلم بلا شكّ أنّ الكون فسيح ، لكن كثيرين يجهلون العدد الحقيقي للنجوم فيه ، بل من الصعب على عقولهم استيعابه ، فعدد نجوم الكون يفوق عدد حبات الرمل في شواطئ كوكب الأرض مجتمعة .. و نحن هنا لم نتحدث بعد عن عدد الكواكب و المذنبات و الأقمار في الكون !!

● **الفضاء الخارجي بين الكواكب هو عبارة عن خلاء:**

ففي الحقيقة هذا الفضاء يحتوي على مادة حقيقية لكن شفافة تدعى (**المادة المظلمة**) ثبت وجودها بالأدلة العلمية لكننا لا نزال نجهل ماهيتها بدقة حتى اليوم ..

● **السماء التي نراها ليلاً حقيقية** : في الحقيقة هذه فكرة خاطئة تماماً رغم شيوعها عند الأغلبية ، فكثير جداً من نجوم سماء الليل غير موجودة الآن و لو قدّر لنا أن نصل إليها بطريقة ما ، لما وجدنا شيئاً مكانها ، فقد انفجرت منذ ملايين السنين ، و ما نراه الآن هو الضوء الذي شعّ منها منذ ملايين السنين و قطع ملايين السنين الضوئية حتى وصل إلينا الآن .. و بالطبع لا ننسَ هنا اعتقاد كثيرين بأن السنة الضوئية هي واحدة لقياس الزمن ، لكنها في الحقيقة واحدة لقياس المسافة حيث تعادل كل سنة ضوئية **9.5** تريليون كيلومتر..

❁ معلومات تاريخية خاطئة و شائعة:

● **العبودية فكرة غربية** : يلام الأوربيون على استعباد الأفارقة في فترات من التاريخ و هذه بلا شك وصمة عار على جبين الإنسانية ، لكن هذا لم يعد واقعاً اليوم بل على العكس نرى رؤساء منهم على دول هم

أقليات فيها ، كما نجد بلاداً مثل ألمانيا تضم ملايين منهم بعد أن كان مصيرهم التعنيف و النفي أو القتل في زمن النازية و هتلر ، و بلاداً كفرنسا يشكلون المحور الرئيسي فيها .. و علينا ألا ننسى أيضاً بأنّ الرق و العبودية كانت شائعة للغاية في بقاع أخرى من العالم و قبل انتشارها عند الأوروبيين كحال العرب مثلاً قبل أن يحرمها نبي الرحمة محمد ..

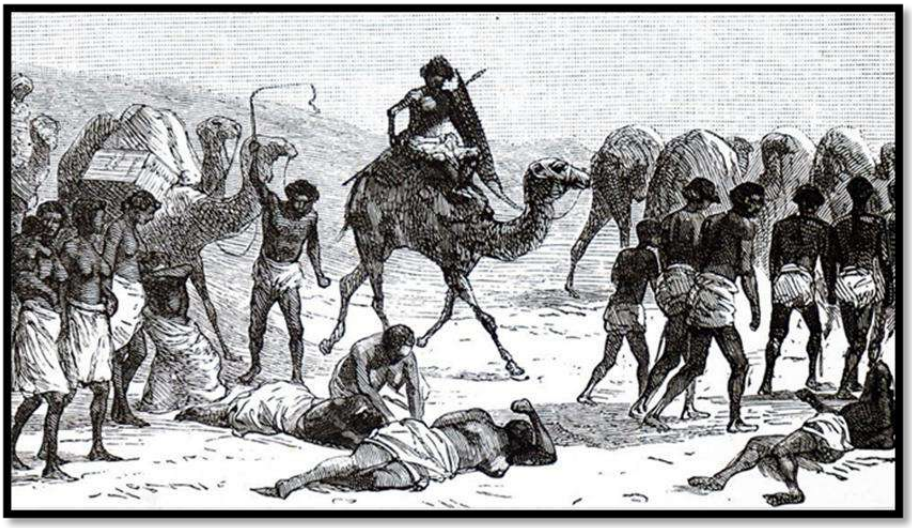

و الأسوأ من ذلك كله أننا بدأنا نشاهد أشكالاً أخرى جديدة من التمييز العنصري في مناطق أخرى من العالم .. مما يؤكد أنّ التمييز العنصري ليس رهناً بلون بشرة محدد بل تم تطبيقه على الأقليات في كل مكان على اختلاف ألوان بشرتهم أو دياناتهم أو أعراقهم كالأرمن و الشركس ومسلمي الروهينجا و غيرهم .. فالمشكلة الأساس هي شعور الأكثرية بالتفوق بالقوة على الأقلية فيترجمون ذلك إلى تنمر و تعنيف و استغلال .. على أمل ألا يعقب أفول شمس

التمييز العنصري في الغرب ، استيقاظها مجدداً في الشرق كإحياء لتراث الأجداد القديم !!

- **روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية أعداء منذ تأسيسهما** : فالحقيقة أنهما كانتا حليفين استراتيجيين مهمين للغاية في الحرب العالمية الثانية ضد النازية و الفاشية ..

- **كليوبترا ملكة فرعونية** : رغم الاعتقاد الشائع بذلك فهي في الحقيقية تنتمي إلى سلالة البطالمة وتعود في نسبها إلى مؤسس السلالة بطليموس الأول، وهو جنرال يوناني مقدوني ورفيق للإسكندر الأكبر، أي أن أصلها إغريقي و ليس فرعوني ، و قد حكمت كليوبترا مصر في القرن **1** قبل الميلاد في عهد المملكة البطلمية ..

● **السنة الميلادية كانت 365 يوماً دوماً :** في الحقيقة عندما أتى يوليوس قيصر عام **46** قبل الميلاد كانت السنة الرومانية قد اضطربت بنقصها بسبب اعتماد الرومان القدماء على السنة القمرية و تصحيحها خبط عشواء، ولكي ينقل التقويم إلى النظام الشمسي أضاف شهرين بين نوفمبر و ديسمبر لتلك السنة، وأضاف **3** أسابيع بين فبراير ومارس حتى صارت تلك السنة فريدة من نوعها لم يمر على الناس مثلها في الطول **445** يوماً لينتظم التقويم الشمسي بعدها بعدد أيام **365** يوماً ، و في روما عُرِفَت تلك السنة بسنة الحيرة، و لكن الحقيقة أنها السنة التي أراحتهم من الحيرة! و تخليداً لفعله هذا تم تسمية أحد الشهور على اسمه و هو شهر تموز (يوليو) ..

هذه كانت أمثلة بسيطة للغاية عزيزي القارئ من مختلف نواحي الحياة تثبت لنا بالدليل بعد مقاربتها

تحت مجهر العقل و المنطق ، الكمّ الهائل للمعلومات الخاطئة الشائعة بين البشر و التي يتعاملون معها كمسلمات غير قابلة للشك تستمد شرعيتها من التواتر المقدّس المتوارث عن الأجداد لا غير ، في حين أن الأرقام و البراهين تثبت بطلانها تماماً .. و هذه خطيئة كبرى ذات عواقب مرعبة على الفرد و المجتمع و البشرية جمعاء ، كما قال عالم الأحياء الإنجليزي **توماس هيكسلي** :

(أعمق خطايا العقل الإنساني أن يؤمن بشيء دون أدلة)

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**التواتر المقدّس**) من ألأنسب بعد الآن ألا نقول :

= هذه فكرة شائعة بين الناس إذاً فهي صحيحة ، أو أن هذه الفكرة وجدنا عليها آباءنا إذاً فهم على صواب ..

بل أن نقول :

= العلم وحده من يحدد صوابية الأفكار عبر الأرقام و الأدلة و البراهين ، و كل شيء عدا ذلك لا قيمة له ..

لذا حاكم بعقلك عزيزي القارئ أي معلومة تسمع عنها

ضعها تحت مجهر الشك و النقد و ارجع إلى حكم العلم في مصداقيتها لتحكم عليها كصواب أو خطأ ..

في تجربة حقيقية حدثت بالفعل ، وضع مجموعة من العلماء **5 قرود في قفص واحد** وفي وسط القفص وضعوا **سلماً** وفي أعلى السلم وضعوا بعض **الموز** .. و كل مرة صعد فيها أحد القرود لأخذ الموز قام العلماء برشّ باقي القرود بالماء البارد ..

و بعد فترة قصيرة أصبح كل قرد يحاول الصعود لأخذ الموز يتعرض للضرب من قبل القرود الباقين لمنعه من فعل ذلك كي لا يُرشّوا بالماء البارد .. و بعد فترة من الوقت لم يجرؤ أي قرد على صعود السلم لأخذ الموز على الرغم من كل الإغراءات خوفاً على نفسه من الضرب..

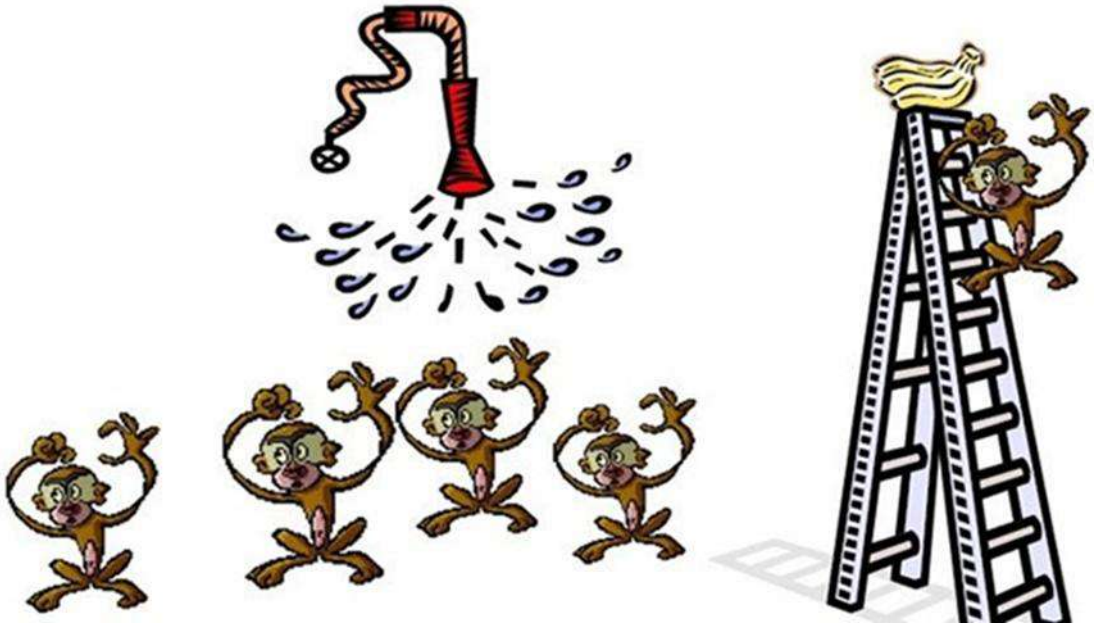

بعدها قرر العلماء أن يقوموا بتبديل أحد القرود الخمسة ويضعوا مكانه قرداً جديداً .. فأول شيء قام به القرد الجديد هو صعود السلم ليأخذ الموز ، لكنه فوجئ بالأربعة الباقين يضربونه و يجبرونه على النزول ..

بعد عدة مرات من الضرب فهم القرد الجديد بأن عليه

ألا يصعد السلم رغم أنه يجهل السبب .. !!

قام العلماء لاحقاً بتبديل القرود الأربعة الباقية تباعاً مع تكرار الحادثة ذاتها مجدداً ، حتى تم تبديل جميع القرود الخمسة الأوائل بقرود جديدة يعيشون في القفص ذاته و لم يرش عليهم العلماء الماء البارد أبداً ، و مع ذلك كانوا يضربون أي قرد تسول له نفسه صعود السلم دون أن يعرفوا أو يعرف هو ما السبب ؟!

و هذه قصة البشر ببساطة عزيزي القارئ ، أجدادهم آمنوا بأفكار معينة لأسباب ظرفية في زمانهم (خاطئة في زماننا بتطور العلم و المعرفة) ثم غادروا الحياة (القفص) منذ زمن طويل ، لكن الأحفاد الجدد في القفص لا زالوا يتمسكون بأفكار الأجداد نفسها دون أن يعرفوا السبب رغم أنها باطلة في زمانهم بالدليل و البرهان و ذلك لعدم استخدام العقل و تجنب السؤال و التدقيق .. فتناول السمك و اللبن معاً لا يسبب التسمم ، و الشيطان لا يأكل مع الشخص الأعسر و رقم **13** لا يجلب النحس .... و غيرها كثير من الأفكار الخاطئة

المنتشرة بين الناس كمسلمات دون تفكير أو فحص تحت مجهر العلم لتفنيد مصداقيتها .. و لعلَ أفكاراً كثيرة في عقلك عزيزي القارئ هي بدورها مجرد إرث متناقل عبر الأجيال من أساطير آمن بها القدماء ،

فاجعل عقلك **كالنهر المتدفق الجاري يغير الأفكار باستمرار وفق بوصلة العلم ، ليبقى عذباً و نابضاً بالحياة** ، و لا تجعل أفكارك تركد في عقلك بدون تحديث و تنقيح كي لا يتحول عقلك إلى **مستنقع راكد نتن بأفكار متعفنة باطلة يتحول معها البشر إلى ضفادع ذات نقيق مستمر مزعج تحاول إثبات صحّة أخطاء الأجداد رغم إثبات العلم للصواب الحقيقي في زمن الأحفاد ..**

مغالطة نصل أوكام

(TAKE IT EASY)

في يومه الأول من العمل في منجم الفحم، كان الشاب القوي متحمساً جداً للعمل، فقد حضر مبكراً جداً قبل الجميع ليثبت أنه على قدر من المسؤولية، وبدأ العمل بجد و اجتهاد كبيرين ، فكان يضرب بمعوله بكل ما أوتي من قوة على الحجارة ليستخرج الفحم منها ..

بعد ساعتين من قيامه بالحفر وصل رجل كبير في السن له خبرة طويلة في مجال العمل على ما يبدو، فنظر إليه الشاب القوي وقال في نفسه بزهوّ:

= ماذا يفعل هذا الهرم في منجم للفحم ، و لماذا يأتي متأخراً ؟!.. سأنجز أضعاف مضاعفة مما سينجزه بلا شك فتكون حصتي من المال أكبر ..

بدأ العجوز عمله أيضاً، و كان يتمتع بصحة جيدة، و يضرب بهدوء ، رمقه الشاب بطرف عينه كيف يضرب، و قال في نفسه مرة أخرى:

= لماذا يوظفون عجوزاً بهذه الهمة الفاترة و يدفعون له المال ؟!

ثم واصل عمله ، لكن في نهاية اليوم فوجئ الشاب و صُدم للغاية عندما علم أن ذلك العجوز أنجز أكثر منه فاستخرج كمية أكبر بكثير من الفحم ، مع أن الشاب بذل كل طاقته و لوقت أطول !

لم يستسلم الشاب بسهولة، و قرَّر أن يضاعف جهده في صباح اليوم التالي ، و في الغد عمل بالفعل بجد أكثر و بذل جهداً أكبر، لكن في نهاية اليوم خاب أمله مجدداً، فالعجوز أنجز أكثر منه كحال الأمس !

بدأ الشاب يفكر باستغراب ويتساءل: (ما السر في أن ذلك العجوز ينجز أكثر مني، مع أني أحضر قبله، وكذلك أعمل بكل ما أوتيت من قوة، وأعمل فترة أطول منه؟!)

وعندما لم يجد جواباً شافياً قرَّر أن يسأل العجوز بنفسه ، فانطلق إليه واستأذنه للحديث معه فرحَّب به العجوز وأثنى على همته و حماسه و التزامه ..

= هناك أمر يحيرني يا عماه ، و أنت سبب تلك الحيرة!

= أنا ؟!

= نعم، لقد كنت أحضر مبكراً، و أعمل بجد و جهد لفترة طويلة، و في نهاية اليوم أجدك تنجز أكثر مني بكثير، مع أنك تحضر متأخراً إلى العمل و تعمل بهدوء!

ضحك العجوز وقال:

= يا بني ، ببساطة ضع في معولك قليلاً من الذكاء..

نظر الشاب الى العجوز بتعجب ثم قال:

= وكيف ذلك ؟ هل للمعول عقل حتى يكون فيه ذكاء؟

= يا بني، ليس المهم أن تضرب بقوة على الحجر، وليست كثرة الضرب ولا طول وقت العمل ما يهم ..

= إذاً ما المهم ؟!

= صحيح أن تلك الأشياء كلها مهمة، لكن الأهم منها هو معرفة أين تضرب؟ ومتى تضرب بقوة ؟ فربما ضربة واحدة في مكانها الصحيح و طريقتها الصحيحة و وقتها الصحيح تغنيك عن مئة ضربة عبثية ، اعمل بذكاء لا بجهد ، و السرّ يكمن في تبسيط الأمور باختيار الطريقة الأسهل و الأنجع ..

*****

لا أشك عزيزي القارئ أنك مررت من قبل بحادثة شبيهة لما اختبره صديقنا الشاب القوي في منجم الفحم، عندما بذلت جهداً كبيراً لإنجاز واجب ما لتكتشف أن غيرك أنجزه بنتيجة أفضل منك و بجهد أقل .. كمثال الدراسة للامتحانات مثلاً، فتكون درجتك النهائية في الامتحان أقل من درجة زملاء لك درسوا لوقت أقل منك و لم يحرموا أنفسهم من الراحة و الترفيه على نقيضك .. هذه الظاهرة الغريبة و غير المنطقية هي جوهر مغالطتنا الجديدة (**نصل أوكام**) مع سؤالها

المحوري التالي :

(هل العمل لوقت طويل و بجهد كبير يقتضي بالضرورة نتيجة أفضل من غيرك يعملون لوقت أقصر و جهد أقل ؟! أم أنّ هذه مجرد مغالطة ؟!)

و ببساطة جوابنا المبدئي الوجيز على هذا السؤال هو :

(على الإطلاق ، ليس المهم أن تعمل بجهد كبير ، بل أن تعمل بذكاء كبير)

كيف ذلك ؟ تعال عزيزي القارئ لنقارب مغالطتنا من عدة زوايا هامة كي نتوصل بجمع خلاصاتها إلى تفسير دقيق و كاف لهذا الجواب ، و ذلك بالتطرّق إلى **3** نظريات غاية في الأهمية :

- **نظرية نصل أوكام ..**
- **نظرية اعمل بذكاء و ليس بجهد ..**
- **نظرية فرق تسد ..**

فهيا بنا ..

❁ نظرية نصل أوكام :

مبدأ لحل المشاكل ينص على :

(لا ينبغي تعقيد شيء إذا لم تقتضِ الضرورة

ذلك ، فإذا كان أمامك عدة فرضيات اختر الأبسط منها)

بمعنى آخر ، أبسط الحلول هو الحل الصحيح في أغلب الحالات لذا تجنب التعقيد .. و تُنسب هذه النظرية إلى الراهب الإنجليزي **وليام أوكام** الذي عاش في القرن **14**

و خير مثال على هذه النظرية هو المثل الشعبي الشهير:

(إذا أردت أن تمسك أذنك اليسرى فأمسكها بيدك اليسرى لا بيدك اليمنى فذاك أبسط)

و هذا ما نجده كثيراً في حياة البشر من حولنا ، حيث يميلون إلى انتهاج الطريق المعقد و الصعب لحل المشاكل و تحقيق الإنجازات .. في حين يكون الحل السهل و البسيط أمامهم و يتعامون عنه لأنه بسيط من وجهة نظرهم ، مما يكلفهم المزيد من الوقت و الجهد

بدون داعٍ أو مبرر .. فهل من الحكمة أن يقوم فلاح بحصاد محصول القمح يدوياً بمنجله لأسابيع ، إن كان بإمكانه أن يحصده بسويعات باستخدام آلة الحصاد الحديثة ؟!

أو هل نفسر سقوط التفاحة على رأس **نيوتن** بأن هنالك قوة في السماء تدفعها للأسفل أو أنّ هنالك قوة محركة في داخلها حررتها من الشجرة ، أو ببساطة نفسر الأمر بوجود قوة جاذبية للأرض جذبت التفاحة إليها ؟!

ربما حل بسيط و بديهي يحل أعقد الإشكاليات التي بذل البشر ساعات طوال و جهداً جباراً لحلها دون نتيجة ، و كمثال بسيط عن ذلك لدينا **الثابت الكوني** الذي أدخل على المعادلة الأساسية لنظرية النسبية العامة لأينشتاين فحلّ ببساطة مشكلة تضارب مشاهدات المراصد الفلكية مع هذه المعادلة ، دون الخوض في صحة هذا الثابت من وجهة نظر ميكانيا الكم لاحقاً .. و كما يقول **أينشتاين** نفسه في غزله العلمي لمفهوم التبسيط :

(إذا لم تستطع شرح فكرتك لطفل عمره 6 أعوام

فأنت نفسك لم تفهمها بعد)

بمعنى قدرتك على تبسيط المعلومة كي تتمكن من شرحها ، فكلما كان الشرح أبسط كان فهمه أسهل .. و هذا في الحقيقة نهج نتبعه في سلسلة مغالطاتنا عن عمد بإكثار الصور البسيطة و الكلام المفهوم بعيداً عن المصطلحات الضخمة و اللغة المعقدة كي يفهمها القراء مهما كانت أعمارهم أو سوياتهم الثقافية ، فيحصّلوا أكبر قدر من الفائدة ..

باختصار نظرية نصل أوكام تدفعنا لاختيار الحل الأبسط و الأسهل بعيداً عن تعقيد القضايا على أنفسنا فنخسر بذلك الوقت و الجهد .. كما يقول الفيلسوف الصيني الشهير **كونفوشيوس** :

(الحياة بسيطة حقاً ، لكننا نُصِرُّ على جعلِها معقَّدة)

و هذا ما أكّد عليه بدوره أستاذ الرياضيات و الفيزياء و علوم الحاسوب الهولندي **إدسخر ديكسترا** :

(البساطة فضيلة عظيمة ، أما التعقيد فليس سوى زيادة الطين بلة)

❁ **نظرية اعمل بذكاء و ليس بجهد** :

و هذا ما فعله بالضبط صديقنا العجوز في منجم الفحم ، فقد اختار مناطق معينة للحفر يعلم بخبرته أنها أغزر بالفحم الحجري على خلاف صديقنا الشاب الذي كان يحفر خبط عشواء فيخسر جهده و وقته بأقل النتائج ..

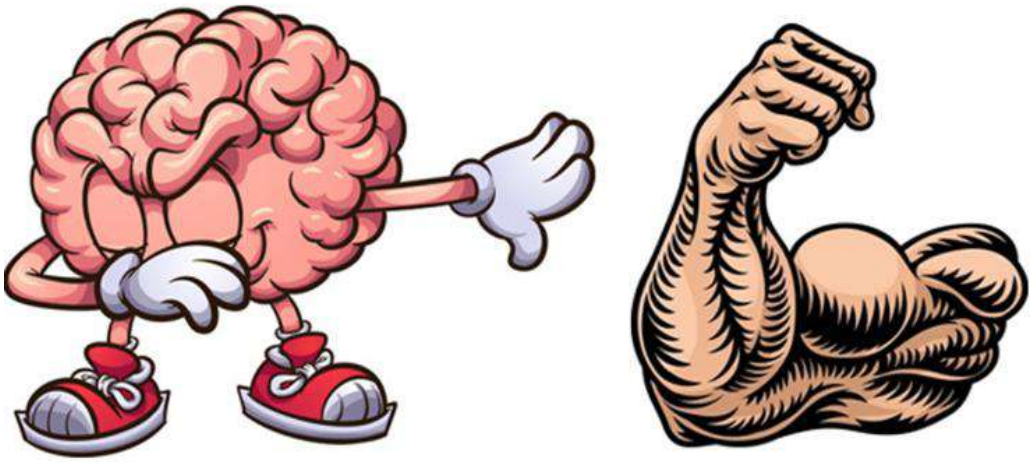

في تجربة علمية بسيطة لكن عميقة و مدهشة .. وضع علماء قطعة طعام طافية في أنبوب زجاجي شفاف

مملوء إلى ربعه بالماء و مثبت جيداً و بجواره مجموعة من الحصى الصغيرة .. ثم أحضروا قطة و تركوها بجوار الأنبوب في صندوق لفترة طويلة حتى جاعت و بحثت عن طعام فلم تجد سوى تلك القطعة ، فحاولت هز الأنبوب عبثاً أو كسره بلا نتيجة .. و كانت يدها تدخل قليلاً في الأنبوب لكن لا تصل إلى قطعة الطعام ، و بعد محاولاتها الفاشلة لساعة من الوقت أخرجوها ، ثم أحضروا غراباً و كرروا نفس التجربة معه ، لكن الغراب بحكم أنه من أذكى الحيوانات تعامل مع الموضوع بطريقة أخرى ،فعندما أدرك أن منقاره و مخالبه لا تصل إلى قطعة الطعام ، أمسك الحصى بمنقاره و أدخلها في الأنبوب واحدة تلو الأخرى حتى ارتفع منسوب المياه فيه و معه قطعة الطعام ثم تناولها الغراب بمنقاره و أكلها ، و لم تستغرق العملية منه سوى **5** دقائق فقط .. فالغراب على نقيض القطة فكر بذكاء و ليس بجهد فحصل على مبتغاه ..

و لقد لخص عالم الاقتصاد الألماني البريطاني **إرنست شوماخر** هذه الفكرة بالقول :

(أي أحمق ذكي يمكن أن يجعل الأشياء أكبر و أكثر تعقيداً و أكثر عنفاً. يتطلّب الأمر لمسة من العبقرية و الكثير من الشجاعة للمضي في الاتجاه المعاكس)

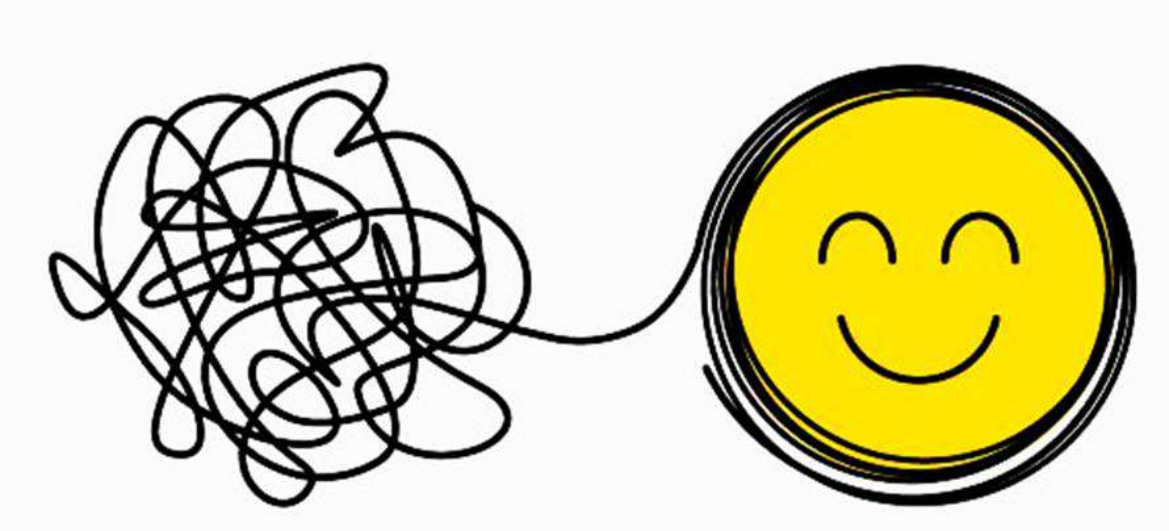

فالقضية ببساطة هي أن تكون ذكياً، و قمة الذكاء هو أن تعرف الخيار المناسب من بين الخيارات المتوفرة بين يديك و عندها ستحل مشكلتك في ثوانٍ ، كما قال **أينشتاين** أيضاً :

(لو كنت على وشك أن أُقتل و أمامي ساعة واحدة فقط لأبحث عن طريقة لإنقاذ حياتي، فإنني سأكرّس أول 55 دقيقة في البحث عن السؤال المناسب، و

بمجرد الوصول الى ذلك فإنّ العثور على الاجابة

سيحتاج الى 5 دقائق فقط)

❁ **نظرية فرّق تسد** : و هي النظرية الأهم في حل المشاكل و ذلك بتبسيطها إلى أجزاء صغيرة ثم البدء بحل الأجزاء الأسهل منها و التدرّج صعوداً إلى الأجزاء الأصعب على مبدأ :

(ابدأ بالضروري ثم انتقل إلى الممكن تجد نفسك

تفعل المستحيل)

و أول من دعا إلى هذه النظرية هو الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** في **فلسفة الكوجيتو** الشهيرة **(أنا أفكر إذاً أنا موجود)** ، فاقترح تجزئة المشكلة و تفريقها إلى مشاكل أصغر و عندها يمكن للإنسان حل كل مشكلة صغيرة منها على حدة ، و بحل جميع الأجزاء تكون المشكلة الكبيرة العويصة قد حلت بالفعل و ببساطة .. و هذا ما نجده بوضوح في **لعبة سودوكو** اليابانية الشهيرة و الممتعة للعقل ..

8	7			2			5	1
9	4			7			3	8
			3		4			
		6	7			5		
5	8			9			7	6
		7			5	2		
			8		2			
7	2			5			6	4
1	3			4			2	5

فإن أنت أدخلت الأرقام بشكل عشوائي سيستغرق حل اللعبة أشهراً بل سنوات ، بل قد لا تحلها على الإطلاق ، أما إن قمت بملاحقة كل رقم منها على حدة ستحلها خلال دقائق معدودة ..

و تذكر أن أول خطوة لحلّ المشكلة هي التعامل معها بشكل مجرّد فتتخلص من تأثيرها على عقلك و نفسك كي ترى الحلول بوضوح ، كما قال الأديب الفرنسي **فولتير** :

(الطريقة الامثل في أن تجد حلاً لأي مشكلة هو أن تخرج نفسك من دائرة تأثيرها على وعيك ، و تنظر إليها بإمعان و تجرّد كما لو كنت تتفرج على فلم سينمائي)

إذاً بتقاطع محاور النظريات الثلاثة السابقة مع بعضها نتوصل إلى **البروتوكول الذهبي لحل المشاكل** في حياتنا :

① أخرج نفسك من التأثير النفسي للمشكلة عليك و انظر إليها بتجرّد كي تحددها بدقة ..

② ابحث عن جذور المشكلة لا نتائجها .. فهذا تفكير بذكاء لا بجهد ..

③ ضع أمامك الحلول الممكنة و اختر أبسطها فغالباً هو الأنسب بحسب نظرية نصل أوكام ..

④ إن كانت المشكلة معقدة أكثر و بلا حلول واضحة قسّمها إلى مجموعة مشاكل صغيرة ..

⑤ ابدأ بحل المشاكل الصغيرة السهلة أولا و تدرّج

صعوداً ..

⑥ اتبع مبدأ التبسيط مجدداً في حل المشاكل الصغيرة و فكر بذكاء لا بجهد .

⑦ تهانينا ، لقد حللت مشكلتك بالفعل !!

و كمثال مباشر على هذا البروتوكول سأطرح عليك عزيزي القارئ اللغز التالي الطريف كمشكلة عويصة على الحل ، و اتبع البروتوكول السابق لحلها :

(يريد فلاح نقل ثعلب و دجاجة و حقيبة من الذرة من ضفة نهر إلى أخرى في زورق لا يوجد به متسع

إلا للفلاح وكائن أخر معه)

عندما تفكر باللغز جيداً ستجد أن المشكلة الرئيسية فيه مؤلفة من **3** بنود :

- حمولة القارب **2** فقط (الفلاح وكائن أخر) ..
- لا يستطيع الفلاح ترك الثعلب مع الدجاجة فهو سيأكلها ..
- لا يستطيع الفلاح ترك الدجاجة مع حقيبة الذرة فهي ستأكلها ..

كيف سيحل الفلاح هذه المشاكل الثلاثة معاً .. فكر قليلاً بدورك بالحل ثم اقرأ الحل الصحيح أدناه ..

-
-
-

الحل :

- يأخذ الفلاح الدجاجة وينقلها للطرف الأخر ويعود خالياً (يتبقى بذلك الثعلب مع الذرة).
- يعود الفلاح خالياً ويأخذ الثعلب للطرف الأخر ويأخذ الدجاجة في العودة (يكون بذلك الثعلب في جهة وحقيبة الذرة في جهة و الدجاجة في القارب).
- يترك الفلاح الدجاجة على الجانب الأخر ويأخذ

حقيبة الذرة (يكون بذلك الثعلب كما هو في جانب، الدجاجة في جانب أخر وحقيبة الذرة معه على القارب)

- يترك الفلاح الذرة في الجهة الأخرى مع الثعلب ويعود خالياً (بذلك يكون كلٌّ من الثعلب وحقيبة الذرة في جهة، الدجاجة في الجهة المقابلة ولا أحد معه في القارب).
- يأخذ الفلاح الدجاجة وينقلها للطرف الأخر وبالتالي يكون قد أتم المهمة و حل المشكلة العويصة التي واجهته ، فهو باتباع البروتوكول الذهبي وجد الحل بسهولة !!

هذا كان باختصار تفسير جوابنا السابق على سؤال مغالطتنا ، قد تبذل كثيراً من الوقت و الجهد فتحصّل نتائج متواضعة ، في حين أنّ الأصحّ هو أن تفكر بذكاء لا بجهد لحل مشاكلك أو إنجاز أعمالك ..

و كما يقول المثل الشعبي :

(من يستخدم عقله يريح قدميه)

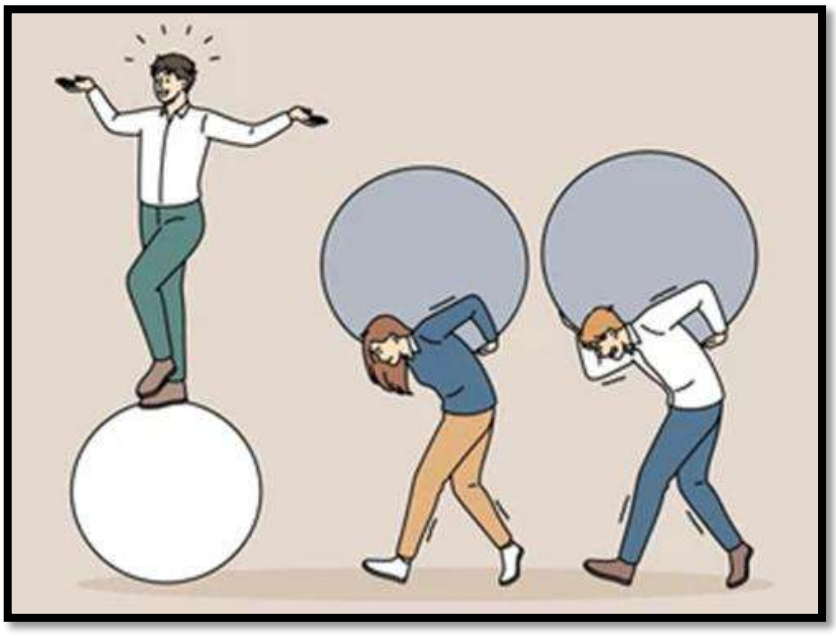

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**نصل أوكام**) ،

من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= يا لها من مشكلة معقدة بلا حل ، لا بد أن حلها سيكون معقداً أكثر و يتطلب وقتاً و جهداً عظيمين ..

بل أن نقول :

= تعامل مع مشكلتك ببساطة ، فغالباً أبسط حل يتبادر إلى ذهنك هو الصحيح فلا تعقد أمورك أكثر و تزيد الطين بلة .. و إن لم يفلح هذا الحل، فرق مشكلتك إلى مشاكل صغيرة و ستجد أن حل كل منها يسير و هين

عليك .. و بالنتيجة ما من مشكلة بلا حل ، و ما من حل إلا بسيط ، فقط فكر بذكاء و ليس بجهد و اتبع **البروتوكول الذهبي السابق** كي تحل أي مشكلة و حتى إن بدت لك في البداية كعشرات الأقفال التي تكبل معصميك و تشلك عن أي فعل لحلها فإنك بهذا البروتوكول ستتحرر من هذه الأقفال على نحوٍ أسرع من الساحر المجري الشهير **هاري هوديني** نفسه **!!**

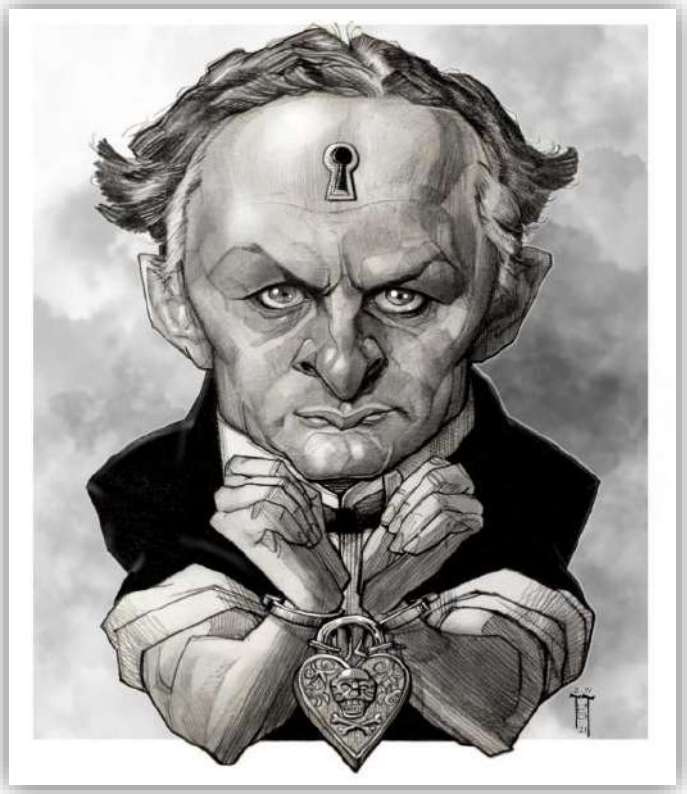

تحدثنا في مغالطتنا هذه عن الأسلوب العلمي لحل المشاكل ، لكن علينا ألا نغفل عن الجانب الروحي منه ، فنؤمن بأن ما من مشكلة تعترضنا إلا لحكمة من الخالق ، و من ابتلاك بمشكلتك سيعينك على حلها .. لذا اشحن روحك بالطاقة و العزيمة و الإيمان قبل الشروع بحل مشكلتك فذلك سيوضح الرؤية لك أكثر و يلهمك

حلولاً خلاقة و إعجازية .. إنها خير بداية لحلّ أي مشكلة وفق البروتوكول الذهبي الذي شرحناه .. كما قال الكاتب و المتحدث التحفيزي الأمريكي **روبرت شولر** :

(رئتان تمتلآن بالهواء بنفسٍ عميق ، و لسان يقول / الحمد لله /

هذا ما أحتاجه دائماً للتعامل مع اللحظة الأولى في الموقف العصيب)

فالإيمان هو المفتاح الأساسي لصندوق الحلول لأي مشكلة كي تختار منها ما يناسبك بعقلك لاحقاً ..

مغالطة فلسفة هرم

النقاط

(المعرفة و الاستبصار)

سحب الشاب الأربعيني صارم الملامح نفساً عميقاً من سيجارته المشتعلة باستمتاع كأنه يقبل فم معشوقته في ثنائية تجمع ساديّاً و مازوخيةً ، مغتنماً فرصة انفراده بها و عدم وجود عاملين حوله ثم نفث غمامة من الدخان مبددةً روائح الفورمول القوية في ردهات الطابق تحت الأرضي من المشفى حيث تقبع المشرحة (مسرح عروض الطبيب الشرعي) متجاهلاً لوحات منع التدخين المنتشرة حوله، فهو رغم كماله في مختلف نواحي شخصيته لديه نقطة ضعف وحيدة و هي إدمانه على التدخين و عجزه عن التفكير و التحليل الدقيق بدونه .. كانت عيناه شاردتين تماماً عن الواقع المحيط و عن نظرات مساعده الثلاثيني ذو البنية الضخمة و القوية التي تتأمله بإعجاب فهو يعتبره مثله الأعلى في مهنتهم ، محاولاً فك شفرة أفكاره الضبابية تماماً كدخان سيجارته ..

مضت ربع ساعة أخرى أعلن معها المساعد استسلامه تماماً و قد ضجر من الصمت لأكثر من ساعة كما يئس من قراءة أفكار رئيسه كلياً ، فهشّم صمت المكان المهيب بصوته الأجش العميق ..

= الشاب الثلاثيني : هل تتوقع أن يصل الطبيب عرفان إلى شيء مفيد حضرة المحقق طارق ؟

أطفأ المحقق سيجارته بيده ثم رماها في سلة المهملات و رمق مساعده بنظرة ثاقبة كالليزر ..

= طارق : مندفع و قليل الصبر كعادتك يا سليم .. مجرد دقائق و نعرف النتيجة اصبر قليلاً ..

صمت للحظة ثم أردف ..

= طارق : على كل حال لا أدري إن كان الطبيب سيصل إلى شيء ، إنهما مجرد عظمتين لا أكثر .. و أشك أن يستخرج الطبيب منهما معلومات مفيدة أكثر من تحديد كونها بشرية أم لا .. ربما تعودان لمئات السنين و لا قضية بالأساس حولهما .. لقد عثرنا عليهما بالأساس صدفة بينما كنا نلاحق ذلك المطلوب في محيط قرطاج و ليس لدينا أي خلفية معرفية عنهما

= سليم : محق كعادتك سيدي .. العظام لا تنطق بأكثر من ذلك على ما أعتقد .. لكنّ الطبيب عرفان لا ينفك يذهلنا في كل قضية أكثر من سابقاتها .. و أعتقد ..

قبل أن يكمل المساعد سليم كلامه بتره على حين غرّة صوت انفتاح باب المشرحة ليظهر الطبيب عرفان ذو القامة متوسطة الطول و الملامح الوديعة التي لا تتماشى مع طبيعة عمله القاسية فلو قدر له أن يمتهن مهنة أخرى تتماهى مع محياه لكان راهباً أو فناناً أو شاعراً أو فيلسوفاً ..

شق الطبيب طريقه خارجاً و هو ينزع قفازاته البيضاء من يديه و الكمامة عن وجهه ، سارع إليه المحقق طارق متلهفاً طارحاً عليه سؤاله اليائس الذي لا يتوقع

أجوبة وافية عليه ..

= طارق : طمئني أيها الطبيب ، هل توصلت لمعلومة مفيدة من العظام التي وجدناها في ذلك الكهف ؟

= عرفان : بالطبع .. بضع معلومات قد تفيدك ..

نظر طارق إلى مساعده بدهشة فغمزه المساعد بابتسامة ..

= طارق: معلومات و بالجملة ؟ غريب للغاية ، مثل ماذا ؟!

= عرفان : أجل عدة معلومات .. أولها أن العظام بشرية بشكل مؤكد و هي عبارة عن حوض و عظمة فخذ أيمن ..

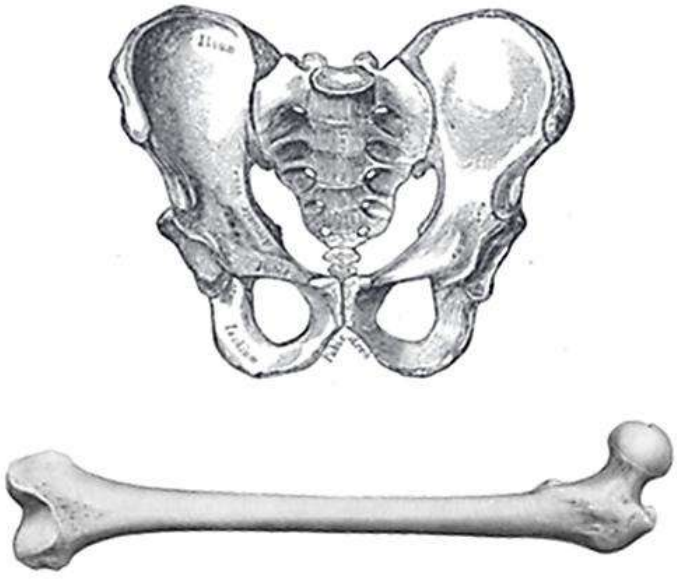

و من طول عظم الفخذ يقدر عمر الضحية بحوالي عشرين عاماً ، و من شكل الحوض يمكننا القول أنه

لأنثى بسوابق ولادة وحيدة .. كذلك من طبيعة مفصل الحوض مع الفخذ نشتبه بأنها تعاني من خلع ورك ولادي و تعرج في مشيتها .. إضافةً إلى كل ذلك نستنتج من الأثار الواضحة على الفخذ أنها تعرضت لطلق ناري ببندقية صيد و من مسافة قريبة و ربما أكثر من طلق واحد و من الممكن أنّ أحدها تسبب في مقتلها ، أخيراً العظام حديثة نسبياً و غير مفتتة فتشير بوضوح إلى أنّ الضحية رميت في ذلك الكهف منذ أشهر و قد التهمت الحيوانات الضارية البرية أغلب الجثة المتحللة و بقيت هاتين العظمتين بمفردهما ، فهل تفيدك هذه المعلومات حضرة المحقق ؟

عاود المحقق طارق النظر إلى مساعده سليم بذهول و ابتسم ..

= طارق: أنت عبقري حضرة الطبيب .. إن مساعدي سليم محق تماماً .. فأنت لا تنفك تذهلنا ببراعتك !.. كيف تمكنت من رسم صورة تقريبية للضحية و لطريقة موتها من مجرد عظمتين لا أكثر !؟ .. هذا إبداع حقيقي !..

= عرفان بتواضع : هذا هو دور الطبيب الشرعي الجيد حضرة المحقق ..

= طارق: هي إذاً جريمة قتل ..

= عرفان : بلا أدنى شك ..

= طارق: لقد ضيقت علينا مجال البحث للغاية .. إذ يمكننا الآن مقارنة هذه المواصفات مع سجل المفقودين خلال العام المنصرم في تلك المنطقة و سنصل على الأرجح إلى تحديد هوية الضحية ..

= عرفان: أنا في الخدمة في أي وقت و سعيد بتقديم مساعدة تسلط الضوء أكثر على القضية ..

******

لا شك عزيزي القارئ أنك أعجبت بشخصية الطبيب عرفان و كفاءته المهنية ، حيث تمكن من أدلة بسيطة أن يكتشف جريمة قتل و يحدد طريقة الوفاة و زمنها التقريبي ، بل مواصفات الضحية المميزة أيضاً ، الأمر الذي سيعبد الطريق أمام الشرطة لكشف الجاني و تقديمه للقانون ، و هذه الكفاءة المهنية ترتبط بمفهوم أشمل و أوسع و هو مفهوم الاستبصار ، أي قدرة الإنسان ذي المعرفة الأكبر على رؤية الأشياء بطريقة مختلفة عن الإنسان ذي المعرفة الأقل ، و هذا بالضرورة يعني تمكن المستبصر من حل إشكاليات معقدة و عويصة بسهولة ، فأي إنسان عادي يرى العظام المذكورة في قصتنا السابقة مجرد عظام لا أكثر و ربما لحيوان فلا يعيرها أية أهمية ، أما الإنسان المستبصر ذو المعرفة كالطبيب عرفان فيرى فيها أشياء كثيرة أبعد من ذلك بكثير (إنسان مقتول ، جريمة ، طريقة الموت و صورة الضحية !!) في

ذهنه ليخرج بنتائج كثيرة.. و هذا بالضبط هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**فلسفة هرم النقاط**) ، مع سؤالها المحوري التالي :

(هل الأشياء و الأحداث من حولنا هي ذاتها في عيون جميع البشر ، أي مثلاً كرة القدم هي كرة من الجلد المدوّر عند الجميع ،أم أن هذه الفكرة محض مغالطة)

ببساطة الجواب المبدئي الوجيز هو :

(بالطبع لا .. كل إنسان في هذا الكون يرى الكون و ما فيه كانعكاس للمعرفة في عقله و هذه الفكرة هامة للغاية و حساسة جداً في حياة البشرية)

ما تفسير ذلك ، و ما وجه أهميته ؟ تعال عزيزي القارئ كي نحلل هذا الجواب بشكل أعمق عبر مقاربة مغالطتنا من **3** زوايا غاية في الأهمية :

- **الكون ليس كما تراه !**
- **فلسفة هرم النقاط و الاستبصار ..**
- **فلسفة اقرأ ..**

فهيا بنا :

① الكون ليس كما تراه !:

و هذا المفهوم ببساطة يمكن تجسيده بكلمتين فقط :

(**الثابت** و **المتحوّل**)

فالكون بما يحتويه من أجرام من ضمنها الأرض التي نعيش عليها و ما عليها هو ثابت لا يتغير بقوانينه و حقائقه و يمكن ترميزه بالرقم **1** لأن الحقيقة لا شريك لها، أما الإنسان فهو متحوّل تتغير قناعاته و نظرته للأمور تبعاً لتغير معرفته و يمكن ترميزه بالرمز المجهول **X** ..

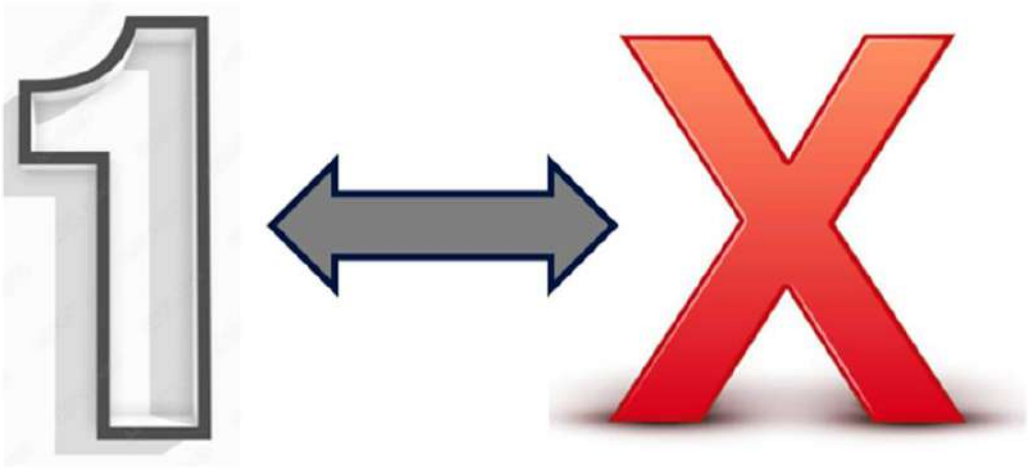

فمثلاً كان الكون بالنسبة للقدماء موطناً لآلهة كثيرة تتصارع فيما بينها و تصب غضبها على البشر بالكوارث الطبيعية ، أما اليوم فالكون هو عدد هائل جداً من الأجرام السماوية انبثقت عن نقطة مفرطة الكثافة بالانفجار العظيم ، و لا شك أن هذه النظرة للكون بحد ذاتها ستتطور أكثر مع تقدم الزمن و العلوم ، و هنالك للأسف وجه مظلم خطير لمفهوم الثابت و المتحول لابد

من الإشارة إليه ، و هو أن **الإنسان يقتنع بشكل لا يقبل الشك بأن الكون هو فقط ما يراه منه و ما يعرفه عنه بمعنى أنه ينسب لنفسه صفة الثابت في المعادلة ، و يتعامل مع الكون من حوله و مع البشر الآخرين على أنهم متغيرون ..** فتتحول قناعاته هذه إلى عقيدة و إيديولوجيا و تشكل حقل ألغام يحيط به و يحميه من أفكار الآخرين أو من تغيير أفكاره و تطورها ، بل يتحول الإنسان إلى وحش بلا إنسانية إن حاول أحدهم الطعن بعقيدته هذه ، و عواقب هذا على البشرية نعرفه جميعاً و رأيناه بأم العين من مجازر و حروب ، و هذا هو بالضبط سبب **بطء تطور البشرية** عبر الزمن ، فأسرع طريقة للتطور هي اقتناع البشر التام بأنهم الطرف المتحول و الكون من حولهم هو الثابت ، أما الإيمان العكسي فيقتضي بالضرورة و للأسف سنين طوال من الركود المعرفي و التطوري باقتناع البشر أن الكون مقتصر على نظرتهم الراهنة إليه .. و يمكن تشبيه ذلك عند قيادة السيارة ، بأن الإنسان الثابت هو الفرامل و الكون الثابت هو البنزين ، أما تطور البشرية فهو السيارة ذاتها ..

و ما يهمنا الآن في مفهوم الثابت و المتحول هو العلاقة الحقيقية بينهما ، أي أنّ الإنسان المتحول يرتقي بمعرفته خلال حياته تصاعدياً ليقترب أكثر من ذروة الهرم حيث يقبع الثابت كحقائق مطلقة لا تطالها إلا المعرفة المطلقة .. و هذا يقودنا إلى المحور الثاني في

مغالطتنا ..

② **فلسفة هرم النقاط و الاستبصار** : يمكن تشبيه البشر بحسب معرفتهم عن أنفسهم و عن الكون بهرم من النقاط المتشعبة .. حيث يقبع في رأس الهرم الإنسان ذو المعرفة المطلقة و هو بالطبع غير موجود ، لأن من يختص بهذه الصفة هو فقط الله ، أما طبقات الهرم فتمثل البشر بتدرجات معرفتهم ..

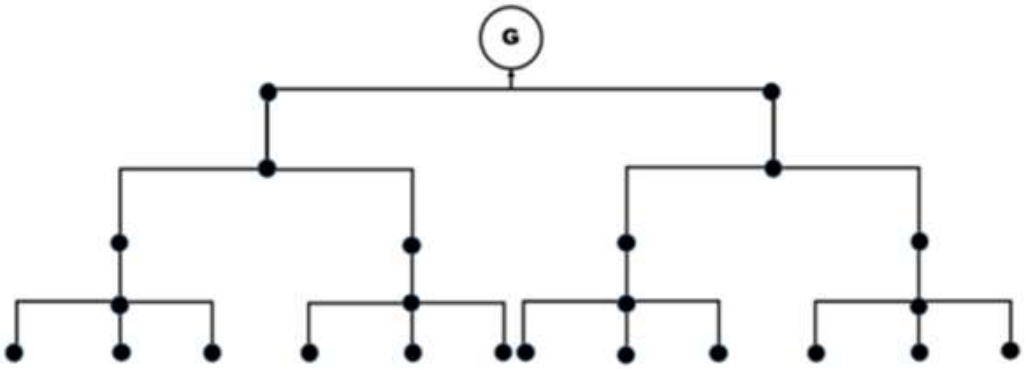

و للاستبصار علاقة وثيقة بهذا الهرم ، فكلما ارتقى الإنسان بمعرفته إلى طبقات أعلى ، بات يرى الأشياء في الكون من حوله بطريقة مختلفة عن البشر في الطبقات أدناه أو أعلاه على حد سواء ، كما حدث بالضبط مع صديقنا الطبيب عرفان بتعامله الفريد مع تلك العظام ، في حين نجد أطباء بمعرفة أقل ، يعطون معلومات أقل عنها و ربما مغلوطة تضلل التحقيق ، في حين يرى البشر العاديين فيها مجرد عظام لحيوان نافق لا أكثر ..

و الاستبصار مفتاح لصندوق من الكنوز المادية و المعنوية و هذا بتعبير آخر هو (**قوة المعرفة**) ، فكلما

ارتقى الإنسان في هرم النقاط بات قادراً على تجنب كوارث حقيقية في حياته أو التعامل معها بطريقة غير اعتيادية ، أو اقتناص فرص و خير يمر في حياته ، في حين يمر في حياة الآخرين كسحابة عابرة لا تمطر بخيرها عليهم .. و في التراث قصة جميلة ذات عبرة عن هذا المفهوم من المناسب ذكرها هنا :

(تحكي القصة عن فلاح كان يحرث أرضه، فارتطمت فأسه بحجر غريب الشكل نزعه الفلاح ورماه خارج حقله بعد أن عرقل عمله ثم تابع الحراثة ..

وعند مرور رجل آخر بجوار الحقل عثر على الحجر الغريب فأعجب بشكله وأخذه إلى محل زينة ليشتريه منه البائع بخمسة فلوس.. ثم صدف أن مر تاجر أحجار كريمة بدكان بائع الزينة، فعرف على الفور أن ذلك الحجر الغريب هو حجر كريم ، نادر و باهظ القيمة و الثمن، لذا اشتراه من البائع بخمسة وعشرين فلساً كما طلب البائع .. أخذ التاجر الحجر، وباعه بدوره

للشخص المناسب بمئات آلاف الفلوس.. و الخلاصة من هذه القصة أن كلاً من هؤلاء تعامل مع الحجر حسب معرفته بقيمته.. الفلاح الذي لم يعرف قيمته رماه، البائع باعه بثمن بخس، أما التاجر المختص فكوّن ثروةً منه ..)

و هذه هي قوة معرفة المستبصر ، يرى الأشياء بطريقة لا يراها بها البشر في مستويات نقاط أقل منه فيتجنب المشاكل أو يغتنم الفرص !! و في التاريخ قصة حقيقية مشابهة تماماً لهذه القصة الافتراضية ، ففي رحلاتهم الاستكشافية لأمريكا الجنوبية بحثاً عن مدن الذهب الغامضة ، عثر الأوروبيون على كميات هائلة من **معدن البلاتينيوم** (أغلى معدن في التاريخ) ، لكنهم كانوا يتذمرون من ذلك لأنهم كانوا يطمعون بالذهب ، فكانوا يلقون بالبلاتينيوم بعيداً ، لأنهم لم يعرفوا في ذلك الوقت ندرة و قيمة هذا المعدن و استخداماته الهامة .. بمعنى آخر ، كانت بين أيديهم ثروة و رموها بعيداً بسبب جهلهم و قصور معرفتهم !!

و الجميل في نظرية هرم النقاط و المستبصر ، هو أنّ المستبصر بترقيه في هذا الهرم يكتسب المعرفة **بتسارع و ليس بسرعة ثابتة** ، فمثلاً الطبقة الأولى تفتح لك باباً من المعرفة ، أما الطبقة الثانية فتفتح لك بابين و هكذا ، و السبب في ذلك هو تفاعل المعارف الجديدة مع بعضها و مع المعارف القديمة لتنبثق منها معارف أخرى .. و هذا ما نجده في مقولة كبير الفلاسفة **الإمام علي بن أبي**

طالب :

(كل إناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع)

و كمثال بسيط على ذلك ، النظرية النسبية أتت بمفاهيم جديدة عن الفيزياء و الكون ، لكنها تفاعلت مع الفيزياء الكلاسيكية و مع نفسها لينبثق عنها حقائق أخرى أبعد من النظرية النسبية ذاتها حيث فتحت عشرات الأبواب للمعرفة في علوم الفيزياء و الفلك بعيداً عن قانون النسبية بعينه..

و في الحقيقة فلسفة هرم النقاط قديمة قدم البشرية ، و ضمّنها الناس في أساطيرهم و عقائدهم ، فنجدها عند الإغريق متجسدة بجبل الأوليمب الذي يقطن الآلهة على قمته ، و عند الفراعنة بأهرامات الجيزة ، و عند البابليين بحدائق بابل المعلقة ، و عند شعوب المايا و الإنكا و الأزتيك بأهرامات الشمس ، كما نجدها عند البنائين الأحرار بشعارهم الشهير و غيرهم كثير ..

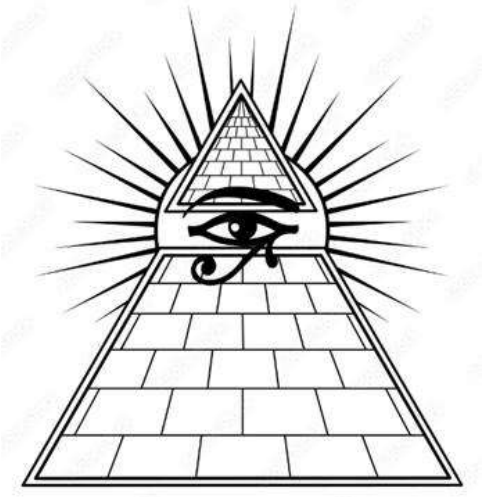

و السؤال الهام هنا ، ما هي الطريقة التي يرتقي فيها الإنسان المتحول هرم النقاط نحو قمة الهرم الثابتة ليصبح من المستبصرين ؟! هذا ينتقل بنا إلى المحور الثالث من مغالطتنا ..

③ **فلسفة اقرأ** : كما لاحظنا عزيزي القارئ الارتقاء بهرم النقاط لا يكون سوى بالمعرفة ، و المستبصر لا يختلف عن الإنسان العادي إلا بمعرفته الزائدة عليه .. لذا نجد أنّ أول كلمة في الرسالة المحمدية كانت (**اقرأ**) و كأنّ الله يمنحنا على طبق من ذهب الوسيلة الحقيقية للارتقاء بهرمه الذي يعتلي عرشه في قمته بمعرفته المطلقة ..

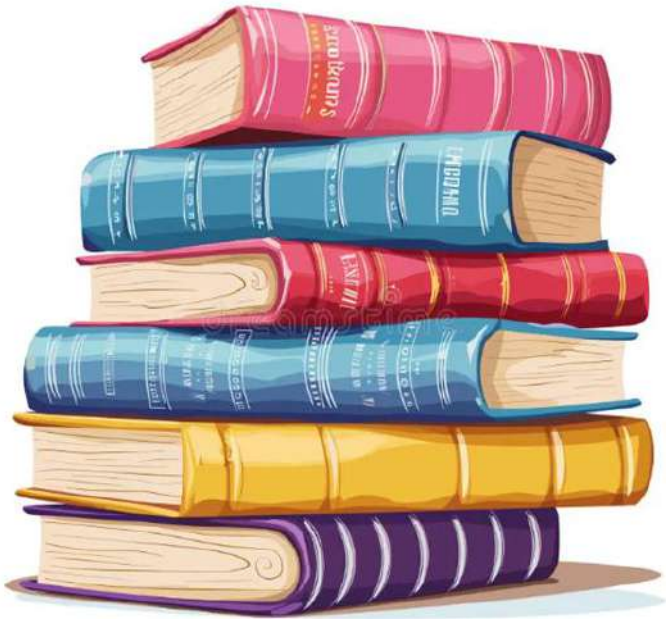

و للأسف رغم أهمية المعرفة هذه ، فإنّ كثيراً من البشر في يومنا هذا يميلون للاهتمام بأمور ثانوية سطحية لا تقدم و لا تؤخر و يمنحونها وقتهم و جلّ تفكيرهم كحرق حقيقي لسنوات عمرهم ، فيحكموا على

أنفسهم بالبقاء كمستحاثات في قاعدة هرم النقاط لم يعرف التطور و التغيير طريقه إليها .. و الخطير في الموضوع هو ثقة هؤلاء الهائلة بأنفسهم و الإصرار على رؤية الكون من منظورهم كحقيقة ثابتة لا تعرف الشك .. رغم أن هذا الوضع باطل معنوياً ، بل حتى مادياً أيضاً، فعندما يرتقي الإنسان هرماً حقيقياً كهرم خوفو مثلاً فإنه كلما ارتفع أكثر سيرى مساحات أوسع من حوله ، أما من يقف على الأرض بجوار الهرم فلن يرى سوى أرض مسطحة أمامه .. و يريد أن يقنعك بأن الأرض هي ما يراه بعينيه فقط .. كما قال الفيلسوف الإغريقي **أرسطو** :

(الجاهل يؤكد و العالم يشكّ، و العاقل يتروّى)

و هؤلاء الجهلة أنفسهم ، إن مرضوا و تدهورت صحتهم سيلجؤون إلى المشعوذين و غير المختصين لعلاجهم فينتهي بهم المآل إلى العجز أو الموت، في حين يمكن لطبيب مستبصر جيد أن يشفيهم بحبة دواء لا أكثر بعد تشخيصه الدقيق لمرضهم معتمداً على قوة المعرفة ، أي ببساطة الجهل موت و المعرفة حياة ..

و للمعرفة و اكتساب العلوم قائمة لا تنتهي من الفوائد تنصّبها بلا منازع ملكاً على هرم الحياة ، نذكر منها :

- المعرفة مفاتيح لحل المشاكل في الحياة ..
- المعرفة شبكة لاقتناص الفرص و الأمور الإيجابية
- المعرفة فهم أعمق للذات و بالتالي التحكم بالنفس و

توجيهها كما نريد لا توجيهنا كما تريد ..

❁ المعرفة متعة للعقل لا تضاهيها أي متعة أخرى .. و أجمل ما فيها أنها متعة لا تنتهي فنبع العلوم لا ينضب و حياة الإنسان قصيرة للغاية !!

❁ المعرفة صفة تسمو بنا بين البشر و ترفع مقامنا في الحياة ، كما قال الإمام علي بن أبي طالب : (كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه و يفرح به إذا نسب إليه، و كفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه من هو فيه)

❁ المعرفة اطلاع على حضارات الماضي و دنيا من الخيال لما هو آتٍ في المستقبل ..

❁ المعرفة تحسن الأخلاق، فالإنسان كلما عرف عن الكون أكثر شعر بالضعف و العجز فتواضع أكثر ..

❁ المعرفة تمنحنا وعياً و حكمة في التعامل مع الحياة و الآخرين و المشاكل اليومية ..

❁ المعرفة طريق معبدة إلى الإيمان بالله ، كم قال نبي الرحمة **محمد** (العلماء ورثة الأنبياء) ..

❁ المعرفة خير ترياق لوقت الفراغ السام الذي يلوث العقل و النفس ..

❁ يكفي المعرفة شرفاً و قيمة أننا كنّا لولاها لانزال نقطن في الكهوف في حالة رعب من الوحوش المفترسة الضارية .. بل حتى اختباء أجدادنا في الكهوف هو بحد ذاته نتاج المعرفة و التجربة بأنها أكثر أماناً !!

❁ و بالطبع المعرفة هي الطريق الوحيد لارتقاء هرم النقاط في رحلتنا للقاء الله في قمته (الثابت الوحيد) ..

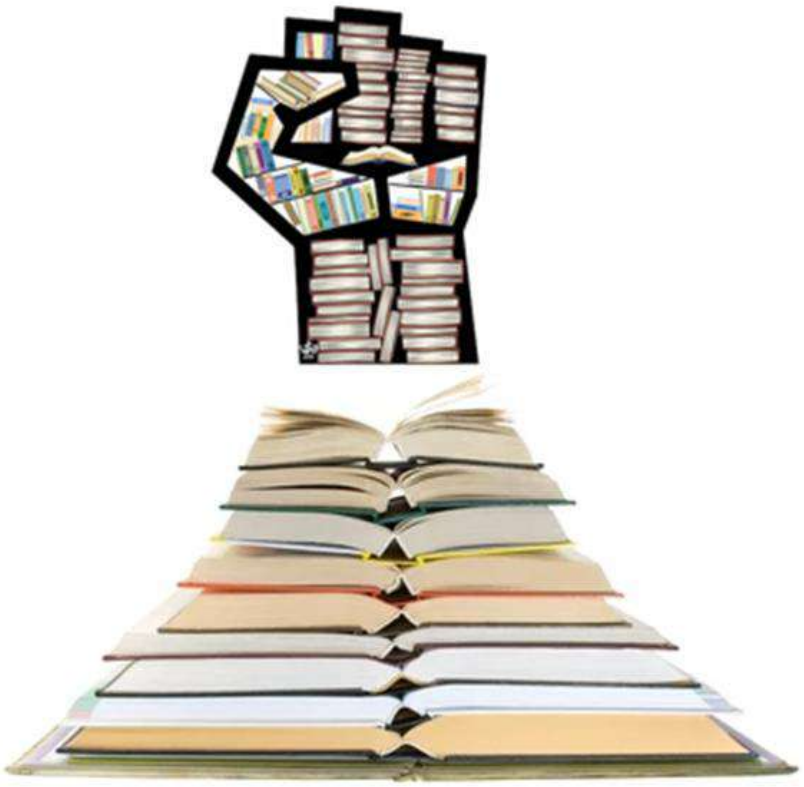

فلسفة هرم النقاط موجودة في كل شيء من حولنا ، من بنية الدول إلى المؤسسات و الشركات إلى العائلة .. و بالطبع لا ننسى بأن كل إقليم من أقاليم الحياة يأخذ منحنياً هرمياً ، حيث يقبع عباقرة المجال في درجات عليا منه كالعلوم و الفنون و الأدب و السياسة و أيضاً الدين الذي يتدرج من الأنبياء و الرسل إلى القديسين فالأولياء الصالحين ثم الناس الأتقياء و هكذا.. و لا شيء يميز بين هذه الطبقات سوى المعرفة فقط ، فمن امتلك معارف أكثر ارتقى إلى طبقات أعلى ليرى الأمور بشكل أوضح و أوسع على نقيض القابعين في قاعدة الهرم ..

و بالعودة إلى سؤال مغالطتنا : **هل كرة القدم هي كرة من الجلد المدوّر عند الجميع** ؟ بالطبع لا ، البعض يراها مجرد كرة ، و البعض عبارة عن لعبة حمقاء يجري خلفها اللاعبون كي يركلوها و يتصارعوا عليها ، و البعض يراها شغفاً و حماساً و مهارات و فنيات و أهداف جميلة ، و يراها آخرون استمرارية للحروب السابقة بين الدول و المدن لإثبات الذات و الشهرة لكن بطريقة أسمى و أقل عنفاً و دموية ..و غيرهم يراها تجارة رابحة تحقق المليارات .. أما القلة فيرون فيها تجسيداً للشكل الكروي المقدس الذي ينتقل من مكان لآخر بأقدام القدر كحال الأجرام السماوية الكروية في الفضاء من نجوم و كواكب بما فيها كوكب الأرض ليحدد البشر (اللاعبون) مصير هذه الكرة النهائي بتحقيق الأهداف و الانتصار أو الهزيمة و الخسارة و فناء الأرض و الكون !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**فلسفة هرم النقاط**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الحياة هي كما أراها و أعرفها .. و سأتعامل مع البشر وفق نظرتي لها ..

بل أن نقول :

= الكون ثابت بقوانينه و حقائقه ، أما الإنسان فمتحول يتغير صعوداً من طبقة لأخرى على هرم النقاط بحسب معرفته لا غير .. لتتغير مع هذا نظرته للكون و يقترب من الحقيقة أكثر .. و هذا الارتقاء يتم بتسارع و ليس بسرعة ثابتة ، كقاعدة مغرية للإنسان أن يقرأ و يتعلم و يضاعف معرفته و فرصه في الحياة وفق متوالية هندسية ، أما من يقتنع بوضعه في قاعدة الهرم فسيبقى للأبد أسير نظرته الشاذة و الناقصة للبشر و الحياة و الكون كمن يمشي في ليلة مظلمة بلا مصباح فيتخبط يميناً و شمالاً ..

أجمل شيء في فلسفة هرم النقاط و الاستبصار أنه **طريق باتجاه واحد** ، و هذا من أكبر نعم الله علينا ، فمن يمتلك المعرفة ستتغير نظرته للحياة تدريجياً مع استحالة العودة إلى نظرته السابقة لها .. أي أن المعرفة كنز عظيم و أثمن شيء فيه أنك لن تخسره ابداً بعد امتلاكه، و هذا ما أشار إليه الأديب النيوزلندي **هو والبول** بمقولته الرائعة :

(في كل العلوم تأتي الأخطاء قبل الحقيقة، وهذا أفضل من أن تأتي في النهاية)

فاشحذ همتك عزيزي القارئ و انطلق في مغامرتك الشيقة صعوداً مرتقياً هرم النقاط كي ترى الكون من حولك على حقيقته الثابتة لا وفق رؤية البشر المتحولة له ، و هذا بلا شك شعور عظيم لا يوصف بمفردات القواميس و يمنحك فوائد جمة لا تحيطها الموسوعات .

مغالطة لسانك حصانك

(هيهات يرجع سهمٌ بعدما انطلقا)

مضى الرجل العجوز يشق طريقه بين الناس و قد انحنى ظهره بالكامل بسبب كومة من العيدان للتدفئة يحملها فوق ظهره حتى بات وجهه مطرقاً إلى الأرض ، لذا كان يصيح بأعلى صوته :

= افتحوا الطريق .. أفسحوا الدرب ..

على بعد أمتار قليلة وقف شاب أرعن في منتصف الطريق متلصصاً بنظراته إلى إحدى الفتيات الجميلات و هو يعاكسها بكلمات معسولة فلم يكترث لصياح الرجل العجوز .. فاصطدم به ليقع الشاب على الأرض و قد تمزقت عباءته بالعيدان ..

غضب الشاب كثيراً و أرغم العجوز على الذهاب معه إلى الحاكم كي يشتكي عليه .. استجاب العجوز لذلك دون أن ينطق بأي كلمة .. و عند الحاكم أخذ الشاب يشرح له بإسهاب و انتقاء فريد للكلمات كيف اصطدم

به العجوز لأنه لا ينظر أمامه فأوقعه و مزق ثيابه .. انتهى الشاب من شكواه فالتفت الحاكم إلى العجوز و قال له :

= هل كلام هذا الشاب صحيح أيها العجوز ؟

لم يجب العجوز .. فكرر الحاكم سؤاله مجدداً دون أن يجيب أيضاً ..

= هل تسمعني أيها العجوز ، أنا الحاكم ..

لم يجب العجوز، فالتفت الحاكم إلى الشاب و قال باستنكار :

= هل أتيت إليّ لتتشكى على عجوز أبكم ؟

صاح الشاب بغضب ..

= لا ، هذا ليس صحيحاً إنه يدعي البكم ، لقد كان يصيح في طرقات المدينة بصوتٍ عالٍ قائلاً (افتحوا الطريق .. أفسحو الدرب) ..

ابتسم الحاكم و قال :

= و لماذا لم تبتعد عن طريقه إذاً أيها الشاب ؟

صمت الشاب في حيرة ، في حين قضى الحاكم ببراءة العجوز الذي غادر دون أي كلمة .. لينتصر لنفسه من ظلم الشاب بأقوى سلاح عرفه الإنسان عبر التاريخ (**الصمت**) فلو أن العجوز شرح للقاضي أنه طلب من الشاب أن يبتعد عن طريقه لنفى الشاب ذلك و كذبه ، لكن العجوز بصمته أجبر الشاب على قول الحقيقة دون

أن يدري تورطه بذلك ، فلم ينفعه حديثه البارع و انتقاء كلماته بأي شيء سوى الوقوع على الأرض و تمزق ثيابه ..

*****

قيل قديما :

(لسانك حصانك إن صنته صانك و إن خنته خانك)

و هذه المقولة ليست سوى جوهرة نفيسة من طوق من أقوال كالأحجار الكريمة قيلت عبر الزمن عن التأثير الخطير للسان هذا العضو الصغير لكن الكفيل بإشعال حروب و إخماد حروب ..بخسارة قلوب و كسب قلوب .. بارتقاء في المناصب و رفد من العمل .. بنجاة من الموت أو خسارة الحياة .. و غير ذلك كثير، و الذي ينطق باسم مغالطتنا الجديدة (**لسانك حصانك**) التي سنتحدث خلالها عن لجم هذا الحصان عبر استعمال هبة مجانية منحتها لنا السماء جميعا و قلة منا يستخدمها ألا و هي نعمة الصمت .. فيكون سؤال مغالطتنا الجوهري هو :

(هل الصمت دليل ضعف عند الإنسان و عجز عن التعبير عن الذات كما يشيع بين عامة الناس ، في حين أن الكلام قوة في الشخصية و سلاح لكسب

الحوارات و تحصيل المكاسب ؟!)

و جوابنا الوجيز المبدئي يأتينا من التراث الشعبي مجدداً مع مقولة ماسية شهيرة :

(إذا كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب)

فلماذا الصمت يتفوق بمسافات ضوئية على الكلام ؟ و كيف ينتصر عليه رغم أنه حرفياً بلا أسلحة ملموسة أي بلا كلام ينطق كما انتصر صديقنا العجوز بصمته على الشاب الأرعن بكلامه الكثير المنمق ؟!..

في الحقيقة قوّة الصمت الرهيبة تعود لمجموعة واسعة من الأسلحة الخفيّة التي يتحصّن بها أو ما يمكن توصيفها (**مزايا الصمت**) و التي سنقوم خلال الصفحات القليلة القادمة بمقاربتها بهدوء كي نتعرف أكثر على خصال هذا المارد العملاق (الصمت) الكفيلة بهزيمة خطابات مطولة من الكلام المنمق .. فنجيب على سؤال مغالطتنا بدقة ..

لكن قبل الشروع بذلك لا بد من التطرق إلى نقطة هامة للغاية هنا ، و هي التمييز بين مصطلحين ملتبسين على العامة و يعتبران جهلاً وجهين لعملة واحدة و هما الصمت و السكوت ..

فالصمت هو العدول عن الكلام في الباطل، أو عندما يكون الكلام ليس ذا قيمة ، أو يكون خير جواب لتهجم السفهاء هو الصمت ، و هو ناتج عن الحكمة والعقل المتفتّح المُتّقد، فيمكن أن تتعرض لمواقف ومشكلات عويصة في حياتك و يكون حلها البسيط هو الصمت لا غير، فإن لم تكن تحسنه فستقع في مشكلات أنت في غنى عنها ..

أما **السكوت** فهو الصمت الناتج عن الخوف، ويكثر ظهور السكوت عند المواقف التي تتطلب من صاحبها أن يتكلم ويقول الحق، فالسكوت هو الصمت لنصرة الباطل أو حتى للحياد الناتج عن الخوف ، و كما قال كبير الفلاسفة الإمام **علي بن أبي طالب** :

(المحايد هو شخص لم ينصر الباطل ، لكنه من المؤكد خذل الحق)

أو كما قيل قديماً :

(الساكت عن الحق شيطان أخرس)

لذا هيا بنا عزيزي القارئ لنكتشف سوياً مزايا الصمت

المذهلة لأن السكوت عنها جريمة بحقها و إجحاف لدور الصمت الخطير و الكبير في حيوات البشر و تحديد مصائرهم ..

۞ الصمت حكمة :

فبالصمت تسيطر على الكلام بدلا من سيطرة الكلام عليك ، لأن الكلمة متى خرجت من فمك لا يمكن إرجاعها و سترث عواقبها مدى الحياة ..أما إن احتفظت بها في عقلك و قلبك فهي تحت سيطرتك و هذه حكمة ما بعدها حكمة .. و قد أشار كثير من الحكماء لهذه النقطة الحساسة الهامة فنجد مثلاً تشبيه الكلمة بالسهم المنطلق من قوس الفم بالقول :

(هيهات يرجع سهم بعدما انطلاقا)

و نجد **عبدالله بن المقفع** يقول :

(أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني و إذا لم أتكلم بها ملكتها)

كذلك قال قيصر:

(أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت)

و حكمة الصمت ليست بالأمر الهين على الإطلاق بل يتطلب سنوات من ترويض العقل و اللسان ، كما قال الأديب **إرنست هيمنجوي** :

(يَحتاج الإنسان إلى سنتين ليتعلم الكلام وخمسين عاماً ليتعلم الصّمت)

۞ الصمت بئر عميق للأسرار :

فمادام الإنسان يغلق شفتيه فهو يحتفظ بأسراره في قلبه ، و متى فتحهما أصبحت أسراره على شفاه الآخرين يتناولونها و يستغلونها لمصلحتهم أو لتشويه صورته .. لذا نجد أستاذ الأئمة **جعفر الصادق** يقول :

(صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك)

و هذا ما نجده أيضاً في الأبيات الجميلة التالية للشاعر **العتيبي** :

فلا تودّعن الدهر سرّك أحمقاً

فإنك إن أودعته منه أحمقُ

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه

فصدر الذي يُستودع السرّ أضيقُ

❁ **الصمت يقلل الأخطاء و الزلات** : فكثرة الكلام تقتضي بالضرورة كثرة اللغو و الأخطاء و الزلات .. في حين ينجدك الصمت من كل هذا .. و من ملاحظتي للبشر من حولي توصلت إلى نتيجة خطيرة للغاية مفادها برأيي أنّ **90** % من مشاكل الناس سببها زلات اللسان أو الخوض في أمور لا دراية لهم بها و كل هذا يورث العداوة و المشاكل و الخسائر .. لذلك نجد الإمام **علي بن أبي طالب** يقول :

(من تمّ عقله ، قلّ كلامه)

كذلك نجد هذه الأبيات الرائعة للشاعر الكبير **أبي العتاهية :**

و لئن ندمت على سكوتك مرّةً

فلقد ندمت على الكلام مرارا

إنّ السكوت سلامةٌ و لربما

زرع الكلام عداوةً وضرارا

و هذه الأبيات الرائعة أيضاً **للنابغة الشيباني** :

فذو الصمتِ لا يجني عليه لسانه

و ذو الحِلمِ مهديٌّ، و ذو الجهلِ أخْرقُ

فليس الكلام سوى تجارة خاسرة ، أما الصمت فهو تاجرٌ لا يخسر كما أبدع **الإمام الشافعي** بهذه الأبيات :

وجدت سكوتي متجراً فلزمته

إذا لم أجد ربحًا فلست بخاسرِ

و ما الصمت إلا في الرجال متاجرٌ

و تاجره يعلو على كلّ تاجرِ

❁ الصمت هيبة :

الإنسان قليل الكلام يمنح نفسه الهيبة و الوقار ، كما يهبه صمته كاريزما بين الناس ، إذ يجعل الآخرين ينتظرون كلامه بفارغ الصبر .. أما كثير الكلام فيفقد هيبته بين الناس و يرجون الله أن يصمت أخيراً ..

❁ الصمت خير ردّ على السفهاء :

يقول الإمام **علي بن أبي طالب** :

(يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس، و واحد في الصمت)

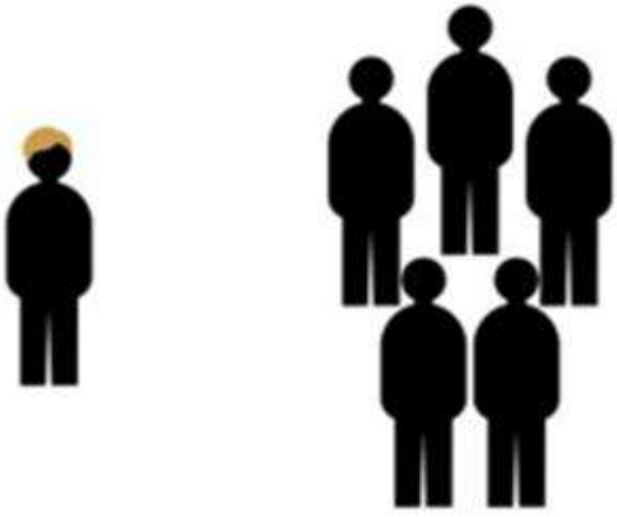

و كأنه يتحدث عن زماننا هذا بعد أن كثر السفهاء من حولنا بإهانتهم و إزعاجهم المستمر لنا و تعكيرهم لصفو حياتنا .. فالصمت في مواجهة هؤلاء هو أقوى سلاح و أفضل رد ، كما قال **الإمام الشافعي** بأبياتٍ غاية في الروعة :

يخاطبني السفيه بكلّ قبحٍ

فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهةً فأزيد حلماً

كعودٍ زاده الإحراق طيبا

و يقول أيضاً في ذات السياق :

إذا نطق السفيه فلا تجبه

فخير من إجابته السكوت

فإن كلّمته فـرّجت عنـه

وإن خلّيته كمداً يموت

❁ **الصمت مدخل إلى المعرفة** : فكثير الكلام لا يصغي لما يقوله الآخرون فلا يتعلم ، أما من يحترف الصمت فهو مستمع عظيم ينهل من علوم الآخرين من حوله كبارا و صغارا .. من جهة أخرى فإنّ الصمت

هو رحم الأفكار الجديدة الخلاقة ، تماماً كحال البحيرة التي تنظر إلى انعكاس وجهك في مياهها ، فإن كانت صافية رأيت نفسك بوضوح و إن كان فيها شيء يتحرك تشوشت الرؤية .. و كثير الكلام دماغه مشغول بالحديث و أفكاره مشوشة أما الصامت فأفكاره هادئة و صافية فتنبعث فيها أفكار جديدة خلاقة يراها بوضوح ، كما يؤكد الأديب الإيرلندي الساخر **جورج برناردشو**

(العربة الفارغة أكثر جلبة من الممتلئة)

فقليل العقل كثير الكلام .. و كثير المعرفة قليل الكلام ..

❁ **الصمت سلاح في وجه الأعداء** : قيل قديماً :

(إذا أردتَ يا بنيّ أن تشغل خصمك فكن صامتاً؛ لأن الصمت باعث على القلق و الخوف و الحيرة و الاستغراب)

و كلامك الكثير يطلع أعداءك على خططك و أسرارك و هذا أكبر عون لهم أما صمتك فيجعل رؤيتهم لك ضبابية و مشوشة .. و لربما كانت كلمات بسيطة غير مسؤولة تخرج من الأفواه سبباً في خلق عداواتٍ كبيرة

تاريخية و اندلاع حروب طاحنة تحصد ملايين الأرواح ،و نتذكر هنا أبيات **الإمام الشافعي** البليغة :

احذر لسانك أيها الإنسان

لا يلدغنّك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

و في التاريخ قصة معبرة عن هذه الفكرة جرت عام **1825** في عهد **القيصر نيقولا الأول**، حيث انفجرت مظاهرة ضخمة في روسيا للمطالبة بحقوق الشعب، فعملت السلطة على تفريقها، وجرى اعتقال أحد قادتها ويدعى **كوندارتي ريلييف** ، وحكم عليه بالإعدام..

في يوم تنفيذ الإعدام، وقف ريلييف على منصّة الإعدام و قد التفّت أنشوطة الحبل على عنقه ،و لكنه

حينما تدلى من الفتحة الخشبية، انقطع الحبل به فألقاه أرضاً، و في ذلك الزمان كانت حوادث كهذه تعدّ إشارات عن العناية الإلهية ، فمن ينجو من الإعدام بهذه الطريقة يحظى بعفوٍ رسميّ .. وحينما نهض ريلييف على قدميه مصاباً ببعض الرضوض لكن فرحاً بنجاته ، صاح في المحتشدين:

(هل ترون؛ إنهم لا يعرفون حتى كيف يصنعون حبلاً ؟) ..

توجه رسولٌ في الحال إلى القصر الشتوي حاملاً خبر الإعدام الفاشل، فانزعج القيصر لخيبة الأمل هذه و أوشك على توقيع العفو، لكنه قبل ذلك سأل الرسول:

(هل قال ريلييف أي شيء بعد هذه المعجزة ؟).

رد الرسول: (**لقد قال إنهم لا يعرفون حتى كيف يصنعون حبلاً**)، فقال القيصر: (**في هذه الحال، دعونا نثبت له العكس**) ، ومزق مرسوم العفو، و في اليوم التالي تم شنق ريلييف باستخدام حبل متين هذه المرّة.. فاستبدال ريلييف الصمت بالكلام أفقده حياته ببساطة ..

و بالنتيجة كلامك الطويل المملّ سيسقط من صفحات التاريخ و يبقى صمتك و فعلك محفوظين فيها .. تماماً كما قال المناضل **مارتن لوثر كينغ** :

(و في النهاية، لن يتذكرنا أعداؤنا بكلامنا السيء، بل بصمتنا)

من جهة أخرى فصمتك تجاه عدوك يدلّ على قوة أما كلامك الكثير فدليل على خوفك و ضعفك كما أشار **الإمام الشافعي** ببيت الشعر التالي :

ما ترى الأسد تخشى و هي صامتة

والكلب يخشى لعمري و هو نبّاح

❁ **الصمت قرين النجاح** : فكثير الكلام قليل الفعل لأنه ينشغل بكلامه ، و قليله فعال .. و هذا ما نجده على مستوى الأفراد و الدول على حدّ سواء .. فالدول المتطورة قليلة التصريحات و الهجوم على غيرها .. أما الدول الأخرى فينشغل بعضها عن العمل و تطوير الذات بالكلام الكثير و الهجوم على غيرها و تحميله مسؤولية تخلفها ..

❁ **الصمت خشوع و إيمان** : فنرى أن الشيء المشترك بين طقوس العبادة في مختلف الأديان هو الصمت في أدائها ، لأن الصمت و المناجاة في القلب

هي لغة التواصل مع الله ،و الصمت كما هو لغة عالمية مشتركة يفهمها جميع البشر هو لغتنا في كلامنا مع السماء أيضا .. أما الكلام العالي و المطوّل في العبادة فهو رياء لا أكثر ..

قال الشاعر الكبير **نزار قباني** :

(**الصمت في حرم الجمال جمال**)

و الله جميل و الجمال يحكم تفاصيل الكون و مخلوقاته ، و أعظم خشوع في مواجهة كل هذا هو الصمت برهبة و تفكّر .. لذا نجد أكبر المتصوفين و الرهبان و النسّك يقضون ساعات طوال في صومعتهم في حالة من الصمت الرهيب و الاتحاد مع الذات الإلهية .. أما مدّعو الإيمان فنجدهم يصيحون بأصوات تصمّ الآذان و قد انتبجت أوداجهم ليدعوا إلى قتال من يخالفهم المعتقد أو الترهيب من الله و تخويف الناس من جحيمه الملتهب

متناسين أن الله محبة و تسامح و تعايش و سلام قبل أي شيء آخر .. و أخيراً فالصمت وسيلة الإنسان إلى معرفة ذاته أولاً، ثم معرفة الذات الإلهية ثانياً ، و اتحاد الذاتين أخيراً كغصن يعود إلى جذعه ، كما قال الفيلسوف الصوفيّ **جلال الدين الرومي** :

(روحي تحتاج إلى الصمت لتخبرني أين أنا من كل هذا؟ الصمت فقط سيأخذني إلى صميم الحياة ، يجب أن أجعل من الصمت فناً لأُخرج نفسي من هذا المأزق الرهيب)

هذه باختصار هي أعظم فوائد الصمت عزيزي القارئ كطوق من الجواهر النفيسة و الأحجار الكريمة المتلألئة فلا تتخلى عنها بجهالة و تكون **كثير الكلام قليل المعرفة كثير الأخطاء قليل الفعل !!**

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**لسانك حصانك**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الكلام الكثير المنمّق دليل على قوة الشخصية و الفصاحة و البلاغة ، و به أنتصر في نقاشاتي و أحصّل مكاسب جمّة مادية و معنوية ، أما الصمت فهو سلاح الجبناء و ضعيفي الشخصية ..

بل أن نقول :

= الصمت قوّة ما بعدها قوّة عندما يُستخدم في المكان المناسب ، فهو حكمة و هيبة و سلامة و احترام و خشوع و معرفة و إرباك للأعداء و إغاظة للسفهاء .. و القائمة تتسع و تطول في مديح هذه الهبة السماوية المجانية التي يرمي بها الجهلاء عرض الحائط و يستبدلونها بالكلام الكثير المطوّل الذي يوقعهم في مآزق كبيرة و يصيبهم بخسائر جمة ..

يحكى أنّ ثلاثة أشخاص حكم عليهم بالإعدام بالمقصلة ظلماً ، وهم (**رجل دين ، فيزيائي ، محامي**) ..

وعند لحظة الإعدام تقدّم رجل الدين و وضعوا رأسه تحت المقصلة ، وسألوه : (هل هناك كلمة أخيرة تودّ

قولها ؟)

فقال **رجل الدين** : الله ...الله.. الله... هو من سينقذني ، وعند ذلك أنزلوا المقصلة ، فنزلت لكنها عندما وصلت لرأس رجل الدين توقفت، فتعجّب النّاس و قالوا : أطلقوا سراح رجل الدين فقد قال الله كلمته ، و نجا بذلك رجل الدين ..

وجاء دور المحامي إلى المقصلة ..

فسألوه ذات السؤال: هل هناك كلمة أخيرة تودّ قولها ؟

فقال **المحامي** : أنا لا أعرف الله كرجل الدين ، ولكن أعرف أكثر عن العدالة ، العدالة .. العدالة .. العدالة هي من سينقذني ..

ونزلت المقصلة على رأس المحامي ، وعندما وصلت لرأسه توقفت مجدداً.. فتعجّب النّاس ثانيةً و صاحوا : أطلقوا سراح المحامي ، فقد قالت العدالة كلمتها ، و نجا المحامي بدوره ..

وأخيراً جاء دور الفيزيائي ..

فسألوه مجدداً: هل هناك كلمة أخيرة تودّ قولها ؟

فقال **الفيزيائي** : أنا لا أعرف الله كرجل الدين ، و لا أعرف العدالة كالمحامي ، و لكنّي أعرف أنّ هناك عقدة في حبل المقصلة تمنع المقصلة من النزول فيزيائياً ...فنظر الجميع إلى المقصلة و وجدوا فعلاً عقدة تمنعها من النزول ، فأصلحوا العقدة ثم انزلوا

المقصلة على رأس الفيزيائي و قطع رأسه ، ليخسر حياته بتخليه عن نعمة الصمت و استبدالها بكثرة الكلام ..

لذا عزيزي القارئ استخدم هبة الصمت المجانية كثيراً في حياتك .. فهي لا تحّسن حياتك بشكل جذري نحو الأفضل فحسب بل قد تكون منجاة لك من كوارث مرعبة ربما تنتهي بخسارة حياتك نفسها بالمحصلة ..!

مغالطة استنزاف العقل

(التخيّل أهمّ من المعرفة)

= كيف هو استعدادك للامتحانات يا بنيّ ؟

= ليس جيداً ..

= لماذا ؟ أراك منهمكاً في الدراسة لساعات يومياً !!

= بلى ، لكنّ كمّ المعلومات التي يتوجّب عليّ حفظها كبير للغاية ، و بدأت أشعر بصداع و تشوّش في العقل، تخيل أن عليّ حفظ طول الأنهار و مساحة البلدان و تواريخ الأحداث و الثوابت الرياضية و القوانين الفيزيائية و بنود الاتفاقيات و المعاهدات و غيرها .. ما حاجتي لكل ذلك وهي أرقام و معلومات موجودة مسبقاً في الكتب و على الإنترنت و يمكنني الوصول إليها متى شئت ببساطة !! إنهم لا يختبرون إمكانياتي العقلية بل يختبرون إمكانياتي الحفظية ..!!

$$F \propto ma\left(\because a = \frac{v-u}{t}\right)$$

= و الفارق كبير بالفعل ، أنت محق يا بنيّ ، المناهج الدراسية بحاجة لإعادة تحديث اليوم بعد أن أصبحت

المعلومات بمتناول الجميع ببساطة في أي مكان و أي وقت ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أنك عانيت كثيراً من هذه المشكلة خلال دراستك ، عندما توجّب عليك حفظ أمور كثيرة لا فائدة من حفظها على نحوٍ يستنزف العقل و الطاقة و يشغل كامل وقتك ، فلا يترك لك مجالاً للخيال و الابتكار و الإبداع و يصبح جلّ همّك أن تحفظ القديم المتوفر بالأساس عوضاً عن رفد الحياة بالجديد الذي يغير وجه البشرية .. وهذا هو بالضبط جوهر مغالطتنا الجديدة (**استنزاف العقل**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل من الضروري بالفعل أن يحفظ التلميذ معلومات معروفة بالفعل و متوفرة بسهولة هذه الأيام ، أم أنها مجرد مغالطة كغيرها ؟!)

و الجواب المبدئي الوجيز هو :

(بالطبع لا ، فهذا جهد ضائع ، و واجب التلميذ أن يفهم لا أن يحفظ ليترك مجالاً لنفسه من الوقت و الحرية النفسية و الراحة العقلية كي يتخيل و يكتشف أشياءً جديدة تفيد البشرية)

و كي نوضح هذا الجواب بدقة أكثر سنقوم بمقاربة مغالطتنا هذه الحساسة و الخطيرة من زاويتين :

① **عيوب أسلوب التعليم الحفظي ..**

② **مزايا أسلوب التعليم الفهمي ..**

في محاولة متواضعة منا للوصول إلى أسلوب التعليم الأفضل الذي ينسجم مع زماننا الحالي **بتطوره التكنولوجي** و **تسارع أحداثه** و **ضيق وقته** .. و هذه المغالطة موجهة بشكل خاص لدعم التلاميذ الأطفال و اليافعين و الدفاع عن حقوق عقولهم المغتصبة بأنظمة تعليم خاطئة لإخراج النسخة الأفضل منها و منهم ..

إذا أخبرتك عزيزي القارئ المعلومات التالية عن القمر :

- تكوّن منذ **4.5** بليون سنة ..
- يبعد عن الأرض **240** ألف ميل ..
- محيطه **7000** ميل ..

فهل ستتذكرها بعد شهر من الآن ؟! مؤكد لا ..

أما إن أخبرتك المعلومات التالية عنه :

- ليس للقمر وجه مظلم كما يقال تجاوزاً ، فالوجه الآخر له مقابل للشمس ، فكيف سيكون مظلماً ؟!
- القمر كتلة صخرية لا تعطي الضوء ، أما نوره فهو انعكاس ضوء الشمس عليه ..
- نظرية هبوط الأمريكيين على القمر مشكوك بصحتها ، لأن الصور الملتقطة عليه تظهر علم بلادهم يرفرف ، في حين أنّ القمر لا يملك غلافاً جوياً، أي أنه لا توجد رياح أو هواء على سطحه !!

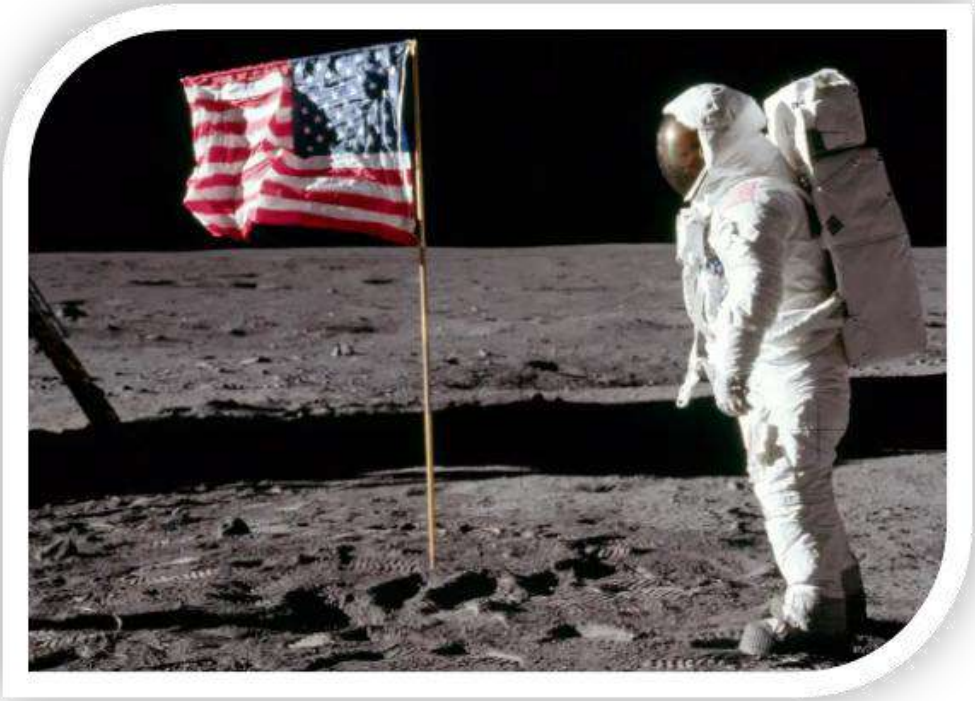

فمؤكد أنك لن تنساها طوال حياتك .. لأنك فهمتها و لا تحتاج لحفظها .. و هذ المثال هو جوهر مغالطتنا

بالضبط ، كيف ذلك ؟ تعال عزيزي القارئ لنناقش سوياً الزاويتين السابقتين بالترتيب ..

① عيوب أسلوب التعليم الحفظي :

❁ **لا فائدة من الحفظ** : و هي النقطة الأهم في مغالطتنا ، فبماذا يستفيد التلميذ مثلاً من حفظ طول نهر أو مساحة بلد أو قانون رياضي أو ... ؟! و ما الحاجة لذلك من الأساس، ما دامت هذه المعلومات - على خلاف الأزمنة الماضية - موجودة مسبقاً في الكتب و على الإنترنت و يمكن الوصول إليها في أي وقت بثوانٍ ..

❁ **جهد عقلي بلا مبرر** : فالعقل البشري له حرمته ، و على الإنسان أن يراعي ذلك فيمنح عقله الراحة الكافية فلا يجهده بحفظ كم هائل من المعلومات كي يحافظ على صفاء أفكاره ، فإن لم يفعل ذلك سبب له الحفظ المكثف الصداع و الارتباك و الإنهاك العقلي و تشوش الأفكار ، وكل ذلك بلا مبرر كما اسلفنا منذ قليل فالمعلومات متوفرة بسهولة ..!!

❁ **وقت ضائع** : فالحفظ بحاجة لوقت طويل ، و مراجعة المعلومات بالتكرار لتثبيتها في الذاكرة يحتاج وقتاً أطول ، على نحوٍ يعتدي على يوم التلميذ فلا يرتاح و لا يمارس هواية أو أي نشاط ضروري و مفيد !!

❁ **مصير المعلومات إلى النسيان** : أكثر ما يثبت غوغائية أسلوب التعليم الحفظي هو أن التلميذ سينسى عاجلاً أم آجلاً كل ما حفظه عند انتقاله من مرحلة دراسية إلى أخرى كون المعلومات لن تتكرر مجدداً ، فإن حفظ الطالب مثلاً أطوال أشهر أنهار العالم في الصف السابع فسينسى هذه الأرقام بلا شك في الصف الثامن ، فما قولك بالصف العاشر أو المرحلة الجامعية ؟! أي أن كل ذلك الوقت و الجهد العقلي ضائع بلا قيمة أو نتيجة .. و هل هنالك من اعتداء على وقت التلاميذ الثمين و سلامة عقولهم و راحتها أكثر من ذلك ؟

❁ **برمجة العقل على الحفظ يقتل التخيل** : فعندما يتم تعليم التلميذ منذ طفولته على حفظ كم هائل من المعلومات ، سيتبرمج عقله على ذلك و بالتالي **لن يلجأ إلى التخيل و التفكير خارج الصندوق** لابتكار الجديد و تطوير القديم .. بمعنى أننا نشغل التلاميذ بحفظ مكونات الصندوق المعروفة سلفاً و نشغلهم بهذه المهمة السطحية عن التفكير بعمق بالعالم الرحب خارج الصندوق ..

❁ **تأثير سلبي على الصحة النفسية** : فالتلميذ يعيش في حالة قلق دائم و مستمر من نسيانه للمعلومات أو عدم قدرته على استذكارها في الوقت المناسب ، مما يرفع سويات هرمون الكورتيزول في دمه ، هذا الهرمون السام للجسد و النفس ، و يزرع ذلك في نفسه بذرة للأمراض النفسية مستقبلاً .. دون أن نغفل تأثير العوامل السابقة السلبي على الصحة النفسية للتلميذ أيضاً (ضيق الوقت الذي يعتدي على راحته و لا يسمح له بممارسة الهوايات ، و الجهد العقلي الكبير وغيرها ..)

❁ **تنفير التلميذ من العلم و الدراسة** : فالحفظ عملية مجهدة للعقل بلا نتيجة مفيدة على أرض الواقع ، و بالتدريج سيبدأ التلميذ يكره العلم و الدراسة لأنه يعتقد بأن ما يفعله هو العلم الحقيقي ، في حين أنّ العلم دنيا مذهلة من المتعة و الاكتشاف تنعش العقل و تطور الذات و تغير نظرتنا للكون من حولنا بطريقة إيجابية ..

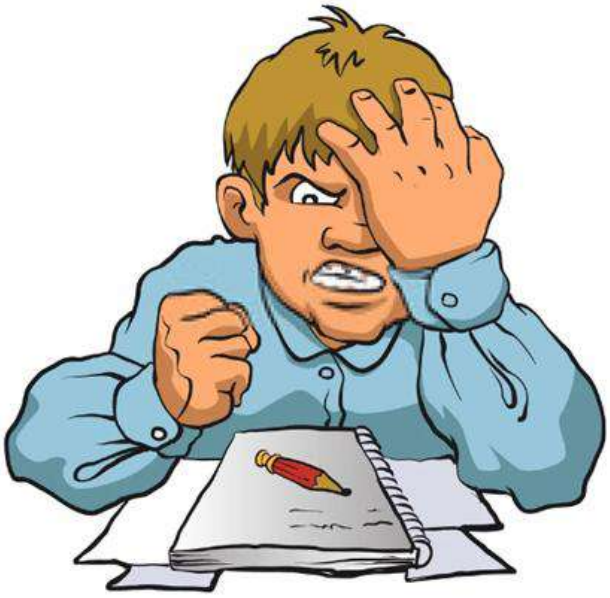

❁ **للدماغ قدرة محددة للاستيعاب** : فبغض النظر عن بعض حالات البشر الاستثنائية و النادرة التي تستذكر كل شيء بسهولة كحالة غير طبيعية ، فالعقل البشري مبرمج بفطرته على إهمال المعلومات الثانوية التي لا تخدم الإنسان و الإبقاء على المعلومات الهامة ، و في حياتنا اليومية يستقبل الدماغ آلاف المعلومات من الوسط المحيط فيعمل على إهمال ما لا يفيد منها و يشكل **99** % من المعلومات اليومية و يبقي **1** % يفيده .. في حين أن أسلوب الحفظ يعتدي على فطرة

الدماغ هذه و يجبره على تذكر كل شيء يمر عليه و هذا بلا شك يؤثر بقوة سلباً عليه ..

و القائمة تطول من عيوب أسلوب التلقين و الحفظ الببغائي و نكتفي بما سبق لأنه الأهم ، و ننتقل الآن إلى الزاوية الأخرى من مغالطتنا ..

② مزايا أسلوب التعليم الفهمي:

❁ **التخلص من كل السلبيات السابقة** : و هذا بحد ذاته كافٍ و وافٍ كي نقدر قيمة هذا الأسلوب ، فعندما ينشغل الطالب بفهم المعلومات بدلاً من حفظها ، سيرتاح عقله و يمتلك الوقت الكافي للاهتمام بأمور أخرى كهوايات و غيرها و سيحب العلم و يجده ممتعاً و سيحافظ على سلامته النفسية .. بل إنه لن ينسى ما يتعلمه ، لأن المعلومة عندما تُفهم ستنحفر في الذاكرة إلى الأبد ، أما الأرقام و المعادلات و القوانين و البنود و التواريخ و غيرها فستُنسى عاجلاً أم آجلاً ..

❁ **التخيل** : فالفهم يطلق العنان للدماغ كي يتخيل و

يفكر خارج الصندوق بحرية و هذا بلا شك أول خطوة على طريق الإبداع و الابتكار و اكتشاف الجديد ..

فنحن نريد بناء إنسان يصنع روبوتاً لا تحويل الإنسان إلى روبوت !!

❁ **ديمومة التعلم و اكتساب المعرفة :** فالتلميذ بهذا الأسلوب لا يشعر بالإجهاد العقلي من جهة ، و يشعر بمتعة المعرفة من جهة أخرى ، فيتحول ذلك إلى نمط حياة بالنسبة له يحافظ عليه حتى آخر يوم من حياته .. و حتى و إن أنهى دراسته و بدأ بالعمل ، سيتابع تطوير معلوماته إضافة إلى المطالعة العامة في مواضيع الحياة المختلفة ، أما في أسلوب الحفظ البغيض فسيشعر التلميذ عندما يتخرج و كأنه تم الإفراج عنه من سجن قميء مارس فيه الأشغال الشاقة لسنوات طويلة ،و سيرمي بالعلم و المعرفة خلف ظهره ما إن تطأ قدماه مجال العمل الواقعي في المجتمع .. و هذا هو بالضبط سبب

تراجع الثقافة و المطالعة في الشعوب التي تعتمد حكوماتها أنظمة تدريس كلاسيكية عفى عليها الزمن قائمة على الحفظ الحرفي و التكرار الببغائي ..

❁ **ستتحول الامتحانات من حالة رعب إلى حالة طبيعية للغاية** : فعند استبدال أسلوب الامتحانات السردي الذي يتطلب الحفظ الحرفي للمعلومات بأسلوب الخيارات المتعددة أو الامتحان المفتوح الذي يمكن للطالب خلاله الاستعانة بالكتب للإجابة ، ستنقلب الصورة **180** درجة نحو الأفضل من راحة و استقرار نفسيين ..

❁ **التأثير النفسي العكسي** : و هذا مبدأ بسيط يقول بأن الإنسان إن أجبر على فعل شيء سيشعر بصعوبة كبيرة و مشقة بالغة في إنجازه ، أما إن قام بهذا العمل طواعية بإرادته فسينجزه بمتعة و سهولة و يسر ، و

هذا ينطبق بدوره على الحفظ ، فإن أُجبر التلميذ على حفظ المعلومات سيجد صعوبة في ذلك ، أما في حالة لم يكن ذلك ضرورياً أو واجباً فدماغه سيستذكر بسهولة و لوحده كمية لا بأس بها من المعلومات التي يقرأها ..

و القائمة تطول أيضاً و نكتفي بما سبق على سبيل المثال لا الحصر ..

إذاً و بعد أن قاربنا الزاويتين السابقتين نصل إلى نتيجة مرضية بأنّ أسلوب التعليم **المعتمد على الفهم** هو الأسلوب السليم ، لكن السؤال الهام الذي يطرح نفسه هنا هو : ما هي **أسس هذا التعليم** و كيف نطبقه ؟!

في الحقيقة أسس هذا التعليم بسيطة للغاية و قابلة للتطبيق بسهولة و يسر و يمكن إيجازها عبر **8** نقاط :

① حذف الأرقام من المناهج و الإبقاء على الأرقام الضرورية للغاية و عدم مطالبة التلميذ بحفظها ..

② صياغة المعلومات بطريقة السؤال و الجواب ، لا سردها بشكل متواصل و ممل ..

③ وضع أسئلة ذات خيارات متعددة بعد كل موضوع لتدريب عقل الطالب على ذلك و اختبار مدى فهمه لما قرأه ..

④ الاستعانة بكثرة بصور توضيحية غير معقدة تلخص الأفكار المذكورة ..

⑤ عدم إطالة المناهج الدراسية ، بالتركيز على الأمور الأساسية التي تفيد التلميذ و اختصار شرح المواضيع ذاتها في الكتب ، و وضع ملخّص في نهاية كل بحث من عدة نقاط أساسية ..

⑥ طريقة إلقاء الدرس بشكل تفاعلي يشارك من خلاله التلاميذ فيه ، لا إلقاء من طرف واحد ممل ..

⑦ تكليف الطلاب بمهام بسيطة تركّز على إطلاق العنان للخيال و الابتكار و الإبداع ..

⑧ و الأهم ، عدم تحويل الامتحانات إلى حالة رعب حقيقية يخشاها التلميذ منذ بداية العام الدراسي ، و ذلك بمنح الطالب الوقت الكافي قبل كل امتحان و استخدام نماذج امتحانية تختبر الفهم لا الحفظ من قبيل :

- الخيار المتعدد ..
- ملء الفراغات بكلمات مفتاحية هامة ..
- صح أو خطأ ..
- مسميات الصور ..
- الامتحان المفتوح بحرية اللجوء إلى الكتب ..

بعيداً عن الأسئلة السردية التي تطالب الطالب باستذكار الكتاب حرفياً من الغلاف إلى الغلاف !!

و في صفحات التاريخ ما يدعم الخلاصة التي توصلنا إليها بقوة ، حيث نجد أنّ أغلب العباقرة جمعتهم صفة واحدة مشتركة و هي كرههم لأساليب التعليم الخاطئة و مناهجه المشوهة و التي تشوه عقول التلاميذ بالمحصلة و تحولهم إلى أجهزة غرامافون تعيد و تكرر و تعيد و تكرر.. و لم يعرف هؤلاء العظماء الإبداع إلا بتجاهل هذا النظام البائس و خلق أساليب خاصة تناسب فطرة عقولهم ..

و من الأمثلة على هؤلاء العباقرة :

❁ **إسحق نيوتن** : الذي تعثر للغاية في دراسته بسبب سوء المناهج و أساليب التعليم ، لكنه اعتمد على خياله و عالمه الخاص ليبدع و يكتشف قانون الجاذبية و غيره من قوانين الفيزياء الكلاسيكية ..

❁ **أينشتاين** : عانى كثيراً بدوره خلال دراسته و كان يبغض بشدّة أساليب التدريس المتبعة ، حتى استقلّ بعقله و أبدع ليكتشف النظرية النسبية و غيرها ..

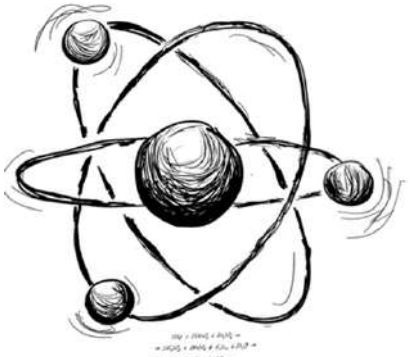

$$E = mc^2$$

❁ **توماس أديسون** : طردته المدرسة لأن عقله لم ينسجم مع نظامها التعليمي ، فقامت أمه بتعليمه في المنزل بطريقة غير تقليدية ، فأبدع و اكتشف المصباح الكهربائي و غيره..

❁ **ستيف جوبز و بيل غيتس و مارك زوكيربيرغ** :
و جميعهم تركوا دراستهم الجامعية في السنوات الأولى لعدم اقتناعهم بأسلوب التعليم المتّبع ، ليبدعوا و يبتكروا (شركة أبل) و (شركة مايكروسوفت) و (موقع **FACEBBOK**) بالترتيب ..

و غيرهم كثيرون ..

و في الحقيقة **مدارسنا عبارة عن مقابر جماعية لعقول عظيمة** تقارع عقول هؤلاء العباقرة لكننا نقضي عليها و نحجّمها بمناهج عبثية قائمة على التلقين و الحفظ و التكرار فنجعل من هذه العقول أشبه بمارد مسجون في قمقم يمسخ إمكانياته و يحرم البشرية منها ، و إن قدّر لهذا المارد أن يخرج عبر أساليب تعليم أفضل فأنا على يقين بأنه سيفعل العجائب..

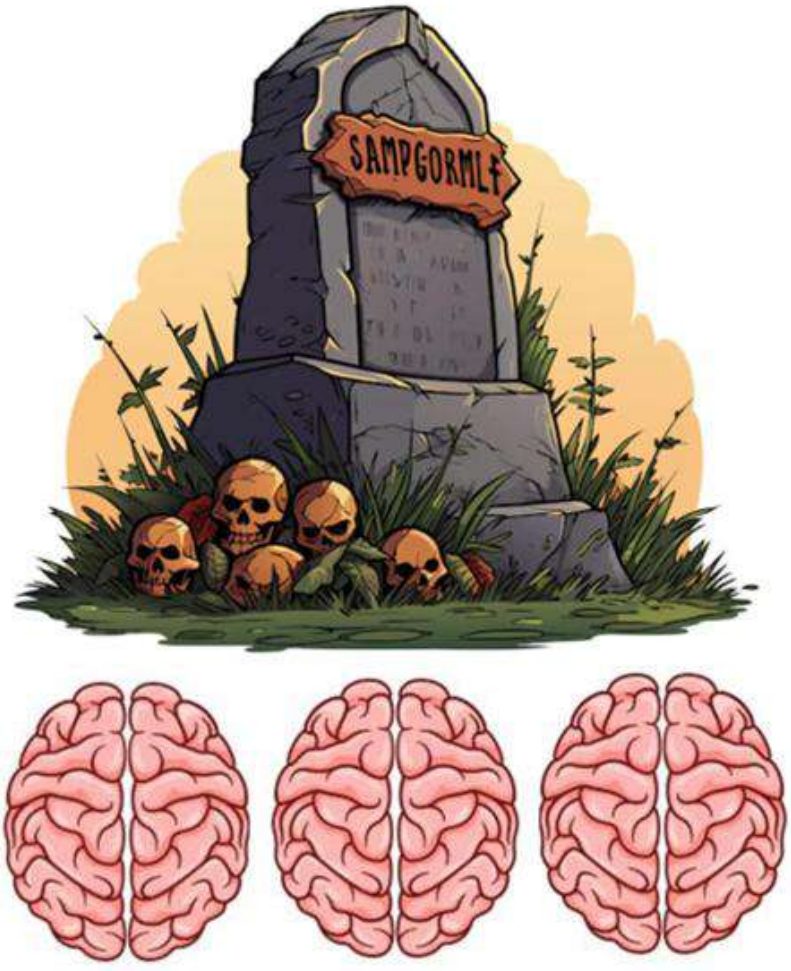

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**استنزاف العقل**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= عليك حفظ هذه المناهج حرفياً كي تتجاوز

الامتحانات و تتخرج ثم تعمل و عندها ارمِ كلّ ما سبق و حفظته خلف ظهرك ..

بل أن نقول :

= المعرفة متعة لا تضاهيها متعة ، و علينا وضع مناهج دراسية تشجع التلاميذ على الفهم و التخيل لا الحفظ الأجوف لمعلومات قديمة متوفرة بين أيديهم ، كي يبدعوا و يبتكروا ما هو جديد ، و الأهم أن يمتلكوا الرغبة للاستمرار بالتعلم و اكتساب المعارف حتى آخر لحظة من حياتهم ..

يقول العالم **ألبرت أينشتاين** :

(**التخيل أهم من المعرفة**)

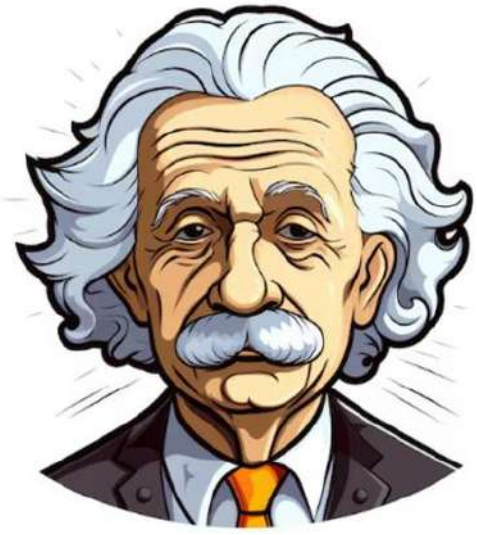

و لولا خياله الواسع الذي تبناه بالفعل لما تمكّن من كسر القواعد العلمية المتعارف عليها و خلق قواعد جديدة غيرت وجه العلم ، و هذه المقولة السابقة شرحها أينشتاين نفسه عندما سأله أحدهم ذات يوم باستنكار عقب عجز أينشتاين عن تذكر قانون رياضي :

(كيف تنسى هذا القانون و أنت أستاذ في الرياضيات و الفيزياء ؟!)

فأجابه أينشتاين ببساطة :

(و ما المشكلة في ذلك ؟ لماذا يتوجّب عليّ حفظ قانون موجود مسبقاً في الكتب ؟!)

و هذا ببساطة هو خلاصة مغالطتنا عزيزي القارئ :

(لا تحفظ بل افهم و تخيّل) ..

مغالطة ابتسامة

الموناليزا

(smiles)

= وقف السائح في متحف اللوفر مطولاً أمام لوحة الموناليزا و هو يفكر بينه و بين نفسه : **ما هو الشيء المميز في هذه اللوحة حتى يعتبرها البشر أشهر لوحة في التاريخ ؟! إنها مجرد لوحة لفتاة عادية الجمال !!**

و لدهشته جاءه الجواب من المرشد السياحي خلفه ..

= الموناليزا ، اللوحة الغامضة التي حيرت الملايين ..

التفت إليه و ابتسم ..

= محق سيدي .. ما سرّ هذه اللوحة بالفعل ؟!

= إنها ابتسامة الموناليزا يا صديقي ..

= ابتسامتها ! ما خطبها ؟!

= ألا تلاحظ أنها تتأرجح بين الجدية و الدبلوماسية و اللطافة .. و بين الحزن و الفرح .. بل يقال أن السرّ الأكبر فيها أنك لا تلحظها بشكل واضح إلا إذا ركزت نظرك على تفاصيل أخرى في اللوحة ..

= لم أفهم يا سيدي !!

= إنّ العين البشرية تستخدم نوعين من التقاط الصور البصرية، وهما **النظر المباشر والنظر غير المباشر**، و طريقة النظر المباشر ممتازة في التقاط التفاصيل، لكنها غير صالحة لالتقاط درجات الظل والمساحات المتدرجة للألوان كتلك المستخدمة في لوحة الموناليزا و التي تجعل ابتسامتها أوضح عندما تنظر إليها بشكل غير مباشر.. و البعض يقول أنّ سرّ ابتسامتها الغامضة هذه أنها كانت مصابة بمرض معين كداء باركنسون أو قصور الغدة الدرقية ، و الأهم من ذلك كله أننا نجهل أيضاً سبب ابتسامتها من الأساس .. !!

= ربما ألقى عليها دافنشي دعابة ..

= ربما .. و ربما هي ابتسامة دافنشي الغامضة نفسه أمام الجمهور المتفرجين على لوحته .. فيشاع عن هذه اللوحة أن دافنشي رسم فيها نفسه على هيئة أنثى .. في حين يؤكد الآخرون على أنها شخصية حقيقية تدعى **ليزا جيراردیني** ..

= مذهل !!

= أجل .. بجميع الأحوال فابتسامة الموناليزا تدفع الجميع للابتسام و التفاؤل و هذا بحد ذاته جانب من جوانب أسطورتها و سبب من أسباب شهرتها .. فالابتسامة هي أقوى سلاح عرفته البشرية على مر العصور .. وفوائدها لا تعد و لا تحصى كما تعلم سيدي ..

= بلا شك !!

*****

يقول نبي الرحمة **محمد** :

(**تبسّمك في وجه أخيك صدقة**)

فما هو سر الابتسامة الغامض الذي يرفعها إلى هذه المستويات العظيمة ..؟!

هذا السر هو ببساطة جوهر مغالطتنا الجديدة ،

(**ابتسامة الموناليزا**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(الصعاب و المنغّصات تحيط بحياتنا اليومية من كل حدبٍ و صوب ، فهل هذا يبرر لنا عبوسنا و تجهمنا في وجه الآخرين ، أم أنّ هذه الفكرة

مجرد مغالطة جديدة تنضم إلى عائلتنا)

إنّ الجواب المبدئي الوجيز كالعادة على هذا السؤال هو من وحي مقولة نبي الرحمة :

(للابتسامة فوائد جمة تحظّر عليك العبوس ، لذا لا تحرم نفسك و الآخرين منها)

ما هي هذه الفوائد العظيمة للابتسامة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه عبر الصفحات التالية :

❁ **الابتسامة مجانية و بأقل طاقة ممكنة**: تخيل عزيزي القارئ أنك تملك خزائن الأرض كلها ثم يطلب منك إنسان محتاج بعض المال كي يسد رمقه فتمتنع عن فعل ذلك ، هذا هو بالضبط ما تفعله عندما تقابل الآخرين فتعبس و تتجهم في وجوههم ، فأنت تملك ثروة من الفوائد في ابتسامتك و تحجم عن منح بعضها للآخرين رغم أن الابتسامة مجانية و لا تكلفك شيئاً !!

بل إنّ عدد العضلات التي يستخدمها الإنسان في التجهّم أكبر بكثير من العضلات التي يستخدمها للابتسام ، أي أنك بعبوسك ستستنزف طاقتك حرفياً .. فابتسم للآخرين لأن ابتسامتك تساوي ثروة حقيقية !!

❁ **الابتسامة مدخل إلى السلام** : تقول الأم تيريزا العظيمة :

(السلام يبدأ بابتسامة)

و هذا ينطبق على تحية الآخرين و أيضاً على إنهاء الحروب و الخصام و إحلال السلام مكانها ..
فالابتسامة الحقيقية دليل على النية الخيّرة و صدق المشاعر .. لذا يقال عن الشخص المبتسم بأنه لطيف و مسالم ، و عن الشخص المتجهّم و العبوس بأنه عدواني يقاتل نفسه قبل الآخرين !

❁ **الابتسامة جاذبية و كاريزما و ثقة**: فالابتسامة بلا شك تمنحك سحراً خاصاً و كاريزما تقربك من قلوب الآخرين كما أنها دليل على ثقة عارمة في داخلك ، و لا عجب أن يقول **لي ميلدون**:

(الناس لا ينظرون لملابسك ما دمت تملك ابتسامة كبيرة)

و أن يقول **تشارلز غوردي** أيضاً :

(الابتسامة هي أرخص طريقة لتغيير مظهرك)

كذلك نجد **مارتن تشارنين** يقول :

(لن تكون في أفضل هندام حتى تبتسم)

و كل هذه الأقوال تصب في محرق واحد و هو أن الابتسامة تتفوق على أي شيء آخر في مظهرك بدءاً من شكلك انتهاءً بملابسك فتمنحك جاذبية و قبولاً من قبل الآخرين .. إنها كطوق من المجوهرات تتزين به !

❁ **الابتسامة تزيد فرصك في العمل** : ففي أي مقابلة توظيف ستكون ابتسامتك أهم بطاقة تستعملها للتأثير على صاحب العمل ، لأنها كما ذكرنا آنفاً تعبد طريقك إلى قلبه و تدل على ثقتك بنفسك و بكفاءاتك المهنية ..

❁ **الابتسامة تذيب جليد العلاقات** : يقول **فولتير** :

(الابتسامة تذيب الجليد و تنشر الارتياح و تبلسم الجراح انها مفتاح العلاقات الإنسانية الصافية)

و هذا صحيح على أرض الواقع ، فغالباً ما نجد طبقة جليدية بين الناس الغرباء تجعل تواصلهم مع بعضها معقداً و عسيراً ، لكن ابتسامة واحدة كفيلة بإذابة تلك

الطبقة و تحطيم العقبات بينهم كي يتعرفوا على بعضهم أكثر و تبدأ علاقة اجتماعية و إنسانية بينهم بدلاً من العلاقة الأولية الرسمية و الدبلوماسية !

❁ **الابتسامة ترفع هرمون السعادة** : التجهم و العبوس يرفعان نسبة هرمون الكورتيزول في الدم ، ذلك الهرمون السام الذي يدمر النفس و الجسد معاً فيرفع الضغط الشرياني و يرمي بظلال الاكتئاب على روحك و يعرضك للسكتات الدماغية و الجلطات القلبية و يجعلك تعاني من نوبات تشنج الكولون المؤلمة و غيرها من الأمراض ، أما الابتسامة الصافية فترفع هرمون السعادة (السيروتونين) في دمائك فيشعرك ذلك بالبهجة و التفاؤل و الإيجابية و ينظم وظائف أجهزة الجسم و يريح النفس و الروح معاً فتعيش حياةً سعيدة و صحية ، كما يقول **فيليس ديلر**:

(الابتسامة هي المنحنى الذي يجعل كل شيء مستقيماً)

❁ **الابتسامة هدية للآخرين ترفع همتهم** :

صدقني عزيزي القارئ أنك تجهل تأثير ابتسامتك السحري في وجه شخص محبط و مكتئب ، فهي كفيلة بتغيير مزاجه و منحه طاقة إيجابية و ثقة هو بأمسّ

الحاجة لها فكما يقال :

(السعادة معدية)

و أيضاً نجد **جاكسون براون** يقول :

(أعطِ الناس ابتسامة فقد يكون هذا أفضل ما يجده أحدهم طوال يومه)

كذلك يقول الأديب الكبير **غابرييل غارسيا ماركيز**:

(لا تتوقف عن الابتسام حتى وإن كنت حزينا فلربما

فتن أحد بابتسامتك)

❁ **الابتسامة انتصار للخاسرين** : فكما يقال :

(عندما يبتسم المهزوم يفقد المنتصر لذة الانتصار)

كذلك نجد **شكسبير** يقول :

(عندما يبتسم المسروق فإنه يسرق شيئاً من اللص)

فتخيل قوة الابتسامة الهائلة هذه التي تحيل هزيمتك إلى انتصار بمنتهى البساطة !!

❁ **الابتسامة إيمان** : يقول البارئ في وصف المؤمنين :

(وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة)

فالمؤمن مبتسم و متفائل على الدوام لأنه واثق من إيمانه من جهة و من خالقه من جهة أخرى .. و أسهل طريقة للسعادة و الابتسام في الحياة هو الإيمان عزيزي القارئ و التسليم برضا بقضاء الله و قدره ، و هذا ما أكد عليه **الفيلسوف زينون الرواقي** مؤسس الفلسفة الرواقية بعد تجربته الطويلة في الحياة ..

❁ **الابتسامة لغة عالمية** : قد يختلف البشر حول العالم بلغاتهم و لهجاتهم و لربما وجدت نفسك غريباً بينهم بجهلك للغتهم ، لكن الابتسامة السحرية لغة عالمية يفهمها الجميع و توصل مشاعرك إلى قلوبهم دون أن تنطق بأي كلمة !!

❁ **الابتسامة دواء** : فكما سبق و شرحنا منذ قليل فالابتسامة شفاء للجسد و النفس و الروح ، ليس ذلك فحسب ، بل أظهرت الدراسات العلمية بأن الابتسامة منعكس بشري كالتثاؤب تماماً ، فأنت عندما تجد شخصاً يبتسم ستبتسم بشكل لا إرادي بدورك ، بل أكثر من ذلك ، حتى إن كنت منزعجاً و محبطاً فابتسامتك و

إن كانت غير حقيقية ستحسن مزاجك و تغيير أفكارك السوداوية بشكل انعكاسي و آني أيضاً !! و الابتسامة تقوي الجهاز المناعي و تحرر الأندروفينات التي تقتل الألم و تساعد على الهدوء النفسي و التركيز و التفكير بحكمة و منطق !!

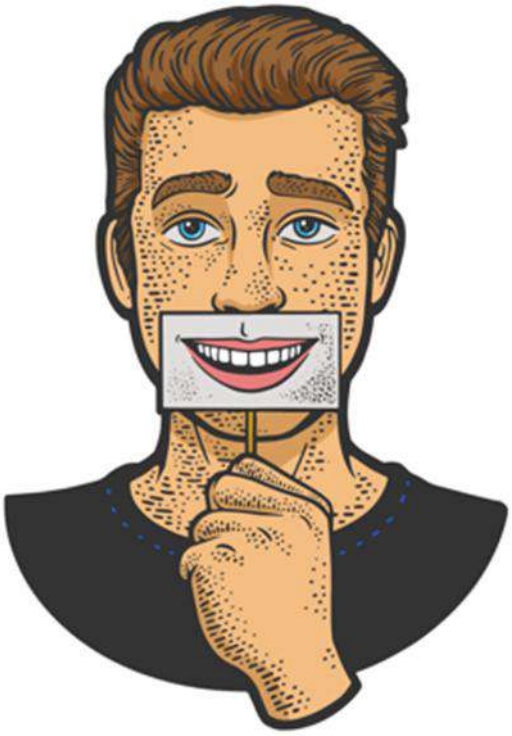

و بسبب قوة الابتسامة و تأثيرها السحري على البشر و فوائدها الجمة التي ذكرنا بعضها آنفاً ، نجد أن الكوميديا هي أم الفنون و الأكثر رواجاً و قابلية من قبل البشر ، و خير دليل على ذلك هو الابتسامة الساحرة لممثلين كثر و التي لعبت دور جواز سفر لهم إلى قلوبنا كحال **عادل إمام** و **نضال سيجري** و **روان أتكينسون (مستر بين)** و **تشارلي شابلن** و **ماتيو بيري** و **جيم كيري** و غيرهم .. بل نجد البشر في

المواقف الصعبة يميلون إلى إلقاء الدعابات كسلاح لا يضاهى لتذليل العقبات و تغيير حالة المزاج السوداوية السائدة .. بل أصبح للنكات شخصياتها الشهيرة كالحماصنة و الصعايدة و أبو العبد و جحا و غيرهم ☺ ، و اليوم هنالك نوادٍ خاصة لإلقاء النكات يرتادها الناس للتفريج عن همومهم و أحزانهم أو ما يعرف بمصطلح :

STAND UP COMEDY

و بسبب هذا التأثير الإيجابي الساحر للابتسامة نجد بعض الجهات العالمية تروج لفلسفة الكآبة و الإحباط ، فنجدها مثلاً تروّج منذ فترة من الزمن **لفلسفة الإيمو** السلبية و هدفها نشر اليأس والحزن والانطواء في قلوب

المراهقين واجبارهم على التقيد بلباس أسود مليء برموز الشياطين والجماجم وعمل تسريحة بالشعر تظهر عين واحدة وتخفي الأخرى حتى يصلوا بالمراهقين إلى الميول الانتحارية ، فيشيرون فقط إلى الأجزاء المظلمة السوداوية من الحياة و يعانون من الاضطرابات النفسية و العزلة .. و بالتالي أنت تدمر المجتمع بتدمير جيله الصاعد بدون أن تطلق رصاصة واحدة !!

في عام **2013** كتب سفير الصين في أمريكا على حسابه على موقع التواصل الاجتماعي :

(هنالك سفيران للصين في أمريكا ، أنا و الباندا)

و هذا ما يدعى **بدبلوماسية الباندا** و هي استخدام الصين للباندا الظريفة كهدايا دبلوماسية للدول الأخرى بهدف تقوية العلاقات فيما بينها ، حيث قامت الصين عبر التاريخ بتصدير ابتسامة الباندا لدول العالم كمبادرة سلام و نوع من الترويج لنفسها بأنها دولة مسالمة و لطيفة معتمدةً على قوة الابتسامة السحرية التي تحدثنا عنها آنفاً ، لأن الباندا يبتسم دائماً و لا يأبه للخطوب من حوله مهما كثرت .. فقد أهدت امبراطورة الصين **وو زيتان** زوج من الباندا لليابان في القرن **7** .. ثم أهداها الزعيم **ماو تسي تونغ** لروسيا و كوريا الشمالية في خمسينيات القرن المنصرم .. و بعدها أهدت الصين للولايات المتحدة الأمريكية زوجاً من الباندا عام **1972** و الذي سبب هناك ما عرف **بجنون الباندا !!**

لذا تمثل عزيزي القارئ بهذه العادة الجميلة للباندا و ابتسم دائماً في وجه الناس من حولك كي تستفيد أنت و هم من فوائد الابتسامة الهائلة .. و لا تكن كالإيمو متجهماً و عبوساً تنشر الطاقة السلبية في أعماقك و في كل شيء من حولك .. أي اجعل الابتسامة عادة ثابتة في حياتك ..

هنالك دعابة لطيفة في الغرب تقول بأنّ أطول كلمة في اللغة الإنجليزية هي :

(**SMILES**)

لأن هنالك ميلاً كاملاً (**MILE**) بين أول حرف فيها **S** و آخر حرف منها **S** ، و بالفعل بين طرفي ابتسامتك تقبع قائمة طويلة للغاية من الفوائد لك و لغيرك فلا تبخل بها على أحد و تصدق بها على الجميع فهي مجانية بالنهاية !!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**ابتسامة الموناليزا**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= كيف أبتسم و الصعاب و المنغصات من حولي في كل مكان ؟!

بل أن نقول :

= إن كان لي هم عظيم ففوقه ربّ أعظم .. لذا عليّ التفاؤل و الابتسام على الدوام فللابتسامة مفعول سحري عليّ و على الآخرين ..

يشاع عن الرئيس المصري السابق **جمال عبد الناصر** أنه كان يطالب معاونيه بإدخال آخر نكتة دارجة في المجتمع يومياً مع المستندات و الوثائق الرسمية المهنية ، لأنه كان يؤمن بأن النهار الذي يبدأ بابتسامة ينتهي بابتسامة أي تتوسع الابتسامة لتشمل ساعات اليوم كلها .. و هذه العادة عند الرؤساء في الحقيقة أقدم من ذلك بكثير ، فيشاع عن حاكم مقدونيا **فيليبوس الثاني** أنه كان يطلب من كاتبه تدوين نكات نادي الفكاهة ليستمتع بها في ما بعد و هو ما تم بالفعل، إلا أن الكتاب فقد في عصور لاحقة.. أما أقدم كتاب للنكت في التاريخ ما زال موجوداً إلى يومنا هذا فهو **كتاب فيلوجيلوس**، والذي يتكون من **264** نكتة يونانية قديمة تعود إلى القرن **4** قبل الميلاد ، و من نكات هذا الكتاب الطريفة نذكر

اثنتين ، الأولى :

(سأل حلاق زبونه: كيف تريدني أن أحلق لك سيدي ، فرد الزبون: بصمت، و في ذلك إشارة إلى ثرثرة الحلاقين المزعجة أحياناً للزبائن)

و الأخرى :

(التقى الإمبراطور الروماني بشبيه له في الشارع فسأله: هل كانت والدتك تعمل في القصر يا هذا ؟ فأجابه الشبيه: لا، بل والدي كان يعمل يا أنت !!)

أما من نكات زماننا الراهن فأدعك عزيزي القارئ مع هذا السؤال الذي لا يجيب عليه إلا الأذكياء فقط :

تزوج شخص إيرلندي من فتاة كورية و انتقلت للعيش معه في بلفاست .. في أحد الأيام ذهبت إلى محل اللحوم و الألبان و الأجبان لأنها أرادات أن تشتري أفخذه دجاج للطهي ، لكنها لا تتقن اللغة الإيرلندية بعد ، لذا رفعت ثوبها إلى الأعلى و اشارت للبائع إلى فخذها ففهم أنها تريد شراء أفخذه و باعها ما تريد ..

في اليوم التالي ذهبت لشراء البيض من نفس المتجر فأخذت زوجها معها إلى البائع ، لماذا ؟

.

.

لأن زوجها إيرلندي ببساطة فسيشرح للبائع ما تريد يا صاحب الظنّ العاطل ☺

مغامطة سافانت

(خرافة 5 %)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= مقال غريب للغاية عن إحدى شخصيات التاريخ المميزة و التي يجهلها أغلب الناس ..

= أثرت فضولي بحق .. من هي هذه الشخصية ؟!

= إنه **ألونزو كليمونز** ..

= و ما المميز في هذا الرجل ؟!

= يمكنه أن ينحت لك تمثالاً لأيّ شيء بدقة عالية ..

= و ما الغريب في ذلك ؟ مئات البشر حول العالم يفعلون ذلك ..

= أعلم ، لكن الغريب يكمن في قصته ..

= أنت تعرف كيف تستفز عقلي لمعرفة المزيد .. زدني بالمعلومات ..

= ولد ألونزو في أمريكا عام **1958** ، كانت طفولته عادية كبقية الأطفال حتى أتى يوم غير حياته جذرياً ، حيث سقط من ارتفاع كبير إلى الأرض و أصيب بأذية دماغية شديدة ، جعلت ذكاءه لاحقاً بمقياس **IQ** لا يتجاوز **40** و تطوره الذهني ثبت عند عمر **6** سنوات ، فتأخر تطوره لدرجة عجز عن ربط حذائه بنفسه ..

= و بعد ؟!

= بعد فترة قصيرة من الحادث ظهرت عند الطفل ألونزو موهبة جديدة من العدم ، و هي قدرته على

نحت أي شيء تريده بدقة مذهلة ، و الأغرب أنه يقوم بفعل ذلك بمجرد أن ينظر إلى المجسم المطلوب لثوانٍ فقط حيث يحفظ دماغه أدق التفاصيل مباشرة .. و لديه اليوم إرث هائل من المنحوتات المذهلة و لا يزال على قيد الحياة كي يذهلنا أكثر ..

= مدهش !! من أين أتت هذه الموهبة ؟ تقول أنه لم يكن يملكها قبل الحادث ، و الحادث أتلف دماغه ، فمن أين أتت بحق السماء ؟!

= يقول المقال أن هذه الحالة تدعى **متلازمة الموهوب (سافانت)** و تصيب أطفال التوحد أو من تعرض لأذية دماغية شديدة ، حيث تدخل مناطق جديدة من الدماغ في الخدمة ، أو تتطور مناطق سابقة في عملها بشكل كبير كما حدث مع صديقنا ألونزو بالضبط ..

= سبحان الله .. لكن أتعرف ما هو الشيء الأكثر

إذهالاًفي القصة كلها ؟

= ماذا ؟!

= بنية الدماغ البشري و وظائفه ، يبدو أن البشر لا يزالون يجهلون الكثير عنها حتى اليوم ..

= محق تماماً !!

*****

يدّعي البعض أن البشر اكتشفوا بنية الدماغ البشري و وظائفه بالكامل ، مما يدفعهم للقول بجزم أنّ فكرة استخدام البشر لنسبة **5** % فقط من عقولهم هي محض خرافة .. فهل هذا الكلام صحيح بالفعل ، أم أنه مغالطة جديدة بدورها تضاف إلى جوقة مغالطاتنا كعازف جديد على آلة جديدة ؟ .. هذا ما سنحاول أنا و أنت عزيزي القارئ أن نكتشفه خلال الصفحات التالية كي نجيب على سؤال مغالطتنا الجديدة (**سافانت**) الجوهري :

(هل الإنسان بالفعل يستعمل فقط 5 % من إمكانياته العقلية في أحسن أحواله كحال العباقرة ؟! أم أنه يستخدمها كلها ؟! أم أنه يستخدم أقل من هذه النسبة بكثير ؟!)

و سنحاول إنجاز ذلك عبر مقاربة مغالطتنا من زاويتين هامتين للغاية :

- **نظرية تدرّج القدرة ..**
- **براهين و أمثلة على القدرات الكامنة للدماغ ..**

فهيا بنا نسبر أغوار العقل البشري في هذا التحدي المثير ..

❁ نظرية تدرج القدرة :

و هي نظرية بسيطة للغاية ، لا شك أنك لاحظتها بنفسك في حياتك اليومية عزيزي القارئ .. تخيل أنك تملك مذياعاً صغيراً تستمتع بأنغام الموسيقى عليه ، لكنك تتذمر من أن صوته ضعيف و تقتنع بأن هذا العيب هو في تصميمه ، و في ذات يوم تكتشف بالصدفة زراً مخفياً في الجهاز و عندما تضغط عليه يبدأ الصوت بالارتفاع تدريجياً لتُحل مشكلتك كلياً و تدرك أن العيب كان فيك و ليس في المذياع ..

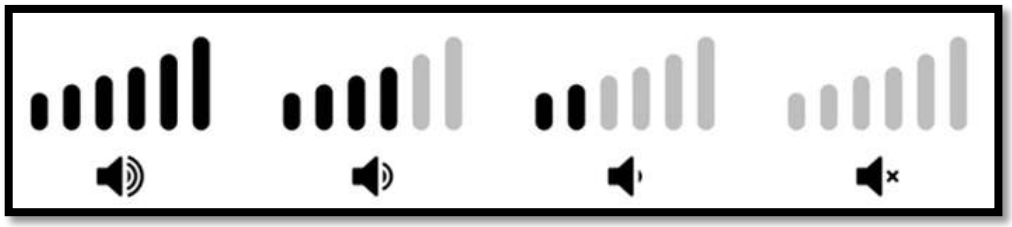

هذا هو بالضبط جوهر نظرية تدرّج القدرة .. هنالك أزرار لكل شيء في الحياة ،عندما تضغط عليها تزداد قدرة الشيء تدريجياً ، من الصوت إلى سطوع الشاشة أو صنبور المياه أو دواسة البنزين في السيارة أو حرارة الفرن الكهربائي أو سرعة دوران المروحة و غيرها .. هكذا تتدرج القدرة في كل شيء ، لكن هل

ينطبق ذلك على الدماغ بدوره ، أي هل يمكن زيادة القدرات العقلية تدريجياً بالفعل ، أم أن الإنسان كما يقول البعض يستعمل **100** % من عقله ؟!

للإجابة على هذا السؤال ننتقل إلى المحور الثاني في مغالطتنا ..

❁ براهين على قدرات الدماغ الكامنة :

لماذا هنالك بشر موهوبون للغاية في بعض المجالات دون غيرهم من حساب أو رسم أو عزف أو تعلم لغات و غيرها .. ؟

أغلب الناس سيجيبون على هذا السؤال بالقول **(لأن بعض مراكز الدماغ لديهم أكثر تطوراً من غيرهم بالأساس)** .. فهل هذا الجواب صحيح ؟

في الحقيقة ، لا ..

و كي نبرهن على ذلك سنلجأ إلى **متلازمة سافانت** التي تحدثنا عنها في مطلع مغالطاتنا مجدداً، ففي هذه المتلازمة يكون الشخص قبل الحادث الذي يتعرض له معدوم الموهبة تماماً ، لتظهر موهبة منقطع النظير لديه بعد الحادث مباشرة .. ما معنى ذلك ؟

ببساطة هذا يؤكد بشكل حاسم لا غبار عليه أن الدماغ البشري - أي دماغ بشري - يحمل في طياته كل شيء ممكن على شكل طاقات كامنة بحاجة لفتيل إشعال كي تتفجر تدريجياً و **الحادث يتكفل بهذه المهمة** ، بمعنى

أن العلماء حتى يومنا هذا يجهلون تماماً إمكانيات الدماغ البشري و كيف يحرضون مراكزه المختلفة كي تعبر عن نفسها بصورة متدرجة صعوداً ، و هذا يقودنا إلى حقيقة أخرى مذهلة بأن الإنسان العادي لا يستعمل من إمكانيات دماغه سوى **0.0000000000001 %** و ربما أقل ، بل إن القول أن عباقرة التاريخ يستعملون **5** % منها هو باطل بحد ذاته ، فهم يستعملون بعض هذا الإمكانيات أكثر من غيرهم لا غير .. و الحقيقة الأكثر إذهالاً هنا أنّ عبارة (**دماغ العباقرة**) مميز ، هي عبارة خاطئة ، و الصحيح أن نقول (**الدماغ**) بتركيبه مميز ، بل إنّ كلّ إنسان يحمل فوق جسده في صندوق جمجمته كنزاً مجانياً لا يقدر بثمن ألا و هو الدماغ، الكنز القادر حرفياً على كلّ شيء ، لكننا لا نمتلك مفتاح الصندوق حتى هذه اللحظة .. و الشيء المفائل في الحكاية أنه مفتح مفقود و ليس غير موجود ، بمعنى أننا سنعثر عليه لا محالة في قادم الأيام و السنين كما عثرنا على مفاتيح صناديق غامضة غيره من قبل ..

من المهم و الجميل الآن أن نقارب مفهوم الطاقات الكامنة و التوحّد العبقري و متلازمة سافانت من زوايا أخرى عبر مجموعة من الأمثة :

① **هرمونات الشدّة** : قد ترى الإنسان أمامك منهكاً من التعب و يشكو من قلة الطاقة متيقناً بأن قدراته في

الحضيض و بطاريته منتهية الشحن ، لكنّ زلزالاً بسيطاً في مدينته سيجعله أسرع من **العداء الجمايكي بولت** نفسه في النزول من منزله إلى الشارع فمن أين أتت هذه الطاقة كلها ، من العدم ؟! بالطبع لا فالطاقة لا تفنى و لا تخلق من العدم ، بل هي طاقات كانت كامنة و نائمة في أعماقه تنتظر فتيل إشعال كي تتفجر بضخّ فيضان من هرمونات الشدة كالأدرينالين و الكورتيزول الكفيلة برفع مستويات القدرة لديه إلى الذروة !! و هذا يكافئ الطاقات الكامنة في دماغك ، تحتاج لدفعة قوية فقط كي تستيقظ و تجري ..

② **بناء العضلات و بناء الدماغ** : بناء الأجسام في **GYM** لا يختلف عن بناء الدماغ ، فعندما يركز الشخص النحيل على عضلاته فيرفع الأثقال بطريقة صحيحة يومياً ستتضخم هذه العضلات تدريجياً ، و هذا ما نجده عند مرضى التوحد ، فهم بانغلاقهم على ذواتهم و عدم تواصلهم مع المحيط من حولهم ، فإنهم

يلتفتون إلى هذه الإمكانيات و يمسحون الغبار عنها ثم يطورونها تدريجياً بالتدريب المزمن على مدار الساعة ثانية بثانية ، دون أن ينتبه المحيط لذلك ، حتى يبدعوا في مجالات معينة ، بمعنى آخر الإنسان العادي بضغوط حياته و تشعب تفكيره و الإكثار من الكلام و اللغو يتجاهل هذه الإمكانيات فيبدد قدراته عشوائياً هنا و هناك على أمور فارغة .. و هذا ما يفسر مثلاً ميل الأذكياء ذوي نسبة **IQ** عالية إلى العزلة عن المجتمع ، ببساطة هم يريدون التركيز على قدراتهم لتطويرها بالتدريج فيرفعوا أثقالهم العقلية، لقد وجدوا زرّ مذياعهم الخاص أخيراً و يريدون رفع صوته على عكس بقية البشر المتذمرين من ضعف الصوت !!

③ **ارتقاء الهرم العقلي** : عندما تكون واقفاً في مدخل برج شاهق الارتفاع، لنقل مثلاً (**برج إيفل**) ، فإنك سترى فقط الساحة أمامه ، لكنك كلما تدرجت بالصعود

طابقاً تلو الآخر ستبدأ برؤية تفاصيل جديدة حتى تصل قمة البرج فترى مدينة باريس بكاملها منبسطة أمام عينيك برموزها و معالمها ..

و هذا هو حال الإنسان عندما يتدرج في اكتشاف إمكانياته العقلية ، كلما ارتقى درجة جديدة سيرى خفايا جديدة من أعماقه و من الكون من حوله ..و عندما يصل قمة الهرم العقلي **سيتوحّد حينئذ مع الذات الإلهية** (**العقل المطلق**) الذي يعرف كل تفصيل من الكون بدقة لا متناهية ، سيصبح الإنسان عندئذ **متوحداً مصاباً**

بمتلازمة سافات في كافة أقاليم العلوم و الحياة قاطبة

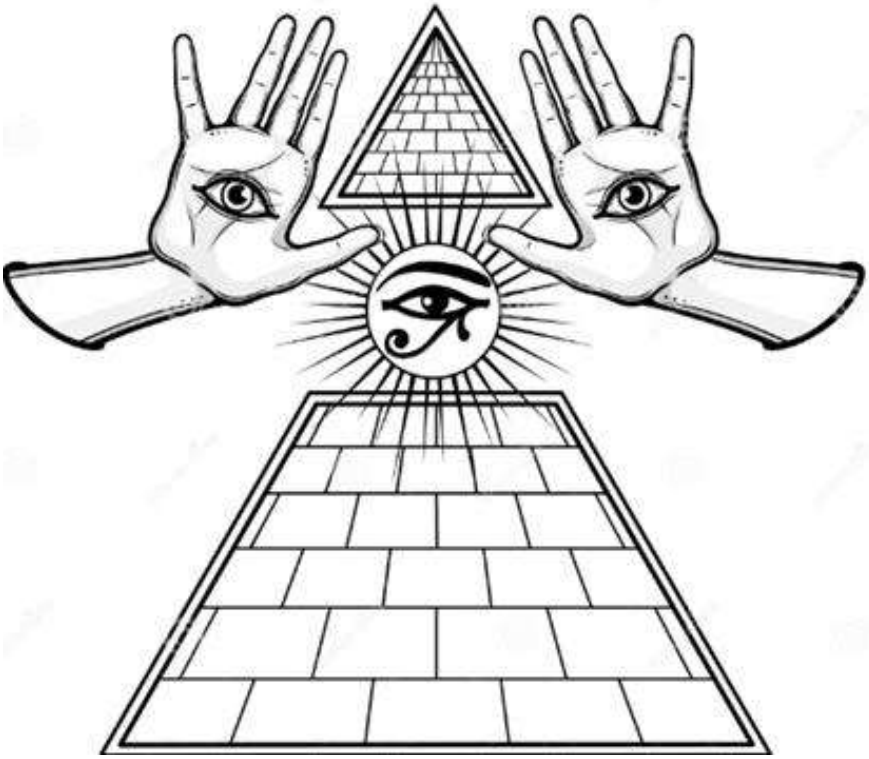

④ **البذرة و البويضة الملقحة** : فهذه بالنسبة لنا أشياء صغيرة بلا قيمة ، لكنها تحمل في جيناتها أشجاراً باسقة أو إنساناً كاملاً .. و للدماغ جيناته الخاصة التي تعبر عن نفسها في ظروف محددة فقط (توحد أو حادث أو تدريب عقلي مزمن و مستمر) كما البذرة تماماً، لتنبثق منها شجرة باسقة من الإمكانيات العقلية المذهلة ، و كما تمكن العلم من دراسة الخريطة الجينية للإنسان على نحوٍ كبيرو بات قادراً على التلاعب بها لاجتراح المعجزات حرفياً، سيأتي يوم يكتشف فيه الخريطة الجينية للدماغ أيضاً أي إمكانياته المحفوظة في حالة سبات و طريقة إيقاظها ، و عندها سنرى بأم العين كماً هائلاً من المعجزات الجديدة يتحقق عندما

تتطور بذرة الدماغ التي نجهل إمكانياتها الهائلة الكامنة في قلبها ضمن جيناتها إلى شجرة من الإمكانيات !!

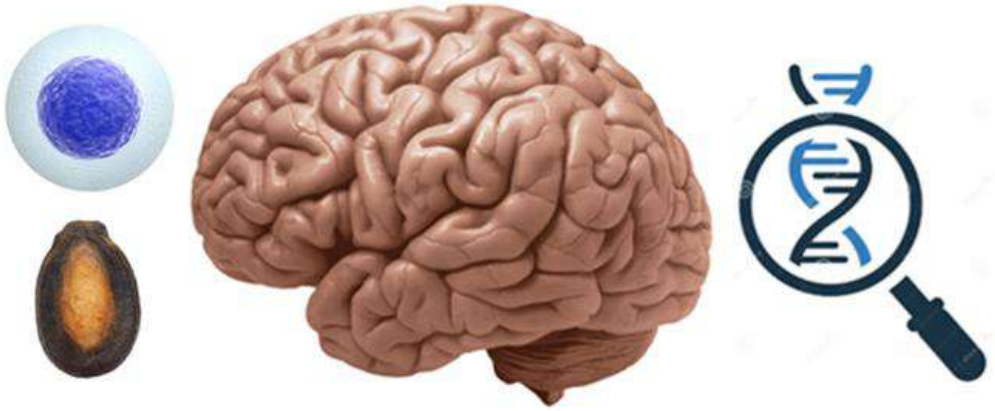

⑤ **الإنسان و الحاسوب** : عندما تعطي طفلاً ما حاسوباً فإنه سيتجاهله أو سيقوم بالنقر العشوائي على أزراره أو يرفع الشاشة و يغلقها ، أو حتى يضرب الحاسوب بالأرض أو بأشياء أخرى .. و عندما يكبر قليلاً سيستخدم هذا الحاسوب للعلب بألعاب الفيديو .. و عندما يكبر أكثر سيستخدمه للدراسة أو مشاهدة الأفلام ، و عندما يكبر أكثر سيستخدمه في عمله، و إن تخصص الإنسان في دراسة الحاسوب أكثر سيتمكن من استعماله في البرمجة ، بل ستُفتح أمامه دنيا كاملة من الإمكانيات .. و على مر السنوات التي كبر بها الطفل كان الحاسوب هو نفسه بإمكانياته التي لم تتغير ، و المشكلة كانت في الإنسان لا غير ، فقد تعامل مع الحاسوب بحسب إمكانياته هو و توجهاته هو ، و هذا بالضبط هو حال الدماغ البشري ، يحتوي كل شيء حرفياً ، لكن الإنسان يستخدم منه ما يريده فقط ، أو ينحصر استخدامه بما يعرفه أو يتمكن من استخدامه

من إمكانيات الدماغ ، و مع تخصص العلماء أكثر بدراسة العقل أو ما يطيب لي تسميته (**تهكير الدماغ**) ستنفتح أمامهم مستقبلاً عوالم لا تنتهي من القدرات ..!! أما اليوم فلا يزال البشر أطفالاً يكبسون أزرار الدماغ بشكل عشوائي ..

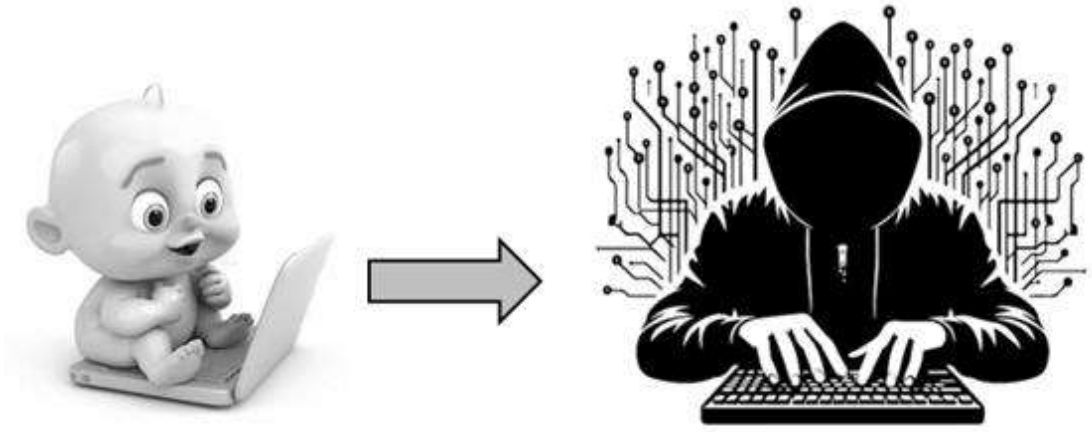

⑥ **الانفجار العظيم** : و هذا هو المثال الأعظم لفكرة الطاقة الكامنة ، فالكون الشاسع الذي نعيش فيه برمته، بأجرامه كلها بما فيها كوكب الأرض و ما عليه كان ذات لحظة قبيل الانفجار العظيم مجرد نقطة صغيرة مفرطة الكثافة تحمل في **DNA** خاصتها شكل الكون المستقبلي و تطوره التدريجي صعوداً مليون سنة تلو مليون سنة حتى نهاية الكون و انكماشه ليعود إلى هذه النقطة مجدداً في نهاية المطاف .. و هذا هو بالضبط حال الدماغ البشري ، بحاجة لانفجار كبير كاكتشاف علمي مبهر يوضح **طريقة تفعيل مراكزه** ليتسع أمامنا كون من الإمكانيات العقلية المذهلة..

في صفحات التاريخ أمثلة كثيرة عن أشخاص

محظوظين بإصابتهم بمتلازمة سافانت في مختلف نواحي الحياة **كأينشتاين و أديسون و غراهام بيل و فان غوخ و بيتهوفن و دافنشي و بيل غيتس و إيلون ماسك و صاحب الذاكرة الفولاذية كيم بيك** وغيرهم كثير.. و قد تم إنتاج فلم عن قصة حياة كيم بيك حمل عنوان (**رجل المطر**) يتناول متلازمة سافانت بطريقة درامية جميلة .. و كما ترى بنفسك عزيزي القارئ من هذه الأسماء ، فإنّ هذه المتلازمة هي التي طورت العالم و العلم و وصلت بالبشرية إلى ما هي عليه اليوم ، إنها باختصار **متلازمة تطور البشرية** حرفياً ..

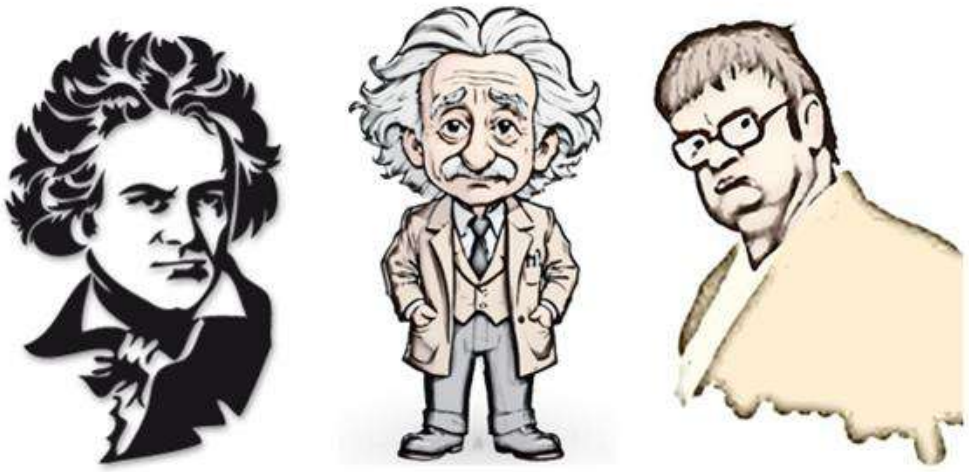

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**سافانت**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= استعمال العباقرة لنسبة **5** % من إمكانياتهم العقلية هو معلومة خاطئة ، فالإنسان يستخدم **100**% منها ..

بل أن نقول :

= هذه الفكرة خاطئة بالفعل ، لأن العباقرة يستخدمون أقل من هذه النسبة بكثير .. و الإمكانيات العقلية النائمة في دماغ الإنسان لا يمكن الإحاطة بها .. و تنتظر قبلة الأمير الوسيم كي تستيقظ ، و قد يأتي هذا الأمير على هيئة حادث مثلاً كمتلازمة سافانت أو عالم جديد مبدع يرفع النقاب عن آلية تفعيل مراكز الدماغ و رفع قدراته العقلية تصاعدياً (**يكتشف زر المذياع أخيراً**) و لا أشك للحظة أن هذا العالم سيكون محظوظاً بدوره بالإصابة بمتلازمة سافانت كغيره ، لا ندري ، لننتظر و نرى !!

الأشخاص الذين منحتهم الحياة هبة التوحّد يعشقون الروتين و يغضبون بشراسة إن حاول أحد العبث بروتينهم اليومي أو أي شيء يشوش هدوء عقولهم خلال تدريباتهم العقلية اليومية المزمنة و المستمرة ، كما يعشقون الانعزال عن الناس كي يلتفتوا فقط إلى موهبتهم الخاصة التي منحتهم إياها السماء و ينشغلون بها عن كل شيء من حولهم بما في ذلك الحياة نفسها ، و هذا ما جسده المشهد الختامي من فلم **أسطورة 1900** الشهير .. عندما يتم إسقاط قنبلة على السفينة التي شهدت أحداث الفلم ، و بينما تشق القنبلة طريقها في السماء نحو الأسفل ، نجد بطل الفلم المصاب بالتوحد مع موهبته الفريدة بالعزف على البيانو ، جالساً مع صديقه البيانو يعزف آخر سمفونياته ..

فقد اعتاد بطل الفلم روتين الحياة على السفينة منذ طفولته حيث نشأ عليها ، و بات غير قادر على تغييره أبداً ، لذا فضّل الرحيل مع نمط حياته هذا (**العيش على السفينة + العزف على البيانو**) لآخر لحظة على الحفاظ على حياته ذاتها ، كما هي سمات المتوحد بالضبط .. لتنفجر السفينة في ختام الفلم و يرحل معها البطل مع موسيقاه ..

مغالطة المدارك ويب

(الإنسان المتوحّش و عود الثقاب)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= مقال أقل ما يوصف بأنه مرعب ..

= أثرت فضولي .. مقال بخصوص ماذا ..؟

= الدارك ويب (الإنترنت المظلم) ..

= أظنك تقصد الديب ويب (الإنترنت العميق) ؟

= لا ، هذان مصطلحان منفصلان ، فبحسب المقال الإنترنت (الويب) يقسم إلى **3** أقسام أساسية :

● **الإنترنت السطحي**: يشكل **4** % من الإنترنت وهي المواقع التي نعرفها جميعاً و نستخدمها لمشاهدة مقاطع الفيديو أو تصفح مواقع التواصل الاجتماعي أو للبحث عن أي معلومة أو التسوق عبر محركات البحث كغوغل و غيره ..

● **الإنترنت العميق** : يشكل حوالي **90** % من الإنترنت وهي المواقع التي تقع في عُمق شبكة الإنترنت، وتحمي حسابات المستخدمين الخاصة على مواقع مثل فيسبوك أو البريد الإلكتروني من الظهور في محركات البحث على الإنترنت السطحي ..

● **الإنترنت المظلم** : يشكل **6** % من شبكة الإنترنت وهو الجانب المخيف و المرعب من الشبكة، و يستخدمه عادةً محترفو الإجرام والقرصنة عبر تشفير البيانات

ويكون الدخول إليه بشكل غير مباشر وغير رسمي ..

= معلومة جميلة ، و مقالك يتحدث عن أي شيء في الإنترنت المظلم بالتحديد ؟

= كما أخبرتك منذ قليل عن الجرائم التي تحدث فيه ، و هو يذكر قصة الأسترالي **بيتر جيرارد سكالي، 52** عاماً على سبيل المثال ، و كان يمتلك موقعاً في الإنترنت المظلم تحت عنوان : (ادفع للمشاهدة) ، حيث يعرض هذا الموقع صوراً و تسجيلات لتعذيب الأطفال القُصر والتحرش بهم جنسياً ثم قتلهم .. و قد تمكن من الهرب من أستراليا إلى الفلبين حيث ألقي القبض عليه هناك لاحقاً و عثر على جثث لفتيات فلبينيات قصّر تحت منزله عليهنّ آثار تعذيب وحشي استخدمهنّ في موقعه على الإنترنت المظلم ..

= مرعب بحقّ !! و هل هنالك بشر يدفعون مالاً مقابل مشاهدة هكذا أفعال وحشية شاذّة ؟!

= كثيرون يا صديقي .. فالإنسان كائن **إن تنازل عن أخلاقه** هوى إلى الحضيض في قاع الإنسانية و تحوّل إلى **وحش ساديّ** لا يمنعه شيء من القيام بأمور تقشعرّ لها الأبدان .. و بيتر هذا مجرد مثال من آلاف الأمثلة حول العالم ، بل إنّ جرائمه هي نوع وحيد من عشرات الأنواع الأخرى من جرائم الإنترنت المظلم ..

= و بيتر و أمثاله يجعلوننا ندرك أكثر قيمة الأنبياء و الأتقياء في ترويجهم للأخلاق التي تحمي البشر خاصة الأطفال و القصّر من الاستغلال و البالغين من الغرق إلى أعماق مظلمة داخل عقولهم ، كما تصون المجتمعات من الانحطاط الأخلاقي الذي قد يصل إلى درجة يهدد أمنها الكلي الداخلي و الخارجي ..

= صدقت ..

*****

الإنترنت المظلم (**الدارك ويب**) مصطلح شاع انتشاره في العالم في السنوات القليلة المنصرمة حتى بات هاجساً مرعباً للبشر عموماً و للآباء خصوصاً خوفاً على أبنائهم ، بل للحكومات و الدول أيضاً ، فما يُرتكب عليه من جرائم تطال الجميع و لا تستثني أحداً ، و موضوع مغالطتنا الجديدة (**الدارك ويب العقليّ**) كما يشير اسمه ذو صلة وثيقة بهذا المفهوم و يطرح سؤالاً هاماً للغاية :

(هل الإنترنت المظلم هو طفرة خطيرة و مرعبة في الحياة البشرية ، أم أنّ هذه مغالطة شائعة بيننا و وراء الأكمة ما وراءها ؟)

و جوابنا المبدئي الوجيز و المخيف على هذا السؤال :

(الإنترنت المظلم ليس بطفرة جديدة بل هو امتداد لتاريخ طويل من الظلام في عقول البشر عبر التاريخ ، و الأخطر أنه لا يقتصر على بعض البشر فحسب، بل موجود فعلياً في عقول البشر كافة ، و وجوده على المواقع الالكترونية ما هو إلا ترجمة و انعكاس لما نحمله من أفكار و رغبات شاذّة في أعماقنا إلى واقع حيّ على تلك المواقع عندما يُمنح الوحش الرابض داخلنا حرية التعبير عن نفسه بلا عواقب)

ما معنى ذلك ؟ سنحاول تفسير جوابنا على نحوٍ أعمق و أدقّ بمقاربة مغالطتنا عبر **4** محاور رئيسية :

- مفهوم الإنترنت المظلم ..

- الإنترنت المظلم العقليّ و الإنسان المتوحش ..
- الأخلاق هي سفينة النجاة من طوفان الظلام ..
- أمثلة عن وحشية الإنسان من صفحات التاريخ ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نسبر أغوار **النفس البشرية الأمارة بالسوء** لنصل إلى قاعها المظلم حيث يبدأ الإنترنت المظلم فعلياً ثم يترجم إلى مواقع الكترونية لاحقاً ..

❁ **مفهوم الإنترنت المظلم** : و يمكن تبسيطه عبر **4** نقاط :

■ **أنواع الإنترنت** : و هي كما ذكرنا منذ قليل في مستهلّ المغالطة تشبه بنية الجبل الجليدي :

الإنترنت السطحي (**4** %) الذي نستخدمه جميعنا & الإنترنت العميق (**90** %) الذي يخزّن البيانات الشخصية السرية للإنترنت السطحي و يحميها من الظهور عليه & الإنترنت المظلم (**6** %) الذي نتحدث عنه الآن..

■ **نشأة الإنترنت المظلم** : تم تطوير الإنترنت المظلم لأول مرة في منتصف التسعينيات من القرن الماضي من قبل باحثين عسكريين أمريكيين بغرض حماية البيانات الحكومية والأمن القومي الأمريكي وفصلها بعيداً عن الإنترنت السطحيّ المتاح للجميع ، بعدها عملت بعض الدول والوزارات إلى تخزين بياناتها عليه أيضاً .. ثم تم استخدامه لاحقاً من قبل أفراد و جماعات بشكل غير شرعي و غير رسمي ..

■ **الجرائم التي تنفّذ عبر الإنترنت المظلم** : و هي كثيرة نذكر أهمها :

- عرض بيانات حسابات البنوك و البطاقات الائتمانية التي تمت قرصنتها للبيع ..
- بيع الأسلحة بشكل غير مشروع لأفراد وكيانات غير رسمية ..
- تجارة الأعضاء البشرية ..
- استئجار أشخاص للانتقام من أشخاص آخرين عب

ر قتلهم أو قرصنة هواتفهم المحمولة ثم تسجيل مكالمات لهم أو تصوير خصوصياتهم ثم ابتزازهم بها أو نشرها على الانترنت السطحي لفضحهم ..

- بيع مواد إباحية لأشخاص يعيشون في بلدان تجرّم قوانينها نشر تلك المواد..
- يقوم البعض بتصوير أفلام إباحية لهم وينشرونها على هذا الإنترنت مقابل أموال باهظة..
- استئجار أشخاص لتنفيذ أعمال إرهابية..
- تداول وبيع العملات المشفرة كالبيتكوين، التي لا تخضع قيمتها للبنوك المركزية ..
- ممارسة أفعال سادية: كخطف أشخاص ثم إقامة مزاد على الإنترنت المظلم لاختيار طريقة تعذيبهم أو قتلهم ، و تنفذ طريقة الشخص الذي يدفع أكثر ..
- خطف الأطفال و القصّر و التحرش بهم على مواقعها و عرض ذلك مقابل المال .. كما فعل بيتر سكالي الذي تحدثنا عليه منذ قليل ..

■ كيف يصبح الإنسان ضحية الإنترنت المظلم ؟

عندما يقوم بعض الأشخاص بتحميل أفلام أو مسلسلات سينمائية مثلاً بشكل غير قانوني على الإنترنت السطحي ، من الممكن أن يتم تنزيل روابط بجانب روابط تلك

الأفلام يسرق قراصنة الإنترنت المظلم من خلالها بيانات الشخص ويخترقون هاتفه أو حاسوبه ، و بعدها يستطيعون اختراق كاميرا الهاتف أو الحاسوب و تصويره في أي وقت حتى لو كان غير متصل بالإنترنت، ليبتزوه لاحقاً مستخدمين هذه الصور .. أما في حال دخل بعض الأشخاص الإنترنت المظلم لمعرفة محتواه من باب الفضول، فالأمر هنا خطير للغاية ، إذ سيصبح الشخص عندها فريسة سهلة للقراصنة والمحتالين، وستُعرّض بياناته للخطر مجدداً ، و أخطر ما في الأمر هو صعوبة ملاحقة هؤلاء المحتالين أو تحديد هويتهم عبر تلك الشبكة الخفية لردعهم عن القيام بتسريب تلك البيانات و الأسرار الشخصية ..

❁ الإنترنت المظلم العقليّ و الإنسان المتوحش :

عندما نلقي محاضرة ما في أحد الاجتماعات مثلاً ، يقوم جهاز الإسقاط بإسقاط ما هو معروض على الحاسوب على شاشة ضخمة أمامنا ..

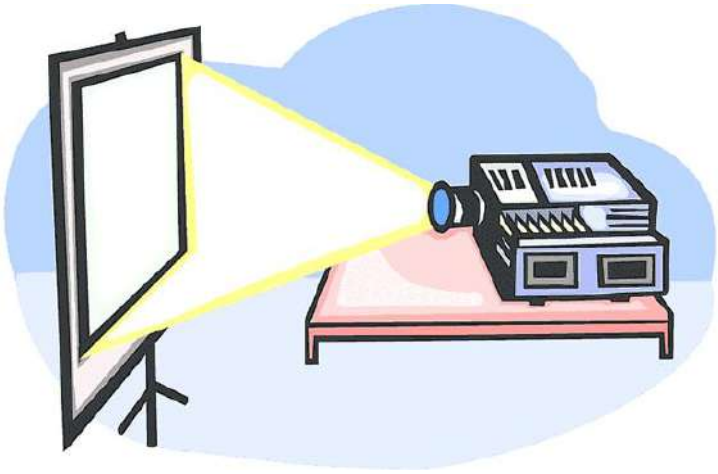

و هذا بالضبط ما يفعله الإنترنت المظلم على أرض الواقع ، أي يسقط ما في عقولنا و خيالاتنا على شاشات أمام الآخرين ، والحكاية كلها تبدأ في الحقيقة من أعماق عقولنا لا غير ، فإن كانت خيالاتنا جميلة ظهرت على الشاشة بأبهى صورة ، و إن كانت خيالاتنا مريضة و مشوهة تجلّت بوحشية أمامنا و أمام الآخرين ..

و كم من المرات تخيل بشر كثيرون أنفسهم عندما يرون فتاة جذابة تسير أمامهم في الشارع ، أنهم يعتدون عليها ، أو تخيلوا أنفسهم و هم يرون أمامهم شخصاً ظلمهم ذات يوم و هم يطعنونه بوحشية أو يعذبونه بسادية .. و غيرها من التخيلات المريضة التي يقف القانون أو كلام الناس وحده فقط في مناسبات كثيرة كحائل بين الإنسان و تنفيذها أي أن هنالك قيوداً تكبل الوحش الكامن في أعماقه و تمنعه من التعبير عن نفسه

فتخيل الآن مجدداً أن يمتلك الإنسان موقعاً إلكترونياً

سرياً لتنفيذ خيالاته هذه لا يصل إليه قانون و لا رقابة عليه بالأساس ، ما الذي سيحدث ؟ سيحصل ما هو حاصل الآن فعلياً على الإنترنت المظلم ..

قد يشكك كثيرون في هذه الفكرة و يقولون **أن الإنسان ذو سيطرة على نفسه و مشاعره ، وضميره يحركه لا القانون** .. ربما كان هذا صحيحاً عند قلة قليلة من البشر لكنها ليست القاعدة العامة للإنسان ، و لأوضح لك ذلك عزيزي القارئ دعني أحدثك عن تجربتين نفسيتين مرعبتين للغاية أجراهما بعض الباحثين ، لأظهر لك شراسة الوحش القابع في أعماق البشر و ينتظر فقط الفرصة المناسبة كي يعبر عن نفسه ، فلا شيء يلجمه عادةً إلا القانون و العقاب و كلام الناس على ما يبدو فإن منح الشرعية أو السرية تغير كل شيء :

● تجربة ميلغرام :

تجربة بسيطة للغاية يتم فيها جمع شخصين ببعضهما : الأول متطوع ، والثاني ممثل (يتظاهر أنه متطوع) ، ويتم إجراء قرعة وهمية لاختيار أيهما يأخذ دور المدرس و أيهما دور المتعلم، وذلك عن طريق سحب إحدى قصاصتين من ورق كُتب على كليهما (المدرس) لضمان حصول المتطوع الحقيقي على دور المدرس أما الممثل فيتظاهر أنه سحب ورقة مكتوب عليها (المتعلم)

، علماً أن الاثنين وقعا على وثيقة بالموافقة الشرعية على تنفيذ التجربة مهما كانت العواقب ..

بعد ذلك يؤخذ المتعلم (الممثل) إلى غرفة صغيرة ويتم تقييده إلى كرسي كهربائي أمام أنظار المتطوع (المدرس) ، ثم يؤخذ المدرس إلى غرفة مجاورة

ويجلس أمام مولد صدمات كهربائية ابتكره العالم ميلغرام يحتوي على عدة المفاتيح من **15** فولت إلى **450** فولت وتتراوح مستويات الصدمة من **خفيفة** وتتدرج إلى أن تصل إلى **صدمة قاتلة** ، طبعاً مولد الصدمات هذا زائف في الحقيقة وينتج صوتاً فقط عند الضغط على المفاتيح ، لكن المدرس لا يعلم ذلك ، وإلى جوار المتطوع يجلس مراقب التجربة لإصدار الأوامر إليه أثناء التجربة..

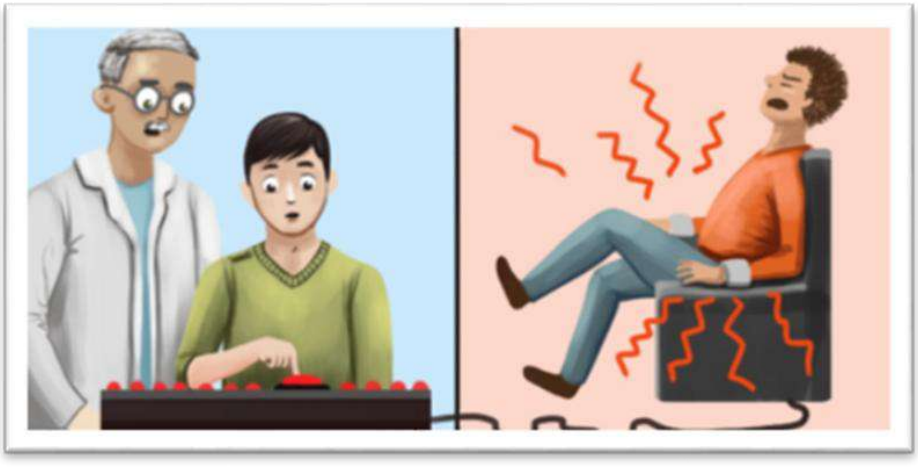

يتم إعطاء المتطوع المدرس قائمة بأسماء عشوائية ليقرأها على مسامع المتعلم (الممثل) في الغرفة المجاورة من خلال ميكروفون بدون أن يرى أحدهما

الآخر ، ويطرح المتطوع أسئلة على الممثل ليختبره إذا كان يتذكر أي من الأسماء السابقة ، فإذا كانت الإجابة صحيحة ينتقل إلى الاسم التالي ، وإذا كانت الإجابة خاطئة يأمر مراقب التجربة المدرس بتسليط صدمة كهربائية للمتعلم عن طريق الجهاز ..

وهكذا يستمر المدرس بطرح الأسماء على المتعلم وتزداد وتيرة الصدمة الكهربائية بالتدريج عند كل إجابة خاطئة ، وكما هو متفق سابقاً يقوم الممثل بالرد على الأسئلة بإجابات خاطئة (عن عمد) ، و يتم استخدام جهاز تسجيل كان قد سُجل عليه شريط صوتي بصوت الممثل وهو يصرخ ويتألم من أثر الصدمة الكهربائية المزيفة ، ويتوسل التوقف عن تسليطها عليه لأنه مصاب بمرض في قلبه ، وطبعاً يصل الصوت إلى مسامع المدرس ليتفاعل معه .. لكن هل سيتوقف المدرس عن تسليط الصدمات الكهربائية و يراعي الحالة الصحية للمتعلم أم يتجاهل نداءاته ويستمر بإيذائه؟ ..

دوّن الباحث ميلغرام ملاحظاته وهو يراقب ردة فعل المتطوعين المدرسين طوال مدة التجربة من خلال غرفة مجاورة ذات زجاج عازل ، و كانت النتائج التي توصل إليها ميلغرام صادمة للغاية حيث أنّ جميع المتطوعين (الذين بلغ عددهم **40** رجلاً من سويات

اجتماعية و ثقافية جيدة) وصلوا إلى تسليط **300** فولت ثم **14** منهم توقفوا عند هذا الحد وأوقفوا التجربة أما **26** الباقين واصلوا حتى النهاية و وافقوا على تسليط **450** فولت القاتلة ، أي **65** % من مجموع المتطوعين أطاعوا اوامر مراقب التجربة في زيادة مستوى الصدمة حتى الموت لأنهم منحوا الشرعية بفعل ذلك قبل التجربة دون عواقب قانونية ، بل لم يكلّف هؤلاء أنفسهم عناء الذهاب إلى الغرفة المجاورة للاطمئنان على صحة الضحية (الممثل) .. !!

● تجربة سجن ستانفورد :

أجريت التجربة عام **1971** تحت إشراف فريق من الباحثين يقوده عالم النفس فيليب زيمباردو من جامعة ستانفورد.. وقد قام بأداء دور الحراس والسجناء متطوعون من **طلبة الجامعات المتوازنين نفسياً و عقلياً** و ذلك في بناء يحاكي السجن تماماً .. في تلك التجربة قُسِّم المتطوعون إلى فئتين متساويتين : فئة تلعب دور السجناء، وفئة تلعب دور حراس السجن بقرعة عشوائية ، وتسلّم الحراس عصي شرطة، وبزات اختاروها بأنفسهم من محل أزياء عسكرية، وزُوّدوا بنظارات عاكسة لتجنب التواصل البصري مع المساجين ، وعلى عكس المساجين تمتع الحراس بدوام على شكل دوريات، يعودون إلى بيوتهم بعد انقضائها،

لكنّ عدداً منهم صاروا يتطوعون أحياناً لساعات إضافية رغم أنها بدون أجر..!!

أما المساجين فلبسوا رداء فضفاضاً من دون ملابس داخلية وصنادل مطاطية، وهو أمر رجّح زيمباردو أنه سيجبرهم على التأقلم مع عادات ووضعيات جسمانية غير مألوفة ومزعجة.. وقد رُمِز إلى كل سجين برقم عوضا عن اسمه، وقد خيطت الأرقام على ملابسهم، وكان عليهم أن يرتدوا قبعات ضيقة من النايلون لتبدوا رؤوسهم كما لو أنها محلوقة تماماً ، كما وضعت سلسلة صغيرة عند الكاحل كتذكير دائم لهم بأنهم مسجونون و مضطهدون ..

وقبل بدء الاختبار بيوم واحد، جمع زيمباردو الحراس لحضور جلسة تمهيدية، لكنهم لم يتلقوا أي توجيهات عدا أنه يمكنهم القيام بفعل أي شيء مع السجناء باستثناء العنف الجسدي.. وقيل لهم بأن إدارة السجن تقع على عاتقهم، و لهم أن يديروه كما يشاؤون ..

لكن سرعان ما خرجت التجربة عن السيطرة ، إذ عانى السجناء من ممارسات سادية و مهينة على أيدي الحراس، فبعد مرور اليوم الأول بلا شيء هام يذكر، اشتعل في اليوم الثاني للتجربة عصيان من قِبَل المتطوعين السجناء، وتطوع الحراس للعمل ساعات إضافية للقضاء على التمرد .. بعد ذلك، حاول الحراس أن يفرقوا السجناء ويحرضوهم ضد بعضهم البعض من خلال تقسيمهم إلى زنزانتين، واحدة للجيدين والأخرى للسيئين ، ليوهموا السجناء من وراء ذلك أن هناك مخبرين تم زرعهم سراً بين السجناء.. ونجحت الخطة تماماً فلم يظهر بعد ذلك أي تمرد كبير ..

وبعد ذلك تحول السجن إلى مكان منفّر وغير صحي، وصار الدخول إلى الحمامات امتيازاً قد يحرم منه السجين، وأُجبر بعض السجناء على تنظيف المراحيض

بأيديهم المجردة، و تم إخراج الفرش والوسائد من زنازين السيئين منهم و أُجبر بعض السجناء على النوم عراة على البلاط .. أما الطعام فكثيراً ما حُرم السجناء منه كوسيلة للعقاب، وفُرِض العري على السجناء وتعرضوا للتحرش الجنسي والإذلال من قِبَل السجانين ، مما اضطر زيمباردو لإيقاف التجربة بعد أسبوع واحد حرصاً على سلامة المشاركين المسجونين بعد أن راعه درجة السادية و الوحشية التي وصل إليها المتطوعون السجانون ..

و كما ترى عزيزي القارئ كنتيجة لهاتين التجربتين النفسيتين ، **في أعماق كل إنسان وحش كامن ينتظر فقط موافقة شرعية كي يخرج و يعبر عن نفسه بسادية تجاه البشر الآخرين بغياب الرادع الأخلاقي عندما يمنح الحماية القانونية أو السرية الكاملة لفعل ذلك !!** و هذا إن كان يشير إلى شيء فإلى أنّ في عقول البشر دارك ويب حقيقي يحتوي آلاف التخيلات المريضة من **سادية و اعتداء و تحرش و نصب و غيرها** .. وما الإنترنت المظلم سوى ترجمة لهذه التخيلات على أرض الواقع كمواقع الكترونية تمنحك السرية بضوء أخضر للتعبير عن هذه التخيلات المريضة .. و قبل التفكير باجتثاث الإنترنت المظلم من الوجود على البشر وأد الإنترنت المظلم في عقولهم أولاً عبر ترويض أو قتل الوحش الرابض في أعماقهم ، فإن

تم ذلك فلا حاجة أو تأثير للإنترنت المظلم الإلكتروني على الآخرين ساعتها ، فلا ننسَ بأن هذه المواقع الالكترونية المريضة هي تفاعل بين طرفين (**عقول مريضة أسستها و عقول مريضة تشاهدها بكامل إرادتها**) فإن تصحح أحد الطرفين أو كلاهما فلا تأثير لهذه المواقع بالأساس ..

❁ الأخلاق هي سفينة النجاة من طوفان الظلام:

بالعودة إلى تقسيم الإنترنت الثلاثي كبنية جبل الجليد ، فإن المدهش في الموضوع أن هذا التقسيم يشبه تكوين النفس البشرية بالضبط و الجبل الجليدي هو ذاته في الحالتين حيث تتكون النفس البشرية من **3** أقسام بدورها:

- **الأنا :** و هي الجزء الطافي من الجبل الجليدي و يشكل تصرفات الإنسان اليومية الظاهرة للآخرين ، و هذا يكافئ الإنترنت السطحي ..
- **الأنا العليا :** و هي الجزء الأكبر من الجبل الجليدي تحت المياه ، و تمثل الأخلاق و المبادئ السامية و تحمي الأنا من الضياع ، و هذا يكافئ الإنترنت العميق
- **الهوَ:** و هو الجزء المظلم الأعمق من الجبل الجليدي و يمثل الوحش القابع في أعماق الإنسان و يجسّد الغرائز و الرغبات الشاذة الدفينة ، و يعمل على

ضعضعة الأنا و ضياعها ، و هذا يكافئ الإنترنت المظلم ..

فإن انتصرت الأنا العليا على الهوَ في صراعهما على التأثير على الأنا ظهر النصف الأبيض المشرق من الإنسان و إن انتصر الهوَ على الأنا العليا ظهر النصف الأسود المظلم منه كما يحدث بالضبط على الإنترنت المظلم أو غيره من جوانب الحياة المظلمة ..

و بعد النتيجة التي توصلنا إليها في النقطة السابقة بأن

هنالك وحشاً قابعاً في أعماق كل إنسان (الهوَ) في حالة سكون بسبب **القانون أو العقاب أو كلام الناس**

ليخرج و يعبر عن نفسه عند غيابها .. نرى مجدداً دور الأخلاق و القيم النبيلة و السامية في حياتنا (الأنا العليا) التي تروّض ذلك الوحش أو حتى تقتله .. لذا لا تستهن بأخلاقك السامية عزيزي القارئ ، فإنها و إن كانت ربما ذات قيمة متواضعة في عينيك ، ذات قيمة هائلة لا تقدر و لا توصف عندما نضعها بجوار الأفعال الوحشية التي ينفذها البشر في حياتهم عندما تصبح الظروف مواتية ، **فالأنا خاصتك تعيش صراعاً يومياً مستمراً بين الهوَ و الأنا العليا و نتيجة هذا الصراع تحسم مصيرك ما بين الضياع أو النجاة** .. و رغم كثافة الظلام من حولنا في العالم و الإنترنت المظلم هو أحد جوانبه ، فإنّ بصيص نور صغير كفيل بتبديده كله ، و هذه هي قوة النور (الأخلاق) في مواجهة الظلام (الوحش القابع في أعماق الإنسان) كسفينة النجاة الوحيدة من طوفان الظلام في كل زمان و مكان ..

و أتركك الآن عزيزي القارئ مع بعض الأمثلة عن مدى وحشية الإنسان و درجة الانحطاط الذي قد يبلغه عندما تسنح الفرصة للوحش القابع في أعماقه للتعبير عن نفسه بغياب الأخلاق و الضمير :

❁ أمثلة عن وحشية الإنسان من صفحات التاريخ :

■ **تجارب الوحدة اليابانية 731** :أجرت **وحدة البحث**

والتطوير السرية في الجيش الإمبراطوري الياباني والمعروفة بالوحدة **731** التي تم إنشاؤها في ثلاثينيات القرن الماضي بواسطة الجرّاح **شيرو ايشي**، العديد من التجارب الطبية المروعة والعمليات الجراحية الوحشية القاتلة على آلاف الأسرى خلال الحرب الصينية اليابانية في الفترة من **1937** وحتى **1945** ، و نذكر من هذه التجارب:

- عمليات التشريح القاتلة و دون تخدير على الأسرى بعد إصابتهم بأمراض مختلفة ، فشقوا بطون المرضى الأحياء لإخراج الأعضاء المعطوبة واستخدموها في دراسة آثار المرض على جسم الإنسان ..
- أجبروا الأسرى الأصحاء على ممارسة الجنس مع أسرى مصابين بمرض السفلس لدراسة انتقال المرض، ومن ثم شرحوا المرضى المصابين وهم على قيد الحياة ..
- أجروا تجربة مروعة أخرى لمعرفة مقدار الدم الذي بخسارته يفقد الإنسان حياته ، عبر بتر أعضاء الأسرى و تركهم ينزفون حتى الموت ..
- أجروا تجربة قضمة الصقيع على الأسرى بتركهم في طقس متجمد حتى يتجمد الأنف و الأذنان و الأطراف ثم يُكشط الثلج و تُغمر الأعضاء في المياه

الفاترة فتتساقط الأعضاء على الفور..

- استخدموا الأسرى كأهداف تصويب لاختبار دقة الأسلحة ، كما ربطوا الأشخاص وأطلقوا القنابل والرصاص عليهم لمعرفة أثر و فعالية الأسلحة و مدى قدرتها على إلحاق الإصابة والضرر..

■ التجارب الأمريكية على مرضى السفلس :

أجرت **جامعة تاسكيجي** تجربة على **600** أمريكي من أصل إفريقي لمعرفة آثار عدم معالجة السفلس على الإنسان و ذلك دون علم المرضى و تحت ذريعة الرعاية الطبية المجانية ، و ذلك في الفترة بين عام **1932** وحتى عام **1972** ..

تمّ خداع المشاركين الأفارقة في التجربة بأنهم عند

التسجيل فيها سيتم معالجتهم من الدم السيئ الذي يشير إلى فقر الدم عبر حقن دوائية ، وسيحصلون على زيارات طبية مجانية بالمقابل و وجبات طعام و ستتكفل الجامعة بمراسم دفنهم عندما يموتون ، وهذه الدراسات والمتابعة الطبية ستستمر لستة أشهر على الأكثر ، و كان **399** شخصاً ممن اشتركوا في التجربة مصابين بالفعل بمرض السفلس ، في حين أن **201** لم يكونوا مصابين به ، وخلال فترة الدراسة التي استمرت **40** سنة، لم يتم تقديم علاج مرض السفلس المعروف (البنسلين) إلى أي شخص من هؤلاء الأشخاص الذين خضعوا للتضليل الطبي..

وفي نهاية التجربة عام **1972**، لم يتبقَ على قيد الحياة من هؤلاء الأشخاص إلا **74** ..

وتم وقف التجربة بعدما فضحتها **صحيفة أسوشيتد**

برس، وحاولت الحكومة تبرئة نفسها بإظهار موافقة المشتركين على المشاركة في الدراسة، إلا أن المحكمة وجدت أنه تم تضليلهم ولم يتم إخبار أي شخص منهم بحقيقة الدراسة، كما أنّ المشاركين تُركوا للمعاناة من المرض والآثار المترتبة عليه رغم وجود علاج فعال يقضي على المرض و هو البنسلين ..

- **التجارب النازية على التوائم** : أجرى الطبيب النازي **جوزيف منجيلي** خلال الحرب العالمية الثانية تجارب بشرية على التوائم من أجل مضاعفة و تحسين العِرق الألماني الآري ، و نفذت التجارب على السجناء في معسكرات الاعتقال النازية سواء كان هؤلاء المساجين من البولنديين أو اليهود أو أسرى الحرب السوفييت أو حتى الألمان ذوي الإعاقات الجسدية والذهنية.

ومن ضمن هذه التجارب البشعة، تجربة قام بها الطبيب سيئ السمعة هذا خلال الفترة من **1943** وحتى **1944**، على التوائم في معسكرات الاعتقال وخاصة **معسكر أوشفيتز** ، حيث أجرى تجاربه على نحو **1500** حالة توائم لم يبقَ منهم على قيد الحياة بعد توقف هذه التجارب البشعة إلا **200** حالة ..

ففي محاولة منه لفهم علم الوراثة أكثر بغية مضاعفة

العرق الآري ، قام بإجراء التجارب التالية :

- قام بخياطة التوائم مع بعضهم البعض و بتر بعض الأعضاء لدراسة الخصائص المميزة في التوائم الملتصقة ..

- حقن أحد التوائم بالأمراض كالتيفويد، ومن ثم نقل دمه لتوأمه لمعرفة من سينجو منهما ..
- حقن التوائم بالأصباغ المختلفة لمعرفة هل سيتغير لون العيون و الشعر أم لا ..
- كان الطبيب النازي يحقن التوائم محل الدراسة بحقنة كلوروفورم مباشرة في قلوبهم لإنهاء حياتهم في حال أصبحوا غير مفيدين لتجاربه بعد تدهور حالتهم الصحية

أو إصابتهم بالأمراض جراء حقنهم بها ..

■ **مختبرات السموم السوفيتية** : اختبرت الخدمات السرية السوفيتية تأثير الريسين والسيانيد والديجوكسين و غاز الخردل و غيرها على السجناء في **سجن الغولاغ** ، ففي عام **1921**، تأسست وحدة أبحاث وتطوير سرية تابعة للخدمات السرية السوفيتية وعرفت باسم (مختبر السموم) ، حيث كان الغرض من تأسيس هذا المختبر العثور على مادة كيميائية سامة ، لا طعم لها و لا رائحة و لا يمكن الكشف عنها بعد حدوث الوفاة ، وتم تجريب هذه المواد الكيماوية القاتلة على السجناء الذين تم جلبهم من سجن الغولاغ، أو ما يعرف **بمعسكرات الاعتقال والسخرة والعمل الإلزامي الدموية السوفيتية**، حيث خلطت السموم مع وجبات الطعام و الشراب أو أعطيت كحقنات ..

وتم اختيار سجناء متفاوتين في العمر والحالة الجسمانية و المواصفات العامة ، لدراسة تأثير هذه السموم على أكبر شريحة ممكنة و الحصول على صورة عامة و شاملة لما يمكن أن تسببه هذه السموم ..

و بسبب هذه التجربة اللاأخلاقية الوحشية، توصل العاملون في مختبر السموم وعلى رأسهم رئيسة المشروع **ميرا نوفسكي** ، إلى تطوير مادة كيميائية لها الخصائص المطلوبة، أُطلق عليها اسم **C-2** و تتكون من خليط من (كاربيلامين – كولين – كلوريد) ، تسبب تغيرات جذرية في جسد الضحايا حيث تسببت بحدوث وهن و ضعف شديد للسجناء الذين تناولوها ثم وفاتهم خلال **15** دقيقة من استهلاكها في الجسم ..

■ **أطفال رومانيا** : عندما تولى الديكتاتور **نيكولاي تشاوشيسكو** السلطة في رومانيا عام **1966** وضع خططاً كبيرة للبلاد، فقد دخلت رومانيا مجال التصنيع في وقت متأخر بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت نسبة المواليد فيها منخفضة جداً، لذا تبنى تشاوشيسكو العقيدة الستالينية التي صاغها الزعيم الشيوعي جوزيف ستالين في ثلاثينيات القرن الماضي و التي ترى أن **النمو السكاني يساعد على النمو الاقتصادي** ، فحرّم الإجهاض و سجن من ينفذه من حوامل أو أطباء ..

لكنّ هذه السياسة، إلى جانب الفقر في رومانيا، أدت إلى المزيد و المزيد من الأطفال غير المرغوب فيهم الذين تخلت عنهم أسرهم لترعاهم الدولة ، و لا أحد يعرف العدد الحقيقي للأطفال في دور الأيتام بدقة ، ويقدر أن عدد الأطفال في مراكز الدولة عام **1989** وصل إلى **100** ألف و تصاعد أكثر بعد ذلك ..

بعد عام **1982**، و عندما أعاد تشاوشيسكو توجيه معظم الميزانية إلى سداد الدين الوطني تعثر الاقتصاد و ساءت ظروف دور رعاية الأطفال أكثر حيث :

- كانت الكهرباء و التدفئة مقطوعة فيها في كثير من الأحيان ..
- لم يكن هناك عدد كاف من الموظفين في هذه الدور.
- لم يكن هناك ما يكفي من الطعام ..
- في الوقت الذي تم فيه تقييم الاحتياجات المادية

تجاهلت الحكومة احتياجات هؤلاء الأطفال العاطفية.

- منعت الحكومة الأطباء و المهنيين من الوصول إلى الدراسات و الأبحاث الأجنبية ..
- لم تتلق الممرضات تدريباً كافياً، ونتيجة لذلك تعرض العديد من الأطفال لفيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) لأنه نادراً ما كان يتم تعقيم إبر الدواء ، و تم تشخيص حالات التأخر في النمو الطبيعية على أنها إعاقة عقلية ..
- انتشرت إساءة معاملة الأطفال في دور الرعاية دون أن يكون هناك رادع ..

و عندما قضت الثورة على حكومة تشاوشيسكو في التسعينيات، اكتشفت الصحافة العالمية أرخبيلاً من ملاجئ الأيتام و دور الأطفال و صوراً مروعة من أطفال معاقين التصقت جلودهم على عظامهم و تم ربطهم إلى أسرّتهم ، وأطفال صغار لا يستطيعون المشي و آخرين مصابين بسوء التغذية محجوزين وراء قضبان معدنية، و جثث أطفال مكدسة في الطوابق السفلية ، صدمت الصور الرومانيين بقدر ما صدمت بقية العالم ، فقد عمدت الحكومة السابقة إلى إبعاد هؤلاء الأطفال تماماً عن بقية أفراد المجتمع و الإعلان ، لتكون النتيجة لهذه الأفعال الوحشية موت عشرات الآلاف من الأطفال و العجز الجسدي و النفسي لعشرات

الآلاف الآخرين ..

هذه عزيز القارئ مجرد أمثلة قليلة من صفحات التاريخ الحديث عن وحشية الإنسان و ما يمكنه أن يفعله بترجمة خيالاته المريضة (الإنترنت المظلم في عقله) إلى واقع مأساوي مرعب تقشعرّ له الأبدان ، و نجد ببساطة أن ما يحدث اليوم على الإنترنت المظلم **ليس طفرة على البشرية** بل لطالما حدث بين البشر بطريقة سرية قبل وجود الإنترنت نفسه .. و في صفحات التاريخ القديم ما هو أكثر من ذلك حتى بلغت الوحشية بالبشر مثلاً إلى الاجتماع العلني بالآلاف في مدرجات الرومان لمشاهدة صراع الأسرى و العبيد مع الأسود و النمور لتتعالى صيحاتهم و تضجّ المدرجات بهتافاتهم الداعية لمزيد من الدماء كي تسعد عقولهم المريضة المظلمة بغياب الأنا العليا (الأخلاق) عن الساحة ..

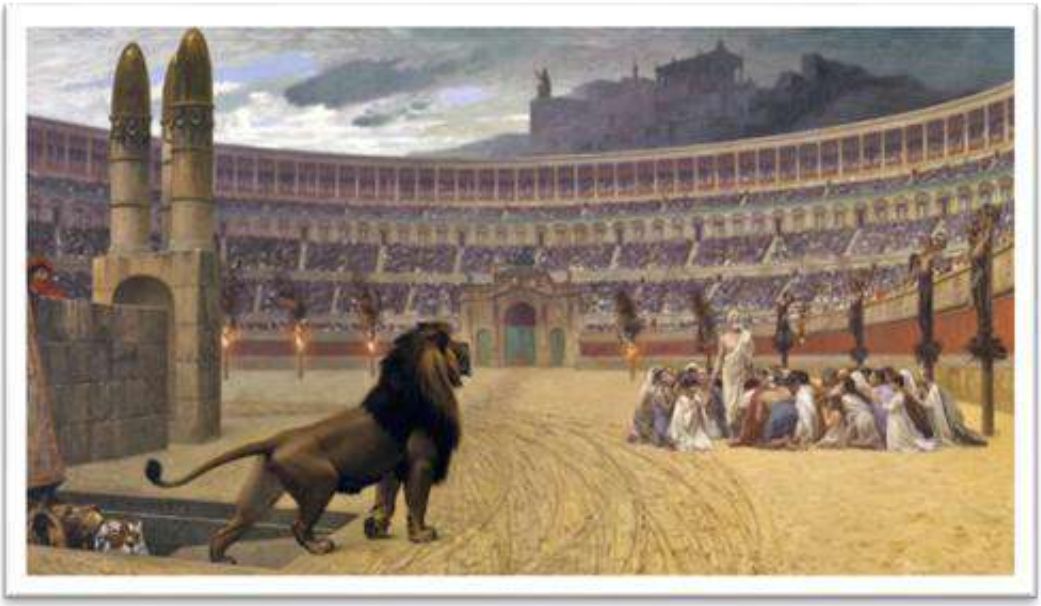

فإن كان الإنترنت المظلم عبارة عن مواقع الكترونية سرية اليوم ، فهذه وحشية علنية بلا ضمير أو خجل أو ندم أو رقيب حدثت قبل وجود الإنترنت نفسه ..

و رغم استخدامنا المتكرر في هذه المغالطة لمصطلح وحشية الإنسان لكن هذا المصطلح في الحقيقة غير دقيق تماماً ، لأن ما يفعله البشر عندما يمتلكون الحرية أو تحجبهم السرية ترتاع له أشرس الوحوش في ذروة جوعها ، كما قال الأديب الكبير **دوستوفيسكي** :

((غالباً ما يتحدّث الناس عن القسوة الوحشية للإنسان، لكن ذلك غير عادلٍ و مُجحف بحقّ الوحوش، فلا يمكن لحيوان أن يكون بقسوة الإنسان ، فهو ينفذ وحشيته بمهارة ، بل يتفنن بذلك أيضاً))

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الدارك ويب العقليّ**) من الأنسب بعد اليوم ألا نقول :

= أخاف على أبنائي و خصوصياتي من الإنترنت المظلم ، فكل شيء بات مستباحاً ..

بل أن نقول :

= الإنترنت المظلم ليس سوى ترجمة لخيالات و أفكار البشر المريضة إلى واقع الكتروني حيّ ، و في كل إنسان منا وحش كامن (الهوَ) لا يرحم و لا يردعه رادع مستعد لافتراس الآخرين متى سنحت له الفرصة بذلك **كحصوله على شرعية قانونية لفعل ذلك أو منحه سرية تامة لأفعاله** .. و في تجربتي ميلغرام و سجن ستانفورد خير مثال على ذلك ، كما أنّ الأفعال الوحشية للإنسان عبر صفحات التاريخ خير دليل على هذه الفكرة ، و الأمر الوحيد الذي **يروّض هذا الوحش أو يقتله** هو **الإيمان بقيمة الأخلاق (الأنا العليا) و ضرورتها الملحّة ، لأنّ البديل عند غيابها هو عالم متوحش لا يرحم أحداً من أفراد إلى دول إلى الكوكب بأكمله ، و بالتالي لا بد من تنميتها** في نفوسنا إلى مرحلة تصبح فيها أفعالنا عندما نُمنح **الحرية أو الشرعية أو السرية** مطابقة لأفعالنا عندما نخشى **القانون و العقاب و كلام الناس** ، و عندها فقط نكون قد

روّضنا الوحش الكامن في أعماقنا و حذفنا الإنترنت المظلم من عقولنا و حياتنا ..

فلا تستهن عزيزي القارئ بقوة أخلاقك و حجم تأثيرها المهول على الحياة البشرية ، فهي تقي المجتمعات من وحشية الإنسان التي يمكنها كما وضّحنا ببعض الأمثلة أن تصل إلى مستويات قياسية من الانحطاط و الحضيض .. **و تذكر على الدوام أنّ الإنترنت المظلم في عقول البشر أو في الإنترنت الحقيقي و إن كان**

يمثل خطراً كبيراً على البشر بالفعل لكنّ بصيصاً من النور فيه (الأخلاق) كفيل بتبديد ظلمته كلها ، فهذه هي قوة النور السحرية في مواجهة الظلام :

(عود ثقاب صغير ينتصر على غرفة واسعة غارقة في الظلام)

السديم و التراب ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة أثر الالكترون (و اطمأنّ قلبي)
- مغالطة الزيتونة (لا شرقية و لا غربية)
- مغالطة الوجه الآخر للطب (إغماء ستندال)
- مغالطة ميتافيرس الروح (نم لقد ولدت ، استيقظ لقد مت)
- مغالطة المغالطات (لا تقع في الفخ)
- مغالطة نجوم على الأرض (السديم و التراب)
- مغالطة حصان طروادة (الأسطورة و الخرافة)
- مغالطة دائرة الأرزاق (في فمه ملعقة من ذهب !)
- مغالطة الدائرة السحرية (غموض لا ينتهي)
- مغالطة الحظّ (ظهر منحنٍ و حياة بائسة !!)
- مغالطة GPS الحياة (متطابقة أويلر)
- مغالطة وهم الشهرة (مفارقة البرسيم)
- مغالطة الجزئيات الحاكمة (و تحسبونه هيناً)
- مغالطة الإبحار نحو الشلال (لاعب الشطرنج)
- مغالطة التواتر المقدّس (قفص الأجداد)
- مغالطة نصل أوكام (TAKE IT EASY)
- مغالطة هرم النقاط (الاستبصار و المعرفة)
- مغالطة لسانك حصانك (هيهات يرجع سهم بعدما انطلقا)
- مغالطة استنزاف العقل (التخيل أهم من المعرفة)
- مغالطة ابتسامة الموناليزا (SMILES)
- مغالطة سافانت (خرافة 5 %)
- مغالطة الدارك ويب (الإنسان المتوحّش و عود الثقاب)

السديم و التراب ...